دكتور
محمد محمود علي أبو زيد
كلية الآداب بسوهاج
جامعة أسيوط



# النيل في مصر

دراسة لأثر النيل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر من الفتح الإسلامي
حتى منتصف القرن الرابع الهجري

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

# النيل ومصر

دراسة لأثر النيل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر من الفتح الإسلامي
حتى منتصف القرن الرابع الهجري

دكتور
محمد محمود علي أبو زيد
كلية الآداب بسوهاج
جامعة أسيوط

دار الهداية
للطباعة والنشر والتوزيع

# اهـــــداء

الـى

روح

والـدى

ووالـدتى

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا »

وبعد . فيشرفنى أن اقدم الى الشغوفين بدراسة التاريخ الاسلامى بعامة وتاريخ مصر الاسلامية وحضارتها بخاصة ، هذا البحث الجيد الجديد ، الذى أعده تلميذى الحبيب الدكتور محمد محمود على أبو زيد المدرس بكلية الآداب بسوهاج ، وخريج جامعة القاهرة ، فقد حزه النيل باعث الحياة فى مصر ، وخالق حضارتها وتراثها بعد الله عز وجل . فتوج الدراسة النيلية ببحثه القيم هذا وعنوانه « النيل ومصر » دراسة لأثر النيل فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية من الفتح العربى حتى منتصف القرن الرابع الهجرى .

وهو باحث مصرى أصيل عشق النيل وكرس له سنوات طويلة حافلة بالجهد والنصب والبحث المتجرد العميق . وقد اختار ناحية لا يقبل عليها من الباحثين الا نفر قليل . اذ كيف تستقيم دراسة الحضارة فى مصر الاسلامية دون العناية بالنيل صانع الحياة .

وقد اعتمد فى دراسته هذه على جميع الوثائق المتوافرة فى مصر من مصادر مخطوطة ومطبوعة ، فضلا عن مجموعات أوراق البردى .

ألم بهذا كله مع قدرة هائلة على النفاذ وراء الحقيقة المجردة الهادفة ، فجاء كتابه هذا دراسة عميقة وموسعة عن النيل والحياة الزراعية ، والنيل والتجارة الداخلية والخارجية ، والنيل والنظم المالية ، ثم النيل وأثره فى الحياة الاجتماعية ، وذلك كله فى شبه منظومة تمجد نيلنا العظيم وتكشف عن مآثره الجمة فى صنع الحياة .

هذا وقد امتاز الدكتور الباحث بالأسلوب العلمى الدقيق والاعتماد على أوثق المصادر مهما تنوعت ، ولم يهمل أثر أوراق البردى فى القاء الضوء على الكثير من خفايا هذا الموضوع .

وأرجو أن يلقى القبول من قراء العربية والمهتمين بدراسة تراثنا النيلى ومعرفة الكثير عن حياتنا الاقتصادية .

وأرجو أن يمضى الباحث فى دراسته الجادة هذه ، مسدد الخطوات يحف التوفيق بركابه .

والله أسأل أن يمكنه من اتمام رسالته وأن يتبعها بدراسات أخرى مماثلة .

والله الموفق للخير دائما عليه توكلنا واليه ننيب .

الدقى فى: ٦/١٠/١٩٨٧

**دكتور حسن أحمد محمود**
أستاذ التاريخ الاسلامى .
**كليه الآداب ـ جامعة القاهرة**

بسم الله الرحمن ارحيم

## مقدمــــــة

يتناول هذا الكتاب دراسة أثر النيــل فى الحيــــاة الاقتصــادية ، والاجتماعية فى مصــر مــن الفتح العربى حتى منتصف القــرن الرابــع الهجرى .

وتبدو أهمية هذه الدراسة ، من أنهــا تعنى بتأثير نهـــر النيــل فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية منذ بداية الفتح الاسلامى لمصر ، حتى تحولت الى الاسلام . وليس من شك فى أهمية نهر النيل بالنسبة لكافة نواحى الحياة المصرية ، فلــولا ذلك النهــر الفياض لكــانت الاراضى المزروعة التى عاش عليهــا المصريون ، ويعيشون ، صحراء لا حيــاة فيهــا .

ولم تكن هذه الدراسة ، رغم أهميتها يسيرة أو هينة فمادة البحث مبعثرة متناثرة فضلا عن افتقارنا الى المصادر التاريخية ، التى تعالج نهر النيل ، فى الفترة من بداية الفتح الإسلامى حتى منتصف القــرن الرابع الهجرى، أو تلك التى تعالج النواحى الاقتصادية ، والاجتماعية على ضفافه بطريقة مباشــرة .

كما أن الالتزام بالبحث عن نهر النيل ، وما يتصل بــه مـــن جوانب اقتصادية ، فى فترة تاريخية محددة كان من الصعوبة بمكان ، وذلك لتداخل النظم الحضارية وصعوبة تحديد فتــرة معينــة بصــورة قاطعة ، ولا يخفى أن الفترة التى حددناها للدراسة ، وضعت فيهــا أسس الحضارة الاسلامية فى مصــر .

وقد قسمت هذا الكتاب الى أربعة فصــول ، عرضت فى الفصــل الاول للحياة الزراعية وما يتعلق بها من نظام الرى ، حيث كان النظام السائد هو نظام الرى الحوضى ، وتناولت بالدراسة مقاييس النهر قبل الفتح الاسلامى وبعده ، واهتمام العرب بانشاء هذه المقاييس ، واستقرار العرب فى القياس على هذه المقاييس ، كما عرضت للفيضان وكيف كان

يغمر البلاد ، والحد اللازم للرى ، وحد الوفاء ، وتأثير زيادة الفيضان أو نقصه على البلاد ، والفيضان الامثل لقيام زراعة تفى بمتطلبات البـــلاد ٠

كما بينت فى هذا الفصل أيضا أهم الترع والخلجان والقناطر التى انشئت فى ذلك العصر ، وكذلك الجسور بأنواعها العامة ، والخاصة ٠

ودرست نظام الدورة الزراعيـة وطبيعة الارض المصرية وأنـواع الاراضى المختلفة ، وانسب الزراعات التى تـزرع عليهـا وأشرت الـى الزراعات الشتوية والصيفية والخريفية ، وان كانت الزراعة الشتويـة هى السائدة وعددت أنواع الحاصلات الزراعية ، والاماكن التى تزرع بها ، وأماكن الاسواق التى تباع فيها هذه المحصولات ٠

ثـم تناولت النيل والتجارة الداخلية والخارجية فى الفصل الثانى وبينت أن النيل كان طريقا مثاليا للمواصلات لنقل المسافرين والبضائع ، والربط بين المدن والقوى المصرية ، خاصة وأن مجرى النيـل الملاحى فى مصر كـان خالى من العوائق والجنادل وأظهرت أوراق البردى أن كثيرا من السلع كانت تنقل عن طريق النيل ٠ كمـا استخدم النيل ايضا فى الاعمال العسكرية فى تلك الفتـرة ، ووضحت أهـم السلع المحمولة على النيل وكانت تشمل محاصيل مصر الزراعية ، وكذلك مصنوعات مصـر وأهمها المنسوجات الكتانية والصوفية والحريرية ، وكانت المواد المستوردة تحملها السفن فى النيل من الموانى الشمالية ، ثم توزع على باقى البـلاد عن طريق النهر ايضـا ٠

ثـم بينت فى هذا الفصل أهم مراكز التجارة الواقعة على النهر ، وكان من أهمها الفسطاط وأسوان ورشيد ودمياط وتنيس ، والاسكندرية التى كانت فى نهاية خليج يعرف باسمها ، وأشرت الى نظم الاسواق فى هذه المراكز ، ثم تحدثت عن المكوس والضرائب المفروضة على السلع المارة عبـر النيـل ٠

ثـم تحدثت عن التجارة بيـن مصـر والنوبـة ، وكانت معاهدة «البقط» هى اللبنة الاولى فى صرح هذه التجارة ، وكانت بداية تحـول بـلاد النوبة الى الاسلام ٠ كما أشرت الى اسلوب المعاملات بين مصـر والنوبـة ، وطرق المواصلات وأهـم السلع المتبادلة بين البلدين ٠

اما الفصل الثالث فقد خصصته لدراسة علاقة النيل بالنظم المالية وعلاقة الفيضان بالخراج ، وتتبعت ذلك من القوائم الهامة التى أوردها أبو المحاسن فى كتابه النجوم الزاهرة ، واهتمام الولاة بالجباية وأحوال الفيضان فى عهدهم وعملهم على زراعة الاراضى البور ، ثم تحدثت عن نظام القبالة ، وكيفية تحصيل الجزية والخراج ، وموقف الولاة من متأخرات الجباية ،وكيف كان الولاة يهتمون بالاراضى والترع والجسور .

أما النيل وأثره فى الحياة الاجتماعية ، فقد بينته فى الفصل الرابع ، اذ تحدثت عن احتفال البلاد بوفاء النيل ، وتطور هذا الاحتفال ، من البساطة الى الفخامة ثم أشرت الى الاحتفالات المرتبطة بالنهر ، ومكان هذه الاحتفالات .

وفى ختام هذا الفصل أشرت الى أثر نهر النيل فى الادب شعره ونثره ، ووضحت أقوال المعاصرين فى نهر النيل ، ثم تأثير النهر فى الادب .

وقد اعتمدت فى هذه الدراسة على أوراق البردى العربية فقد أمدتنا بتفاصيل على قدر كبير من الاهمية ، فيما يتعلق بالحياة على ضفاف النهر وعن الحياة الزراعية ونظام قبالة الاراضى ، وقيمة العملة وتجارة الحيوانات والضرائب المفروضة عليها ، كما أمدتنا بمعلومات وافيه عن موقف الولاة من تحصيل الخراج والجزية ، وأنواعها النقديه والعينيه ، وضرائب المراعى وغيرها .

كما كان لكتب المسكوكات أثرها فى معرفة تطور النظام المالى ومعرفة أنواع العملة المستخدمة فى مصر وبداية ضربها وأنواعها .

وقد أعتمدنا على عدد من المخطوطات عن نهر النيل ولا يعيبها انها كتبت فى فترة متأخرة عن العصر الذى ندرسه ، كما انها نقلت من المصادر المعروفة لنا مثل ابن عبد الحكم والمسعودى ، والكندى ومع ذلك فقد أمدتنا بمعلومات وافية عن حالة الفيضان ومقاييس النهر وما قيل فيه من احاديث وأشعار .

ومن هذه المخطوطات ، مخطوط المحلى المتوفى ٨٦٤ هـ - « مبدأ النيل على التحرير » الذى أمدنا بمواعيد الزراعة والمقاييس وان كان ينقل عن سبقه من المؤرخين .

كما كان لمخطوطتى السيوطى المتوفى ٩١١هـ ــ ١٥٠٥م «كوكب الروضة فى تاريخ جزيرة مصر » و « الكلام على النيل » والمخطوطه الاولى يتحدث فيها السيوطى عن جزيرة الروضة المشهورة بخضرتها وخسنها ، ثم يتحدث عن معنى لفظة الروضة وما يتعلق بها من أشعار ، ثم ينتقل من الحديث عن الروضة وتحصين المقوقس لها ثم بناء دار الصناعة الذى بناه أحمد بن طولون ، ثم تطرق الى الحديث عن النيل ويأتى بما يذكره المؤرخون عن منابع النيل ومجراه والعجائب التى توجد فيه ثم يتحدث عن المقاييس والوفاء وعن خراج مصر ، وخليج عمر بن الخطاب وقصة عروس النيل وهو يتحدث عن النيل فى عصور متأخره عن الفترة التى ندرسها ، وفى مخطوطته « الكلام عن النيل » لا يخرج ما أورده عن النيل عن ما سبق أن ذكره فى مخطوط كوكب الروضة .

كما كان لمخطوطة الحجازى المتوفى ٨٧٥ هـ « نيل الرائد فى النيل الزائد » اهمية كبيرة وهو يبدأ بذكر النيل من منبعه الى مصبه ثم يتحدث عن المقاييس ، ثم يعطينا قوائم سنوية لمستوى الماء فى المقياس ولا يختلف عن من سبقه من المؤرخين وينقل عنهم وافادنا فى اعطاء معرفة دقيقة لمقاييس النيل والفارق بينها فقد بين هذا المؤرخ أن عمود مقياس أسامة بن زيد مدور وفرق بين هذا المقياس ، ومقياس المتوكل المثمن الشكل .

ومن المخطوطات التى افادتنا أيضا مخطوط المنوفى المتوفى ٩٣١هـ « الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد » والبكرى الصديق المتوفى ١٠٦٠هـ « شفاء العليل فى أخبار النيل » فيتحدث المنوفى عن النيل من منبعه الى مصبه ويصف المجرى حتى رشيد ودمياط ثم يتناول الفيضان ووفاء النيل ومقاييسه قبل الاسلام وبعده ويتحدث عن المياه اللازمة للرى وعن أقاليم مصر وعن زراعتها وان كان ينقل عن سابقيه .

أما مخطوط البكرى الصديق فلا يخرج عن ما أورده سابقوه حول الروايات التى قيلت فى النيل والفيضان وما اختصت به مصر من الفضائل .

وكان كتاب عبد الرحمن ابن عبد الحكم المتوفى ٢٥٧هـ ــ ٨٧١م فتوح مصر وأخبارها أهم المصادر التى أعتمدت عليها وخاصة فيما يتعلق بمقاييس النيل وحفر القنوات قبل الفتح وبعده ، وفى ذكر الرى والزراعة

وأحوال النيل وبداية تحصيل الجباية ، ثم أسواق الفسطاط ونظمها وكذلك فتح النوبة ، ومعاهد « البقط » وكان مؤلف الكتاب لـه درايه باستقرار العرب فى الفسطاط ، وهو الذى كتب عن أول مدينة اسلامية أسست فى مصر .

كما عرض البلاذرى المتوفى ٢٧٩هـ ـ ٨٩٢م فى كتابه « فتوح البلدان» الى النواحى الحضاريه والنظم الاجتماعية والدواوين والخراج والسكة وغيرها من المسائل الاقتصادية ، فكتابه يعتبر من أهم الكتب التى ألفت فى القرن الثالث الهجرى ( التاسع الميلادى ) .

كما أفدت من كتب المسعودى المتوفى ٣٤٦هـ ـ ٩٥٨م « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ، « التنبيه والاشراف » فائدة كبيرة فى معرفة أحوال نهر النيل ، والنسبة اللازمة لرى الاراضى والمقاييس التى كان يعمل بها وكذلك أحوال فروع النيل وخاصة فرع الاسكندرية ، وأحوال القرى ونشأتها على الروابى وطرق المواصلات والاحتفالات على ضفاف النيل .

وكتاب الكندى «الولاة والقضاه» من المصادر الهامة التى اعتمدت عليها فالكندى المتوفى سنة ٣٥٠هـ ـ ٩٦١م وهو أول من أفاد من ابن عبد الحكم ، وقد ذكر المقريزى أن الكندى كان حجة ثقة فى معرفة أحوال مصر وأهلها وأعمالها ، وكان لتتبعه للولاة والقضاء وأحوال البلاد أكبر الفائدة فى معرفة أحوال البلاد فى عهدهم ، وهو يتتبع الولاة حتى وفاة الاخشيد سنة ٣٤٤هـ ـ ٩٥٥م وقد أفدنا منه فى معرفة نظم الاسواق ورأى القضاة فى بعض المعاملات وما تعرضت له مصر من مجاعات وأوبئة فى تلك الفترة .

ولا ننسى ما أمدنا به ابن الكندى فى « فضائل مصر » من معلومات قيمة عن نهر النيل وعن كور مصر وعن الخراج وعن تجارة مصر ، وبعض الأوصاف عن النيل .

أما كتب المقريزى المتوفى ٨٤٥هـ ـ ١٤٤١م . خاصة كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار » فهى حافلة بمعلومات وافرة عن فيضان نهر النيل وعن المقاييس وعن خطط الفسطاط ونظم الاسواق فيها ، ومظاهر الحياة الاجتماعية وأحوال المجتمع من النواحى الاقتصادية والاجتماعية ، كما أفادنا فى تتبع مقاييس النيل ، وأنواع

الاراضى الزراعية والدورة الزراعية ، ونظم الجباية وأسباب انخفاض الخراج . كما أفادنا كتابة ، عن النقود فى تتبع نشأة نظام النقد الاسلامى ودور مصر فى هذا المضمار وأفادنا كتابة « اغاثة الامة بكشف الغمة » فى معرفة ما تعرضت له مصر من متاعب اقتصادية ومجاعات وأوبئة وبخاصة فى زمن الاخشيديين .

كما كان لكتاب « الانتصار لواسطة عقد الامصار » لابن دقماق المتوفى ٨٥٩هـ — ١٤٥٤م أكبر الفائدة فى معرفة أسواق الفسطاط وقياسرها .

وفيما يتعلق بالطولونيين رجعنا الى كتاب البلوى « سيرة أحمد بن طولون » وكتاب المكافأة لابن الداية .

ولكتب الرحالة والجغرافيين ، اهمية كبيرة فى الوقوف على أحوال كثير من المدن واعطائنا الكثير من التفاصيل التى أغفلها المؤرخون خاصة ما يتعلق منها بالنواحى الاجتماعية والاقتصادية ووصف المدن والطرق ونظم المعاملات ، ولاباة السكان وطرق معيشتهم والعادات والتقاليد .

ومن أهم هذه الكتب كتاب المقدسى المتوفى ٣٨٨ هـ — ٩٩٧ م « أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » فقد وصف لنا الكثير من الكور وتحدث عن الفسطاط والنيل ، ونظم المكوس ، وكثرة المراكب على النيل والأسواق والمقياس وأطعمة المصريين .

وكذلك كتابا ابن حوقل المتوفى أواخر القرن الرابع الهجرى « صورة الارض » ، « المسالك والممالك » عرض لخراج مصر وموعد جبايته ووصف المدن والقرى على جنبات النيل .

كما أمدنا ابن خرداذبه فى كتابه « المسالك والممالك » وابن الفقيه الهمدانى فى مختصر كتاب البلدان بالكثير من التفاصيل عن النيل والبلاد المصرية .

ومن المصادر القيمة عن النيل والبلاد المصرية ، كتاب ابن مماتى المتوفى ٥٦٦هـ — ١٢٠٩م « قوانين الدواوين » الذى أفاض فى وصف أحوال البلاد الزراعية وأنواع الاراضى والفصول الزراعية ونظام الرى وأنواع المزروعات .

كما أفدت من كتاب ساويرس بن المقفع « سير الاباء القديسين البطاركة » في دراسة بعض النواحي الاقتصادية وموقف الولاه من المجاعات والاوبئة ، واتحاد المسلمين والاقباط فى مواجهة أخطار الفيضان ، نقصه أو زيادته .

واعتمدت على المؤرخ عبد اللطيف البغدادى المتوفى ٦٢٩هـ ـ ١٢٣١م فى كتابه « الافادة والاعتبار » لمعرفة أحوال البلاد وأعلى وأقل درجات الفيضان .

والنويرى المتوفى ٧٣٣هـ ـ ١٣٣٢م فى كتابه « نهاية الارب فى فنون الادب » أمدنا بالكثير عن أحوال البلاد الزراعية ، والاقتصادية ونظم الرى .

وكذلك « صبح الاعشى » للقلقشندى المتوفى ٨٢١هـ ـ ١٤١٨م . استعنت به فى دراسة النواحى المالية ونظام الزراعة والرى والمنتجات الزراعية ومقاييس النيل .

أما كتاب « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » لابى المحاسن المتوفى سنة ٨٧٤ ج ـ ١٤٦٩ م ، فقد أمدنا بتفاصيل عن أحوال مصر الاقتصادية والسياسية ، وأحوال المقاييس والزراعة والرى وعناية الولاة بأحوال البلاد . كما قدم لنا قوائم كاملة لحالة الفيضان عاما بعد عام ، وقد اعتمدت عليها فى تتبع أحوال النهر وعلاقته بالنواحى الاقتصادية والمالية .

كما افادتنى هذه القوائم فى معرفة أسباب زيادة الخراج ونقصانه وفى تعليل تفشى الاوبئة ، وظهور المجاعات وارتفاع الاسعار فى بعض السنوات .

ولا يخفى ما لضبط النهر من أهمية فى حياة مصر واقتصادياتها ، فاستفدت من كتاب النجوم الزاهرة فى تتبع أعمال الولاة وعلاقتهم بضبط نهر النيل ، وخاصة أنه يتحدث عن أكبر زيادة لمياة الفيضان وأقل نسبة وصل اليها الماء فى أوقات التحاريق .

كما أفادتنا كتب الحسبة وأحكام السوق خاصة كتاب « نهاية الرتبه فى طلب الحسبه للشيزرى » ، وكتاب الخراج لابى يوسف المتوفى ١٩٢هـ ـ ٧٥٠م ، والاحكام السلطانية للماوردى المتوفى ٤٥٠هـ ـ ١٠٥٨م

كما أمدنا الادفوى المتوفى ٧٤٨هـ ـ ١٣٤٨م فى كتابه « الطالع السعيد لاسماء نجباء الصعيد » فى القاء الضوء على حالة الصعيد الاقتصادية والاجتماعية .

كما أفدنا من كتابى الفلاحة لابن العوام والفلاحة لابن بصال فى دراسة أنواع الاراضى والمحاصيل المختلفة .

ومن الكتب الحديثة التى أعتمدنا عليها كتابا عمر طوسون ، مالية مصر فى عهد الفراعنة حتى الان ، وكتاب خليج الاسكندرية وترعة المحمودية ، وكذلك كتاب على بهجت « حفريات الفسطاط » وكذلك مؤلفات الدكتور / محمد كامل حسين ، فى أدب مصر الاسلامية عصر الولاة ، والحياة الفكرية والادبية بمصر من الفتح العربى حتى أواخر الدولة الفاطمية وكذلك مؤلفات الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف فى مصر الاسلامية .

وأخيرا فاننى أتوجه بجزيل الشكر والعرفان الى أستاذى الدكتور حسين أحمد محمود أستاذ التاريخ الاسلامى بجامعة القاهرة ، الذى منحنى الكثير من وقته ونصائحه وتوجيهاته وارشاداته ، فالله يجزيه أحسن الجزاء .

• • •

## الفصل الاول :

### النيل والحياة الزراعية :

نظام الرى

المقياس

الفيضان

الترع والجسور والقناطر

الدوره الزراعية

أهم الحاصلات

## نظــــام الــــرى

توارث المسلمون نظاما للرى من العصور السابقة ، وساروا على نهجه وان كان دورهم يأتى فى تحسينه ورعايته ، دون تغيير النظم السائدة منذ القدم ، وكل ما كانوا يفعلونه لم يزد عن أعمال تطهير القنوات وصيانة الجسور (١) .

فلم يكن النهر فى وقت الفيضان يغمر ضفتيه الحاليتين بالمياه ، ولكن هذه المياه كانت تصل الى الحقول والمزارع القريبة من مجرى النهر والبعيدة عنه ، عن طريق نظام محكم من الترع والقنوات وكان هناك الجراسى على أفواه الترع والقنوات حتى ينحدر الماء الى ضياع الريف كلها (٢) ، يقول ابن عبد الحكم(٣) « والزرع ما بين الجبلين من أول مصر الى آخرها مما يبلغه الماء » كما أن النيل يزيد كما يقول ابن الكندى (٤) « بترتيب » مما ساعد على تنفيذ نظام الرى .

والواقع أن الاعتماد فى الرى كان كليا على النيل لذلك قامت الزراعة عليه وفى ذلك يقول ابن حوقل (٥) والاصطخرى (٦) « وزروعهم بماء النيل تمتد فتعم المزارع من حد اسوان الى حد الاسكندرية ويقيم الماء فى أرضهم بالريف والحوف .... وأرض مصر لا تمطر ولا تثلج » فمصر لا تعتمد على الامطار بل انها ضارة بها ، ومن عيوب مصر أنها لا تمطر ويكرهون المطر (٧) ، فالامطار ضارة لهم غير موافقة لا يزكو عليها زرعهم ولا تخصب عليها أرضهم (٨) .

---

(١) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ص ٣٦ ، القاهرة ١٩٤٨م .

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٦ ، ليدن ١٩٦٧ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦ ، ليدن ١٩٢٠ .

(٤) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٦٣ ، القاهرة ١٩٧١م .

(٥) المسالك والممالك ص ٩٧ ، دى جويه ١٨٧٠م .

(٦) كتاب المسالك والممالك ص ٤٨ ، ليدن ١٩٦٧م .

(٧) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٣٧٤ ، ليدن ١٩٦٧م ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٧٥ ، القاهرة ١٩٠٦ .

(٨) ابن الفقيه : نفس المرجع والصفحة .

« وجميع البلدان فى سائر النواحى والافاق انما تعيش بالامطار وتهلك بابطالها عنها ، ومصر مستغنية عن المطر غير مرتاحة ولا محتاجة اليه » (٩) .

يقول المقريزى (١٠) « لولا ما جعل الله فى نيل مصر من حكمة الزيادة فى زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البلاد ، وهبوط الماء فيها عند بدء الزراعة ، لفسد اقليم مصر » .

والنيل « يزيد بترتيب وينقص بخلاف سائر الانهار »(١١) والاصطخرى(١٢) يشير الى اعتماد الزراعة على الرى من مياه النيل فيقول « وزروعهم على ماء النيل تمتد فتعم المزارع من حد اسوان الى حد الاسكندرية ، وسائر الريف ، فيقيم الماء من عند ابتداء الحر الى الخريف ، ثم ينصرف ، فيزرع ثم لا يسقى بعد ذلك وارض مصر لا تمطر » .

وكان المصريون يقسمون الارض التى حياض يصلها الماء فى وقت الفيضان بواسطة شبكة واسعة من الترع التى تسد حتى يبلغ ارتفاع النيل حدا معينا ، وكى تستتى غمر هذه الحياض بالمياه كان من الضرورى أن يكون الفيضان عاديا (١٣)

وقد كانت الطريقة الشائعة للرى حتى القرن التاسع عشر هى طريقة رى الحياض (١٤) ويستثنى من هذه الطريقة بعض الاماكن التى كانت تروى رياً مستديماً مثل الفيوم « وليس بأرض مصر مدينة يجرى فيها الماء دائما غير الفيوم » (١٥) وهى أكثر أرض مصر ماءا (١٦) .

---

(٩) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٢ ، ليدن ١٩٦٧ .

(١٠) الخطط ، حـ ١ ص ٦٣ ، بولاق ، ١٢٧٠ هـ القاهرة .

(١١) ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٣٦١

(١٢) كتاب المسالك والممالك ص ٤٨

(١٣) راشد البراوى : حالة مصر فى عهد الفاطميين ص ٣٦ .

(١٤) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٣٧ ، القاهرة ١٩٧٠م .

(١٥) الاصطخرى : كتاب مسالك الممالك ص ٥١ .

(١٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٥٠ ، المقدسى : احسن التقاسيم ص ٢٠٨ .

وبالاضافة الى ذلك كانت هناللك وسائل الرى الصناعية « وعلى النيل دواليب كثيرة تسقى البساتين »(١٧) لذلك فيمكن أن نقسم نظام الري الى ثلاثة أنواع هي :

أولا : رى الحيــاض ٠

ثانيــا : الــرى الدائــم ٠

ثالثــا : الــرى بالوسائل التــى استخدمها الانسان مثــل السواقى والدواليــب ٠

**أولا : رى الحيــــاض :**

وظلت هذه الطريقة سائدة حتى القرن التاسع عشر وهى تقسيم الاراضى الزراعية الى أحواض تقام حولها الجسور بمساحات ومناسيب محددة، فعند فيضان النيل ، ووصول مياه النهر الى الاراضى تمكث فيها فتــرة ثــم تنتقل الميــاه من حوض الى آخر عن طريق قطــع الجسور فينتقل المــاء من حوض الى آخر « وزروعهم على مــاء النيــل تمتــد فتعــم المزارع من حــد أسوان الى حــد الاسكندرية ، وسائر الريف فيقيم الماء مــن ابتداء الحــر الى الخريف ثــم ينصرف فيزرع ثــم لا يسقى بعــد ذلك »(١٨) أى أن الماء يمكث فترة حوالى خمسة وأربعين يوما كانت هذه الفترة كافية لــرى الارض وترسيب الغرين و فى تلك الفتــرة التى يغطى فيهــا مــاء الفيضان وجــه الارض تبدوا آنذاك ، وكأنها بحــر حقيقى تبدو فيه القرى كأنها جزر لا يمكن الوصول اليها والتنقل فيما بينهــا الا بواسطة القوارب أو فوق ظهر الجواميس ، وفوق الجسور الممتدة ما بيــن اجــزاء البــلاد(١٩) ويصف المسعودى هــذه الفتــرة بقوله(٢٠) « فــاذا تناهى (يعنى النيل) مــدة يغشى الارض وصارت

---

(١٧) المقدسى : نفس المرجع والصفحة ، وابن حوقل : كتــاب صورة الارض ص ١٤٧ ، ليدن ١٩٦٧م ٠

(١٨) الاصطخرى : كتاب مسالك الممالك ص ٤٩ ، الادريسى : صفــة المغرب ص ١٤٣ ، ليدن ١٨٦٦م ، ابن حوقل كتاب صورة الارض ص ١٤٧ ٠

(١٩) المقريزى : الخطط حـ ١ ، ص ٦٠ ، النويرى : نهاية الارب جـ ١ ، ص ٢٦٤ ، القاهرة ٠

(٢٠) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٠ ــ ٢١ ٠

القرى كالنجوم فوق الروابى والتلال ، والمراكب تجرى باهلها فى حاجاتهم من بعض الى بعض ،وقد أعدوا قبل ذلك من أقواتهم وعلوفة حيواناتهم ما يكفيهم الى حسورة الماء عنهم » كما وصفها ابن رسته (٢١) بقوله « اذا زاد الماء أفاض على أراضيهم فغرقها حتى يختلفوا الى القرى فى الزواريق ، فاذا نضب ذلك الماء زرعوا أرضهم» وفى تدرج زيادة ماء النيل ومدة مكثه على الاراضى الزراعية : يقول ناصر خسرو (٢٢) «. ويتزايد الماء أربعين يوما من بدأ الفيضان الى أن يبلغ ثمانية عشر ذراعا ويبقى على هذا أربعين يوما لا تزيد ولا ينقص » .

واذا تكامل رى ناحية من النواحى قطع أهلها الجسور المحيطة بها ـ لتصريف المياه الزائدة عن حاجة الرى ـ من أمكنة يعرفها مشايخ البلاد ويتم ذلك فى أوقات محدودة (٢٣) .

واعتبر ناصر خسرو أن الفترة التى يقضيها النيل حتى يرجع الى ما كان عليه فى الشتاء مدة أربعين يوما أخرى ، فحينما يبدأ الماء فى التناقص يتبعه الزراع فكلما جفت بقعه زرعوها الزرع الذى يريدون ، وعلى هذا النحو زرعهم الصيفى والشتوى فلا يتطلب ماءا أخر (٢٤) .

وحين تنصرف المياه عن وجه الارض تنتشر المساحات السوداء الشاسعة على مرسى البصر تغطى آلاف الافدنة وتترك الحقول هكذا حتى تقارب الجفاف ، ويستقر الطمى بما يحمله من عناصر الخصب والنماء ، وتحرث الارض وهى ما تزال رطبة ، لترمى فيها البذور وتزرع بطريقة بدائية للغاية (٢٥) .

---

(٢١) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ١١٦ ، ليدن ١٩٦٧ .

(٢٢) سفر نامه : ص ٤٣ .

(٢٣) المقريزى : الخطط جـ١ ص ٦٠ ، النويرى : نهاية الارب جـ ١٠ ص ٢٦٤ .

(٢٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٣ ، القاهرة ١٩٤٥م .

(٢٥) Ency of Islam: ast Egypt..

ويحدثنا عبد اللطيف البغدادى بأن الارض كلهـا تزرع ولا يراح منها شئ(٢٦) ومن الطبيعى أن هذه الملاحظة عن أحوال الزراعة فى أواخر العصر الايوبى تنسحب أيضا على ما كان يحدث فى عصر الولاة ومعظم عصور مصـر ٠

وهذا انظام الحوضى الذى ساد معظم أراضى مصـر كان يستلزم عمل الجسور الطويلة على طول النهر من الطين تمتد بين هذه الجسور والمناطق العالية ، جسور مستعرضة ، وعندما يرتفع النهـر فى زمـن الفيضان تدخل مياهه الى هذه الاحواض عن طريق الترع فتغمر ميـاه النيـل الاحواض حسب ارتفاعها ومن هـذه الاحواض الـى الاحواض الأخـيرة عن طـريق قطع الجسـور(٢٧) الفاصـلة بين حوض وآخر ، ولعنا ـ نحن سكان الريف والصعيد الذى كان فيـه نظام الرى الحوض الى فترة قريبة ـ نلاحظ ما يلى ـ ولعـل ذلك كان يجرى مـن أقـدم العصور :

ـ أن هناك أماكن فى الجسور تسمى بالقطوع ٠

ـ وأن لذلك أثـرا وحتى اليـوم على استقامة الطـرق فى مصـر وجعل بهـا العديد من المنحنيات فى أماكن تلك القطوع ٠

على أى حال فان الظروف الطبيعية لارض مصـر هى التى جعلت فى ذلك الوقت مـن نظام رى الحياض ، نظاما مثاليا ، فكانت تنحدر رواسب النيل ومياهه نحو الشمال (٢٨) كمـا كـان النيـل وفروعـه المختلفة تنشـأ حول ضفافه جسور طبيعية ، ومـن ثـم كانت أراضى مصر الزراعية ، تنحدر نحو الجانبين،الى جانب انحدارها نحو الشمال وهذا الانحدار من شانه أن يجعل غمـر الارض بميـاه الفيضان أمـرا ميسورا ويمكن للارض أن تتشبع بالمـاء تمامـا ٠

وحتى يتيسر رسوب الطمى الذى يكسبها قوة الخصب(٢٩) وبعد ذلك يأخذ الفلاحون فى صـرف المـاء تدريجيا مـن الارض ورده مـرة

---

(٢٦) عبد اللطيف البغدادى : الافادة والاعتبار ص ١٣ القاهرة ١٢٨٦هـ ٠

(٢٧) ابـن مماتى : قوانيـن الدواوين ص ٧٤ حاشيـة (١) ، القاهرة ١٩٤٣م ٠

(٢٨) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٣ ٠

(٢٩) المقريزى : الخطط حـ١ ص ٢٥ ٠

أخـرى الى النيل(٣٠) ، ثـم بعـد ذلك يبـدأ موسم الزراعة فكلمـا جفت بقعة زرعوها الزرع الذى يريدون(٣١) وكما يقول البغدادى(٣٢) « فاذا نزل عنها ( يعنى النيل ) حرثت وزرعت » ٠

ولـما كانت الارض الزراعية فى مصـر يتابين سطحها ، ما بيـن عال لا يكفيه فى الـرى الفيضانات العاليـة ، ومنخفض يـروى مـن الزيادات اليسيرة ، وأراضى مصـر متفاوته الارتفاع والانخفاض تفاوتا كبيـرا(٣٣) ٠

لذلك كان رى هذه الاراضى يتـم على مراحل مختلفة « فلكـل ناحية مشرب معلوم فى وقت مفهوم »(٣٤) ، كمـا أن رى هذه الاراضى كان يتـم « بتقدير وتدبير »(٣٥) على مراحل أربع مع تدرج زيادة ونقصان نهـر النيل لانها مرتبطة بـه وهى كما يلى :

ـ عنـد وفـاء النيل ( تمام الزيادة ستة عشر ذراعا ) ويحدث ذلك غالبا فى شهر مسرى (أغسطس) وعنده تروى الارض باعتدال(٣٦) وعند ذلك يفتح سـد خليـج أميـر المؤمنين ( الـذى سمى فيمـا بعـد بخليج القاهرة ، أو الخليج الحاكمى ) حتى يجرى فيه المـاء الـى حـد معلوم ، ويقف حتى يروى كل الاراضى التى تحد هذا الحـد وهى الاراضى المرتفعة التى لا يصل اليها المـاء الا من زيادة كبيرة(٣٧) ٠

ـ وفى يوم النيروز ( أول توت ـ سبتمبر ) يفتح الحـد الثانى

---

(٣٠) Ency of Islam Ast Egypt.

(٣١) ناصر خسرو : سفر نامـه ص ٤٣ ٠

(٣٢) الافادة والاعتبار ص ١٣ ٠

(٣٣) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٥٥ ، محمد محمود ادريس: الحيـاة الزراعية فى مصر فى العصر الفـاطمى رسـالة ماجستير لم تنشر ص ٧٠ ، كلية الاداب جامعة القاهرة ٠

(٣٤) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٢٩ ٠ ٠

(٣٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصـر ص ٦ ٠

(٣٦) الادريسى : صفـة المغرب ص ٤٤ ، ابـن ظهيرة : نشـق الازهار ص ٤٢ ٠

(٣٧) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٥٥ ، محمد محمود ادريس: الحياة الزراعية فى العصر الفاطمى ص ٧١ ٠

الذى وقفت عنده المياه ليروى الاراضى تحت هذا المنسوب ، وتسمى السدود التى تقطع فى هذا اليوم باسم النيروذية »(٣٨) .

ـ وتاتى المرحلة الثالثة فى « عيد الصليب » وبعد النيروز بسبعة عشر يوما ،(٣٩) فيجرى الماء الى حد معين حتى يروى ، ما تحت هذا المنسوب من الاراضى .

ـ وتكون المرحلة الرابعة والاخيرة ، للرى بمياه النيل ، حين تفتح سدود بقية الترع والخلجان التى تحت هذا المنسوب الاخير بمياه النيل ، وبذلك يتم رى بقية الاراضى الزراعية ، ويسير النهر شمالا بما يتبقى من مياه الفيضان ليصبها فى البحر المتوسط(٤٠) .

وعلى ذلك يغمر ماء الفيضان « ويطبق جميع الارض »(٤١) وفقا للمراحل السابقة ، لكى تبدأ عملية الزراعة حيث تزرع الاراضى المحاصيل الشتوية الرئيسية ، وتبقى بعد ذلك دون زراعة حتى يأتى ماء النهر بفيضان جديد يحمل اليها عناصر الخصب والنماء .

**عيوب نظام الرى الحوضى : (٤٢)**

بالرغم من بساطة نظام الرى الحوضى وسهولته الا أن له بعض العيوب :

**أولا :** عندما يبكر الفيضان تدخل المياه الاحواض أما مباشرة أو عن طريق الرشح وفى هذه الحالة تتعرض المحاصيل للتلف .

---

(٣٨) المقريزى : نفس المرجع ص ٥٦ .
(٣٩) المقدسى : احسن التقاسيم ص ٢٠٦ ، والمقريزى : الخطط حـ ١ ص ٥٧ ، المسعودى : المروج حـ ١ ص ١٦٣ ، القاهرة .
(٤٠) ياقوت : معجم البلدان حـ ٨ ص ٣٦١ ، والمقريزى : الخطط حـ١ ص ٢٥ .
(٤١) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٩ ، ليدن ١٩٦٧م .
(٤٢) آمال محمد الروبى : مظاهر الحياة فى مصر فى العصر الرومانى ، اجتماعيا واقتصاديا واداريا ، ص ٧٥ ـ ٧٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥م .

**ثانيـا :** عندما يتأخر الفيضان لا تملأ الاحواض بالمياه فى الوقت المناسب ويؤخر هذا بذر الحبوب ، وهذا يعرض المحاصيل للتلف لشدة الحرارة فى الربيـع التالى ٠

**ثالثـا :** فى حالة ارتفاع فيضان النيل تنشأ الحاجة الى المراقبة الدقيقة للجسور وتقويتها حتى لا تغرق الاراضى بأكملها وتتهدم البيوت٠

**رابعـا :** اذا استغرق الفيضان مـدة طويلة يؤدى ذلك الى تأخير صرف الميـاه ممـا يؤدى الى اتلاف نمـو النبـات ٠

**خامسا :** اذا كـان الفيضان منخفضـا لا تحصل الاحواض عـلى حاجتها من الميـاه ولذلك لا تتمكن من انتاج محصول وفيـر ٠

**ثانيـا : الـرى الدائـم ( مـاء الراحة ) :**

فاذا كان النظام السائد هـو رى الحياض فليس معنى ذلك أن الزراعة فى مصـر لـم تعرف نظام الرى الدائم فالنظام الثانى للرى فى مصـر ، فى تلك الحقبة ، هو نظام الـرى الدائـم وهـو شبيـه بمـا نعرفـه اليـوم ٠

فالواقع أن بعض الاراضى تمتعت بنظام الرى الدائـم ، ويمكـن تقسيـم هذه الاراضى الى قسمين :

(أ) أراضى قريبـة مـن مجرى النهـر ٠

(ب) أرض الفيـوم ٠

والقسم الاول يتمثل فى الاراضى القريبة من مجرى النهر أو فروعه وهى أراضى منخفضة لا تحتاج الى الآلات فى رفـع المياه الى منسـوب الارض ، وهذه الاراضى تزرع طوال العام وبأكثر من محصول واحـد، وذلك لقربها مـن النيل أو الخلجان أو الترع التى تستمـد ماءها مـن النيل والارض تبلغ غايـة ارتفاعها على ضفاف النيـل ، ثـم تنحدر تدريجيا نحو الشرق والغرب ، وقـد ساعد ذلك على وصول المياه الى أبعـد الجهات على جانبى النيل ، كمـا ساعد على صرفها بسهولة ٠

ومياه الراحة هذه كانت تستخدم فى رى الزراعات التى لا تضار مـن وفـرة المـاء مثـل القصب والارز ٠ والطريقة المتبعة فى ذلك كما

يقول المقريزى(٤٣) « أن يقطع عليه ( أى الزراعة ) من جانب جسر يكون قد أدير عليه ليقيه من الغرق عند ارتفاع النيل بالزيادة ،فيدخل المـاء من ثلمة فى ذلك الجسر حتى يعلو على أرض القصب نحو شبر ، ثـم يسير عنـه المـاء حتى لا يصل اليه ، ويترك الماء فـوق الارض قـدر ساعتين أو ثلاثة الى أن يسجن ، ثـم يصرف من جانب أخرى ، حتى يتضب كله ويجدد عليه مـاء آخر كذلك ، يتعاهد ما ذكرنا مرارا فى أيام متفرقة بقدر معلوم ، ثـم يفطـم » .

**أرض الفيـــــوم :**

أرض الفيوم ، هى من الاراضى التى كانت تروى ريـا دائما ، ولا يتحكم فيهـا مـاء النيـل بـل كانت تروى طوال العـام ، ولذلك أمكن زراعتها باكثر من محصول واحد فى العـام يقول ابن حوقل(٤٤) « وليس بأرض مصـر مدينة يجرى فيها المـاء من غيـر حاجة الـى زيادة النيل الا الفيوم » ويضيف الاصطخرى قولـه « ويجرى فيهـا المـاء » (٤٥) ويقول المقدسى « وهى أكثر أرض مصر ماء »(٤٦).

وبينما كان رى أراضى مصر من ستة عشر ذراعا رى الفيوم مـــن اثنى عشر ذراعا(٤٧) وليس بأرض مصر موضع من اثنى عشر ذراعا غير الفيوم ، فاذا زاد الماء اثنى عشر ذراعا قطع المـاء عـن الفيوم ، وكان أهلها يزرعون والماء باق على جميع أرض مصر ولـم يتـم جريه فاذا كان حصاد أهل مصر ، كان ذلك أول السقية لاهل الفيوم « فأنهم يزرعون فى العام مرتين»(٤٨) وذلك لوجود بحر يوسف لانه « نهـر لا ينقطع جريانه فى جميع السنة فيسقى الفيوم عامة سقيا دائما»(٤٩) .

---

(٤٣) المقريزى : الخطط حـ١ ص ١٠٢ .

(٤٤) صـورة الارض ص ١٤٧ .

(٤٥) الاصطخرى : كتاب مسالك الممالك ص ٥٠ ، ابن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ٣٢ ، باريس ١٨٩٤م .

(٤٦) المقدسى : احسن التقاسيم ص ٢٠٨ .

(٤٧) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٢٤٧ .

(٤٨) كـاتب مراكشى مجهـول مـن القـرن السـادس الهجـرى الاستبصار فى عجائب الامصار ص ٩٠ – ٩١ نشـر وتعليق الدكتور / سعـد زغلول . الاسكندرية ١٩٥٨ .

(٤٩) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٧١ .

ويذكر ابن عبد الحكم(٥٠) أنها « أقامت تزرع كما تزرع غوايط مصر » وللفيوم « خلج كثيرة مشهورة عامرة وغامرة ، وأبواب وتراع، ومقاسم ، ولكل ناحية مشرب معلوم فى وقت مفهوم »(٥١) ، وذلك لان أرض الفيوم « نازل عن سمة سطح ماء النيل فى نهاية انحطاطه»(٥٢) كما أنه « يتشعب منه أنهار وتنقسم قسما تعم الفيوم ، لسقى قراه ومزارعه وبساتينه وعامة أماكنه ٠٠٠٠ وفيه ترع يدخل منها الماء الى أراضى الاشمونية والبهنسا وبلادهما »(٥٣) ٠

**الرى الصناعى ( بالالات ) :**

كانت هناك بالاضافة الى الطريقتين السابقتين ، طريقة أخرى للرى ، وهى استخدام الالات وذلك عندما يكون منسوب الماء منخفضا عن الاراضى المراد ريها ، وكانت ترفع المياه الى هذه الاراضى من النهر مباشرة أو من الخلجان والترع والقنوات ٠٠٠٠٠٠٠٠ ويستخدم فى ذلك القواديس والشادوف والساقية »(٥٤) ٠

وكانت هذه الالات تستعمل بكثرة فى أسفل الارض ( أرض الدلتا الواقعة بين فرعى النيل ) والتى كانت تروى عن طريق ألف ساقية لدى ريف الجزيرة طوال العام(٥٥) « وعلى النيل أيضا دواليب كثيرة تسقى البساتين وقت نقصانه »(٥٦) كما أن مستوى ماء النيل فيها أقرب الى مستوى الارض الزراعية منه فى الصعيد ٠

ومن تلك الالات المستعملة لرفع الماء الى المستوى المطلوب « الساقية والقادوس والهمالية ، ومقدار ما تسقى الهمالية ، ومن

---

(٥٠) فتوح مصر وأخبارها ص ١٥ ٠

(٥١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٧٩ ٠

(٥٢) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ص ٦٩ ، النابلسى الصفدى : تاريخ الفيوم ص ٩ ، القاهرة ١٨٩٨م ٠

(٥٣) أبو صالح الارمنى : تاريخ الشيخ أبو صالح ص ٧٨ اكسفورد ١٨٩٥ ، والنابلسى الصفدى : تاريخ الفيوم ص ١١ ٠

(٥٤) المقريزى: الخطط جـ ١ ص ١٠٢ ، النابلسى الصفدى : تاريخ الفيوم ص ١١ ٠

(٥٥) Ency of Islam Ast Egypt.

(٥٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٨ ٠

الارض القريبة عشرة أفدنة وزيادة ، فاذا كانت الارض بعيدة فسبعة أفدنة الى مادونها ، ويكون لكل همالية سائق واحد ، وتجرها الابقار القوية »(٥٧) ٠

ولا شك أن مثل هذا الرى يكون ايسر واسهل كلما أرتفع منسوب المياه فى النيل أو الترع أو الخلجان ٠ وهناك بعض الاماكن تزرع بأكثر من محصول فى السنة الواحدة ، وهى التى تستخدم فيها طريقة الرى من جوف الارض من الابار والعيون يقول ابو صالح الارمنى(٥٨) « ومدينر قفط كانت عليها سواقى يزرع عليها وأن هذه السواقى ، كانت تدار بالابقار ، حيث كان قد أوقف للسواقى هذه أربعون زوج بقر » ٠

من ذلك العرض السابق الذى قدمناه لنظام الرى فى تلك الفترة نخلص الى أن النظام السائد هو نظام الرى الحوضى ، حيث كان يعتمد على محصول شتوى واحد ، بينما كانت هناك بعض الاماكن تروى ريا دائما مثل الاماكن القريبة من مجرى النهر ومثل الفيوم ، وتلك التى تروى بوسائل الرى والقريبة من الترع والخلجان ، والنوعان الاخيران لا يمثلان الا نسبة ضئيلة فى نظام الرى فى تلك الفترة ٠

---

(٥٧) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ، والهمالية هى المروى الرئيسى للمزرعة ويتفرع منها عدة قنوات ( ابن مماتى قوانين الدواوين ص ٤٥٩ ) مازال لفظ الهمالية مستخدما حتى اليوم فى بعض قرى محافظة سوهاج ويطلق على السواقى الحديدية التى تجرها الابقار ٠

(٥٨) تاريخ الشيخ أبو صالح ص ٦٩ ٠

# المقيـــــاس

أدى اهتمام المصريين بالنيل على مدى تاريخهم الطويل الى أن شغلوا بالحساب ووجهوا ذكاءهم الى حل مشكلات النيل حلا عمليا(٥٩) فعملوا على تسجيل ارتفاع النيل وانخفاضه منــذ الاسرة الاولى وحتى ايامنــا هــذه ٠

ولذلك اقاموا المقاييس فى المناطق المختلفة ، وعند الحديث عــن مقاييس النيل ، ويمكن تقسيمها الى قسمين :

**الاول** : ما قبل العهــد الاسلامى ٠

**والثانى** : بعــد دخول الاسلام الى مصر ٠

**مقاييس ما قبــل الاســـلام :**

اهتم الفراعنة ، فى كل عصورهم ، بمياه النيل وسواء كان ذلك راجعا لضرورة اقتصادية أو كان اصلاحا عاديا للتقدم بالبلاد(٦٠) ٠

وقد أهتم الملوك بتسجيل ما وصل اليــه النيــل فى فيضانه مــن ارتفاع ونقشوا علامات تدل على ذلك المستوى من عام الى عام عــلى الصخور فى منطقــة الشــلال الثانى(٦١) وذلك عنــد حصن سمنــه ، ليطمئنوا عــلى حالــة الفيضان ، ويتخذوا مــن الاحتياطات ما يكفى لمجــابهة الحــالة المنتظرة ، ليســتوى فى ذلك اذا كان الفيضــان عاليا أو أقل من المعتاد(٦٢) ٠

---

(٥٩) Emil Luduing : The Nile in Egypt P 330

(٦٠) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٢٣١ ، القاهرة ١٩٦٠ ٠

(٦١) برستــد : انتصار الحضارة ص ١٢٢ ، برستد تاريخ مصر مــن أقدم العصور ص ١٢٣ ، القاهرة ١٩٥٥ ( وكان يقاس فى قلعــة سمنه اقصى ارتفاع لمــاه النيل فى كل سنة فتاسس هناك مقياس للنيــل واستنتج من النقوش التى على احجار هذا المقياس ، أن ارتفاعات مياه النيل كانت أعــلى ممــا هى عليه الآن ، برستد : تــاريخ مصر فى أقــدم العصور ص ١٢٣ ) ٠

(٦٢) أحمــد فخرى : مصــر الفرعونية ص ٢٣١ ٠

وكان لهتمامهم بمقاييس النيل ، وبخاصة فى استصلاح الاراضى ومتابعة زراعتها ، يرجح أن نشاطهم فى العناية بالمقاييس قـد شمل كافة انحاء البلاد(٦٣) .

ويكتنف الغموض ما أوردته المراجع العربية حول مقاييس ما قبل الاسلام ، فقد أوردت صورة ، مضطربة عنها يغلب عليها الجو الاسطورى وتشوبها الخرافات ، فيذكر القلقشندى(٦٤) « ان خصليم السابع ( من ابطال الاساطير العربية التى حكيت حول تاريخ مصر قبل الإسلام ) من ملوك مصر بعد الطوفان ، صنع بركة ، لطيفة وركب عليها صورتى عقاب من نحاس ذكر ، انثى ، يجتمع عندها كهنتهم وعلماؤهم فى يوم مخصوص من السنة ، ويتكلمون بكلام فيصفر أحد العقابين فإن صفر الذكر استبشروا بزيادة النيل ، وإن صفرت الانثى استشعروا عدم زيادته فهيئوا ما يحتاجون اليه من طعام لتلك السنة » .

ويذكر ابن عبد الحكم(٦٥) ومن تبعه من المؤرخين(٦٦) إن أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ، وينسبون اليه أنه اقام مقياس منف كذلك ينسبون الى دلوكه العجوز بناء مقياسين . أحدهما بأنصنا وهو صغير الذراع ، ويذكر المقريزى(٦٧) عن هذا المقياس انه « كان كالطيسان وفى دائرة عمد على عدة أيام السنة الشمسية ، كلها من الصوان الاحمز الباتع ، ومسافة ما بين كل عمودين ، مقدار خطوة انسان ، وكان ماء النيل يدخل الى هذا الملعب من فوهة عند زيادة الماء ، فاذا بلغ ماء النيل الحد الذى كان اذ ذاك يحصل منه رى أرض مصر وكفايتها » ومقياس آخر بأخميم من بلاد الصعيد(٦٨) .

---

(٦٣) نفس المرجع والصفحة .

(٦٤) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٢٩٣ نسخة مصورة القاهرة ؛ قاسم عبده قاسم النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ٤٠ ، القاهرة ١٩٧٨م .

(٦٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ١٦ .

(٦٦) القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٣ ص ٣١ ، المقريزى الخطط حـ ١ ص ٧٥ .

(٦٧) الخطط حـ ١ ص ٢٠٤ .

(٦٨) القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٣ ص ٢٩٣ ، السيوطى ، كوكب الروضة مخطوط ص ٧٤ مكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج رقم ١٨٦ ، المنوفى : الفيض المديد ، مخطوط ص ٤٠ ، دار الكتب ٦٦ جغرافيا .

الا ان ابن مماتى ينسب هذين المقياسين الى ملوك العجم ويضيف اليهما مقياسا آخر بنـاء القبط فى قصـر الشمع(٦٩) ٠

ويضيف ابن ظهيرة وابو المحاسن(٧٠) الى جانب المقياس الـذى بنـاه القبط فى قصر الشمع مقياسا آخـر عملته الروم بالقصر ، وظلت آثاره الى عهد متأخر ٠ وبنى الرومان مقياسا عنـد حصن بابليون ، يقيسا ربه الاكسية وبذكر القضاعى انه ظل حتى ابتنى المسلمون أبنيتهم بيـن الحصن والبحر(٧١) ٠

**مقاييس ما بعـد فتـح العرب لمصـر :**

اهتم العزب عقب الفتح مباشرة بمتابعة ضبط نهر النيل ، ومعرفة مقدار الزيادة والنقص فى مياهه ولذلك قاموا بانشاء عدد من المقاييس فى مناطق مختلفة فى مصر لتكون معيارا صادقا للزراعة والرى والضرائب فى كـل عـــام(٧٢) ٠

وقـد أهتـم الخليفة عمر بـن الخطاب ببنـاء مقاييس جديـدة وكانت مقسمة على أساس الذراع ، وكل ذراع ينقسم الى أربعة وعشرين أصبعـا(٧٣) ٠ أهم تلك المقاييس :

ـ مقياس اسوان ، الذى أقامه عمرو بن العاص بعد فتـح مصـر كما ينسب اليه بناء مقياس آخر بد ندرة من بلاد الصعيد(٧٤) ٠

---

(٦٩) ابـن مماتى : قوانين الدواوين صـ ٧٥ ــ ٧٦ ( ينسب ياقوت معجم البلدان ج ٨ ص ١٢٩ ، والقلقشندى : صح الاعشى جـ ٣ ص ٢٩٣ ، والمقريزى ، الخطط حـ ١ ص ٥٦ ) هذا المقياس الى الروم وليس الى القبـط ٠

(٧٠) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٥٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٢ ، ص ٣١٠ ، القاهرة ١٩٦٣ ، ابن ظهيـرة : الفضائل الباهرة ص ٣٧٨ ٠

(٧١) ياقوت : معجم البلدان حـ ٨ ص ١٢٩ ، القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٢٩٤ المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٥٦ ــ ٥٧ ٠

(٧٢) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٣٩ ٠

(٧٣) القلقشندى : صبـح الاعشى حـ ٣ ص ٢٩٩ ، المقريـزى : الخطط حـ ١ ص ٥٨ ــ ٥٩ ، أبـو المحاسن النجـوم الزاهرة حـ ٢ ، ص ٣١٢ ــ ٣١٣ ٠

(٧٤) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٥٦ ــ ٥٧ ٠

ـ ومقياس آخر بناء عمرو بن العاص فى عهد معاوية بن أبى سفيان بأنصنا (٧٥) .

وظل هذا المقياس مستخدما منا حتى بنى عبد العزيز بن مروان مقياسا غيره بحلوان سنة ٨٠هـ ٦٩٩م (٧٦) .

ـ مقياس عبد العزيز بن مروان انشاه بحلوان عندما اتخذها مقرا له فى ولايته على مصر ( ٦٥ ـ ٨٦هـ ـ ٦٨٥ ـ ٧٠٥م) وهو مقياس

---

(٧٥) انصنـــا :

ورد فى تاريخ مصر أنه كان يوجد فى شرقى النيل بالصعيد بلدة قديمة تسمى بيزا BESA « بيسا » وفى سنة ١٣٠م أنشأ الامبراطور هدريان الرومانى بأرض بيسا قبرا لغلامأ انطونيو ( انطونيوس ) الذى غرق عندها فى النيل ، ثم بنى اعيان بيسا مساكنهم حول حدائق هذا القبر فعرفت المدينة من ذلك الوقت باسم مدينة Antinoe تخليدا لذكراه وبذلك اختفى اسم بيسا من عداد النواحى المصرية . ووردت فى كتاب البلدان لليعقوبى انها مدينة قديمة فى الجانب الشرقى من النيل .

ووردت فى الخطط التوفيقية باسم بيز وقال انها كانت موجودة قبل انصنا ويقال لمدينة انطنويه Enséné أو Acina وسماها العرب انصنا ، وكانت قاعدة كورة ويسميها القبط Enselé والعامة يقولون مدينة النصلة ، ووردت فى معجم البلدان بأنها مدينة أزلية على شرقى النيل من الصعيد ، وبالبحث تبين أن أسمها كان يطلق على زمامها أول القرن الثالث عشر الهجرى .....

ومكانها اليوم الاطلال الواقعة فى حوض مدينة النصلة ( المحرفه من أنصنا ) بأرض ناحية الشيخ عبادة الواقعة شرقى النيل بمركز ملوى بمحافظة المنيا ، اليعقوبى : البلدان ص٣٣١ ، ياقوت : معجم البلدان حـ١ ص٣٨١ ، محمد رمزى القاموس الجغرافى جـ١ ص١٣٢ ـ ١٣٣ ، دار الكتب ١٩٥٤ م

(٧٦) السيوطى : كوكب الروضة ص ٧٤ مخطوط ، ابن مماتى: قوانين الدواوين ص ٧٥ ـ ٧٦ ، المقريزى الخطط حـ ١ ص ٥٧ ، قاسم عبده قاسم ، النيل والمجتمع المصرى ص ٤١ .

صغير وهو أول مقياس تجمع المراجع العربية(٧٧) على انشائه فلم يذكر ابن عبد الحكم(٧٨) وهو الذى يعتنى بالمقاييس ما قام به عمرو بن العاص فى هذا الصدد - وهذا يعنى انه ربما قام عمرو ابن العاص بترميم المقاييس القائمة ، فكلام المراجع العربية يشكك فى قيامه بانشاء المقاييس بقولها « وينسب »(٧٩) .

- المقياس الذى بناه اسامة بن زيد التنوخى ( عامل الخراج ) بجزيرة الروضة وهو أكبر هذه المقاييس جميعا ، وقد تهدم بفعل مياه النيل(٨٠) ، ويرى ابن عبد الحكم(٨١) ان هذا المقياس أنشىء فى عهد الوليد ، بينما يرى المسعودى(٨٢) أنه بنى فى عهد سليمان بن عبد الملك ويبدوا أن الخلاف فى تاريخ بناء المقياس يرجع الى أن اسامه قام ببناء هذا المقياس مرتين الاولى سنة (٩٢هـ - ٧١١م) فى عهد الوليد(٨٣) ، ثم لما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة بعد أخيه الوليد اخبره أسامة ببطلان هذا المقياس فامره سليمان بأن يبنى مقياسا آخر فبنى ذلك المقياس سنة (٩٧هـ - ٧١٥م) (٨٤) .

- وبنى الخليفة المامون مقياسا بجزيرة الروضة ، ولكنه لم يتمه، ويبدو أنه كان محاولة ترميم المقياس الذى بناه اسامة بن زيد التنوخى(٨٥) .

---

(٧٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦ ، المسعودى المروج حـ ١ ص ١٦٤ ، السيوطى حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٢٢٠ ، القاهرة ١٣٢١هـ .

(٧٨) فتوح مصر ص ١٦ .

(٧٩) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٥٩ .

(٨٠) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٥٦ السيوطى : حسن المحاضرة حـ ٢ ص ٢٢٠ ، ابن مماتى قوانين الدواوين ص ٧٢ .

(٨١) فتوح مصر ص ١٦ .

(٨٢) مروج الذهب حـ ١ ص ١٦٤ .

(٨٣) Ency of Islam ast Al Nil

(٨٤) ياقوت : معجم البلدان حـ ١ ص ١٢٩ .

(٨٥) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٩٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٢١٦ ، السيوطى : حسن المحاضرة حـ ٢ ص ٢٢٠ .

ويرى كلوب بك(٨٦) أما مقياس الروضة أنشىء فى أيام سليمان ابن عبد الملك سنة ٩٧ ـ ٧١٥م وجدده سنة ١٩٠هـ ـ ٨٠٥م المأمون الخليفة العباسى ، ونقش فى عموده ما يشير الى ذلك وأمر بتنميه بعد بعده المستصر بالله العباسى وهو بذلك لم ينسب للمتوكل ايه علاقة بالمقياس ويرى بوبر Popper (٨٧) أن هذا الخطأ له علاقة بما ذكره الكندى(٨٨) « قدم المامون سنة سبع عشرة ومائتين فنظر الى المقياس وأمر باقامة جسرا آخر فعمل له هذا الجسر القائم بالفسطاط اليوم وترك القديم » وان الكتاب ربما نقلوا عن الكندى أو من مصدر آخر نقل عنه ، واضافوا بناء المقياس الى المامون ، كما يرى Popper أن المامون لم يقم بأى عمل أو تجديد فى المقياس .

ـ وبنى الخليفة المتوكل على الله العباسى فى سنة ( ٢٤٧ ـ ٨٦١م ) مقياسا فكان هذا المقياس ، وربما يكون قد اتم المقياس الذى بناه الخليفة المامون ، وقد ظل هذا المقياس الذى بنى سنة ٢٤٧ ـ ٨٦١م مستخدما فترة طويلة ، وقد اصلحه أحمد بن طولون سنة ٢٥٩هـ ـ ٨٧٣م (٨٩) .

وقد سمى هذا المقياس ، بالهاشمى وهو أشهر المقاييس الاسلامية حيث أصبح المقياس الرئيسى الذى يعتمد عليه(٩٠) .

ولم يشر ابن عبد الحكم(٩١) رغم اهتمامه بالمقاييس الى هذا المقياس ، مع انه انشىء قبيل وفاته بحوالى عشرة أعوام ، وقد

---

(٨٦) لمحة عامة الى مصر حـ ١ ص ٢٠١ تعريب محمد مسعود، القاهرة .

(٨٧) Popper : The Cairo Nilometer P.8.

(٨٨) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٩٢ .

(٨٩) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٧٥ ـ ٧٦ ، المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٥٧ ، ويذكر ابن دقماق أن هذا المقياس قد بنى سنة ٢٤٥هـ الانتصار حـ ٤ ص ١١٥ ، طبعة بولاق ١٣٠٩هـ القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٣ ص ٢٩٣ .

(٩٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٣١١ ويقول عن هذا المقياس « وبطل بعمارته كل مقياس كان بنى قبله من الوجه القبلى والبحرى باعمال الديار المصرية » .

(٩١) فتوح مصر وأخبارها ص ١٦ .

يكون السبب فى ذلك ان ابن عبد الحكم قد كتب كتابه قبيل وفاته بفترة لم يكن قد انشىء فيها المقياس . ولكن المسعودى(٩٢) يشير خطأ الى أن المقياس الذى اقامه أسامه بن زيد التنوخى « هو أكثرهما استعمالا واتخذ فى أيام سليمان بن عبد الملك بن مروان وهو المقياس الذى يعمل عليه فى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ، بالفسطاط » .

ومقياس المتوكل من أهم الاثار التى احتفظت الى الان بكثير من معالمها وحظيت بعناية المهتمين بدراسة التاريخ والاثار الاسلامية ويذكر ابن ايبك(٩٣) وابو المحاسن(٩٤) بأن الذى قام ببناء المقياس الهاشمى مهندس من العراق يسمي محمد بن كثير الفرغانى وقد استقدم خصيصا لهذا الغرض فى ولاية يزيد بن عبد الملك التركى ، وباشراف أحمد بن محمد الحاسب(٩٥) .

وقد حدث لبس فى نسبة عمود المتوكل ، وعمود مقياس اسامه فمثلا عمر طوسون(٩٦) يعتقد أن مقياس اسامه هو نفسه مقياس المتوكل فيقول « وهذا العامل (يعنى اسامه) هو الذى اقام فى عهد هذا الخليفة (سليمان بن عبد الملك) بناء مقياس النيل) الذى بالروضة الان ». كما يرى على مبارك(٩٧) أن عمود مقياس الروضة هو نفسه عمود مقياس اسامه ، فى حين يشك الاستاذ بوبر Popper فى ان عمود المقياسين واحد(٩٨) .

---

(٩٢) المروج حـ ١ ص ١٦٤ .
(٩٣) درر التيجان ص ٩٩ .
(٩٤) النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٣١١ .
(٩٥) يرى بوبر Popper (Popper op Cit. P 22 - 42) ان أحمد بن محمد الحاسب هو أحمد بن محمد بن المدبر ، وأن ابن المدبر بدأ عمله بمصر خلال سنة ٢٤٧هـ ـ ٧٦١م وهى السنة التى نقش فيها ابن الحاسب المقياس ، لذلك فهو يربط بين الاثنين ويجعلهما شخصا واحدا .
(٩٦) مالية مصر ص ٤٨ ، القاهرة ١٩٣١م .
(٩٧) الخطط التوفيقية حـ ١٨ ص ١٥ .
(٩٨)

ولكن الشهاب الحجازى(٩٩) عند حديثه عن مقياس اسامه ذكر « وهو عمود مدور ، وعمل اسفل تحت حائط المقياس ، الذى عمله المتوكل وهو باق الى الان «بينما عمود مقياس المتوكل مثمن»(١٠٠)٠

## مقـــاييس أخـــــــــرى :

ولقـد بنيت مقاييس أخـرى ، بعد هذا المقياس الهاشمى وأن ظـل هو المقياس الرئيسى المعتمد عليـه(١٠١) ٠

ومن هذه المقاييس ، مقياس أحمد بن طولون بجزيرة الروضة ، حيث ذكر المسعودى(١٠٢) انـه كان يستعمل « عنـد كثرة المـاء ، وترادف الرياح ، واختلاف مهابها ، وكثرة الموج » ٠

كما أن السيوطي(١٠٣) ينسب لابن طولون بنـاء مقيـاس آخـر فى قـوص ٠

وجاء فى معجم البلدان لياقوت(١٠٤) نقلا عن القضاعى « وبنى الخازن فى الصناعة مقياسا ، واثره باق لا يعتمد عليـه » وقـد نقـل المقريزى(١٠٥) وأبو المحاسن(١٠٦) هذه الجملة عن القضاعى مـع ذكـر اسـم الحارث بدلا من الخازن ٠

ولمـا كانت هذه الكتب الثلاثة ، تنقل عن القضاعى فالارجح أن الذى بنى هذا المقياس هـو الخازن وذلك :

ـ لان ياقوت أقرب الى عصر القضاعى من المقريزى وأبو المحاسن٠

---

(٩٩) تيل الرائد فى النيل الزائد ص ٤٠ مخطوط ٠
(١٠٠) المسعودى مروج الذهب حـ ٢ ص ٣٦٥ ٠
(١٠١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٣١١ ٠
(١٠٢) مروج الذهب حـ ١ ص ١٦٥ ٠
(١٠٣) حسن المحاضرة حـ ٢ ص ١٩٧ ٠
(١٠٤) حـ ٢ ص ١٢٦ ٠
(١٠٥) الخطط حـ ١ ص ٥٧ ٠
(١٠٦) النجوم الزاهرة حـ ٢ ص ٣١١ ٠

لم يذكر اى مرجع آخر أن الخازن بنى مقياسا ، فى حين ان ابن دقماق(١٠٧) يذكر أن الخازن(١٠٨) بنى مقياسا الأهراء على ساحل الفسطاط ٠

## وصف المقياس الهاشمى(١٠٩) :

هذا المقياس ظل مستخدما لفترة طويلة منذ أمر بانشائه المتوكل سنة ٢٤٧ - ٨٦١م وطوال عصر سلاطين المماليك ويهمنا لذلك أن نقف على وصف لهذا المقياس(١١٠) الرئيسى المعتمد عليه لفترة طويلة ٠

والمقياس يقع فى الطرف الجنوبى من جزيرة الروضة « دار المقياس هى الراس العريضة من الجهة الشرقية مما يلى الفسطاط وهى دار كبيرة يحيط بها من داخلها فى كل جهة اقبية دائرة على عمد وفى وسط الدار فسقية كبيرة عميقة ينزل اليها بدرج رخام على الدائرة ، وفى وسط الفسقيه عمود رخام قائم وفيه رسوم اعداد أذرع وأصابع بينها ، وعلى رأس العمود بنيان متقن من الحجر وهو ملون،

---

(١٠٧) الانتصار لواسطة عقد الامصار حـ ٤ ص ٩٩ ، مطبعة بولاق ١٣٠٩هـ ٠

(١٠٨) الخازن هو محمد بن عبد الله الخازن المتوفى سنة ٣٥٨ - ٩٦٩م ويذكر الاستاذ بوبر Popper أنه لما كان مقياس الروضة مستعملا فى ذلك الوقت فان الغرض من انشاء مقياس الخازن هو احتياج صناعة بناء السفن لمعرفة ارتفاع مياه النهر فى أى وقت من العام كما يحتمل استعماله للمقارنة ومراجعة ما يذكره حراس مقياس الروضة خصوصا وان السنين من ٣٥٢ - ٣٥٦هـ ( ٩٦٣ - ٩٦٧م ) كان النيل ناقصا والمجاعة تخيم على البلاد ؛

Popper : op cit. p. 11 - 51

(١٠٩) كامل عثمان : مقياس النيل فى جزيرة الروضة ، نقد عبد الرحمن زكى المجلة التاريخية المصرية سنة ١٩٥١م ص ٢٦٤ ٠

(١١٠) المقدسى : أحسن التقاسيم ص٢٠٦ ، الادريسى : صفة مصر ص١٤٤ ، المقريزى : الخطط حـ١ ص٥٨ ، ابن دقماق : الانتصار حـ١ ص١٤٤ ، ابن الوردى : خريدة العجائب ص١٥٦ ، القاهرة ١٢٨٠هـ المتوفى : الفيض المديد ص ٤١ - ٤٢ مخطوط ٠

ومرسوم بالذهب واللازورد ، وانواع الاصباغ المحكمة ، والماء يصل الى هذه الفسقية على قناة عريضة ، نصل بينها وبين مـاء النيـل ، والماء لا يدخل فى هذه الجباية الا عند زيادة ماء النيل ، وزيادة مـاء النيل تكون فى شهر أغسطس »(١١١) ٠

ويقول المسعودى(١١٢) « والاذرع التى يستسقى عليهـا بمصـر هما ذراعان تسميان منكرا ، ونكيرا ، وهى الذراع الثالثة عشر والذراع الرابعة عشر ، فاذا انصرف المـاء عن هاتين الذراعين ، وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة ، واستسقى الناس بمصر ، كان الضرر شامـلا لكـل البلدان ٠٠٠٠ ، واذا اتـم خمس عشرة ودخـل فى سـت عشـرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض النـاس ، ولا يستسقى فيـه وكـان نقصا مـن خراج السلطـان » ٠

والمقياس عبارة عن عمود رخـام مثمن قسـم الى تسـع عشـرة قطعـة طول كـل منهـا ذراع ، وقسمت كل منهـا الى أصابع ، وقـد قسمت كل من الاثنتى عشرة ذراعا الاولى الى ثمانية وعشرين اصبعـا بينما قسمت كل من الاذرع الباقية الى أربعة وعشرين أصبعا(١١٣) ٠

---

(١١١) الادريسى : صـفة مصر ص١٤٤ ٠

(١١٢) مروج الذهب ج١ ص١٦٣ والمقريزى : الخطط ج١ ص٥٩ ٠

(١١٣) هناك روايتان حول سبب تقسيم عمود المقياس على هذا النحو ، تقول الرواية الاولى انه لمـا فتحت مصر عرف عمر بن الخطاب رضى الله عنـه ، ما يلقاه أهلها مـن القحط عند قصور النيل فاقترح عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أن يبنى مقياسا ويقسمه على هـذا النحو ( القلقشندى : صبـح الاعشى جـ٣ ص ٢٩٥ ، السيوطى : حسن المحاضرة جـ٢ ص ٢٧٤ ــ ٣٧٥ المقريزى الخطط جـ١ ص ٥٩) ٠ بينما تقول الرواية الثانية أن المهندسين حيـن اجتمعوا لعمـل قانـون الـرى للبلاد المصرية اخبروا الخليفة المتوكل أن كفايتها من ستة عشر ذراعا ولكنهم حين أعادوا النظر اكتشفوا أن الكفاية فى ثمانية عشر ذراعا وخشوا ان يتهمهم الخليفة بالعجز فقسموا الذراعين على الاثنتى عشرة ذراعا الاولى لتكون كل منها ثمانية وعشرين أصبعا وتبدو الرواية الثانية أكثـر منطقية ، كما أن المقياس الذى بناه المتوكل هو الذى نصفـه ، كمـا أن التقسيم فى الرواية الاولى غير واضح السبب ، المتوفى : القيض المديد مخطوط ص٤٠، قاسم عبده قاسم : النيل والمجتمع المصرى ص٤٢

وكانت قاعدة المقياس حوالى ذراع ويبلغ طول عمود المقياس تسع عشرة ذراعا فقط(١١٤) ومع ذلك فان الزيادة كان ينادى عليها احيانا عشرون ذراعا وأكثر . وكان قياس ذلك يتم عن طريق ملاحظة الخط الكوفى الذى بدائرة الفسقية ، ويدخل بوسط هذا العمود الرخام عمود حديد يمسك قطع الرخام ، وبأعلى القاعدة سقالة من الخشب مجوفة ومحشوة رصاصا حتى تعطى عمود المقياس الثقل المطلوب لتثبيته ، ويصل ماء النيل الى هذه الفسقية من ثلاثة سروب (فتحات) بعضها فوق بعض طول كل منها نحو السبعين ذراعا ، والحكمة فى ذلك أن السرب ( الفتحة ) اذا كان قريبا يتحرك الماء داخل الفسقية واذا كان بعيدا لا يتحرك داخلها(١١٥) أى ليظل الماء ساكنا داخل الفسقية بعيدا عن أمواج النهر حتى يمكن قياسه .

وقد كان أقباط مصر هم الذين يتولون قياس النيل حتى سنة ٢٤٧هـ ـ ٨٦١م،حين بنى الخليفة المتوكل مقياس «الروضة»،فأمر بعزل النصارى من ولايته ، وان يتولاه مسلم فتم اختيار « أبى الرداد المعلم » وأسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى الرداد المؤذن وبقى حتى توفى سنة ٢٦٦هـ ـ ٨٧٩م(١١٦) ، وبقى هذا العمل فى ذريته من بعده(١١٧) . ويقول الكندى(١١٨) « ورد كتاب المتوكل

---

(١١٤) ابن دقماق : الانتصار بواسطة عقد الامصار حـ٤ ص ١١٤

(١١٥) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار حـ٤ ص١١٤

(١١٦) أحمد تيمور باشا : اعلام المهندسين فى الاسلام ص ٢٣ ، القاهرة ١٩٥٧م .

(١١٧) ينقل الاستاذ بوبر Popper عن (Popper op Vonsleb cit P 58) ان الكتاب المسلمين لم يذكروا سبب جعل النظر فى المقياس وراثى فى أسرة ابن الرداد ولكن حسب رأى الاقباط المتاخرين أن الرداد هذا كان قسيسا قبطيا يدعى رادات Raddat اسلم فكوفىء على اسلامه بأن جعل أمر المقياس خاصا بذريته ، وهو قول ظاهر الخطأ فان الكتاب العرب اجمعوا على أن ابن الرداد كان فقيها من البصرة وكان مسلما تقيا . وربما كان أمر المقياس من قبل وراثيا فى أسرة قبطية ، فجعل وراثيا فى أسرة ابن الرداد . وربما كانت قراءة المقياس تحتاج الى خبرة يتوارثها الخلف عن السلف مما جعل من الافضل حصرها فى أسرة واحدة .

(١١٨) الولاة والقضاة ص ٢٠٣ .

بابتناء المقياس الهاشمى للنيل ، وبعزل النصارى عن قياسه فجعل عليها أبا الرداد المعلم »(١١٩) واجرى عليه سليمان بن وهب صاحب الخراج(١٢٠) سبعة دنانير وذلك سنة ٢٤٧هـ ٠

ولكن المتوفى(١٢١) ٠ يذكر «أن القاضى بكار هو الذى كاتب فى ذلك المتوكل وانه لا ينبغى أن يتولاه الا من يوحد الله تعالى ، فكتب اليه افعل ما شئت ، وول من أردت فولاه عبد السلام الرداد » ٠

وظل افراد هذه الاسرة يذكرهم المؤرخون عند وفاء النيل كل عام ويلقبون بقاضى النيل تارة ، وبمهندس النيل تارة أخرى ، فلا يبعد أن يكون منهم من درس الهندسة المتعلقة بمياه النيل والمقاييس فاستحق هذا اللقب(١٢٢) ٠

ولقد كانت هناك قوه من الجنود تتولى حراسة دار المقياس(١٢٣) لما لاهميته حتى تحافظ عليه بصورة دائمة ٠

أما عن طريقة القياس ، ووقته وكيفية النداء على الزيادة فقد اختلف ذلك من عصر لاخر ، ففى أول الامر كان ينادى على زيادة النيل كل يوم ، وذلك منذ أواخر بؤنه ( أوائل يوليو ) ويرجح أن الاعلان اليومى كان يذاع فى المسجد الجامع(١٢٤) ٠ ويرفع الى السلطان فى كل يوم مقدار ما زاد ثم ينادى المنادى « أن الله عز وجل

---

(١١٩) أصله من البصره ثم انتقل الى مصر وحدث بها لقب بالمؤذن وبالمعلم ( الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٠٣ ، المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٥٨ ٠

(١٢٠) يذكر ناصر خسرو الذى زار مصر أيام الفاطميين أن عامل المقياس كان راتبه الف دينار وهذا قول مبالغ فيه ، سفر نامه ص ٤٢ ٠

(١٢١) الفيض المديد ، مخطوط ص ٦٧ ــ ٦٨ ٠ الكندى : الوزة والقضاة ص ٥٠٧ ٠

(١٢٢) أحمد تيمور باشا : اعلام المهندسين ص ٢٤ ٠

(١٢٣) Popper op cit p. 11-15

(١٢٤) ابن رستة : الاعلاق النفيسة ص ١١٦ ٠

قـد زاد فى النيل المبارك كذا وكذا ٠٠٠٠٠ ولا ينادى عليه الا بعـد أن يبلغ اثنى عشر ذراعا »(١٢٥) ٠

وقـد كان اعلان الزيادة أو عدمها يؤدى الى ارتفاع الاسعار والى احتكار بعض التجار المستغلين ، وللافاة ذلك أصدر الخليفة المعز لدين الله أمره بابطال النداء ، وابلاغ الخليفة برقعة (ورقـه) بزيادة النيل اليومية وذلك فى شوال ( ٣٦٢هـ ـ ٩٧٢م ) (١٢٦) ٠

---

(١٢٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٦ ٠

(١٢٦) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٣ ص ٥١٦ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٦١ ٠

# الفيضـــــان

الحضارة المصرية عبـر كـل العصور حضارة نهريـة ، فالتربيـة المصرية تربـة منقولة ، فمعظمها كان نتيجة تراكم الرواسب النيلية ، وهى عبارة عن تكوين فيضى من ترسيبات الطمى يجلبه النيل فى فيضانه السنوى ، وعلى هذه الترسيبات قامت الزراعة ، وكانت ولا تزال عصب الاقتصاد المصرى . ولما كانت الزراعة تعتمد على مياه النيل «وزروعهم بمـاء النيل تمتد فتعم من حـد اسوان الى حـد الاسكندرية» (١٢٧) وذلك لان امطار مصـر شتويـة قليلة ولا يمكن الاعتماد عليها الا فى زراعـة محاصيل شتويـة بسيطة على السواحل الشمالية(١٨٢) .

ومما سبب غنى الارض المصرية وخصوبتها ان التربـة تتجدد كل عام،فان استنفذت الزراعة ما فيها من المواد الخصبة عوض هذا الفقـد أو بعضه بما يأتى به النيل فىالعام التالى(١٢٩) وقد شغلت مسألة مصدر ميـاه النيل ابان الفيضان اذهان المفكرين زمنا طويلا وعلى كـل حال فان ارتفاع ضفتى النهر عن منسوب المياه فى المجرى نفسه ، كان يحول دون أن تغمر الميـاه المزارع على جانبى النهر ولـم يكن ذلك يحـدث الا فى الفيضانات العالية . وبخلاف ذلك كانت الارض الزراعية المصرية تروى من نظام محكم « فمن حكمة الله أنه جعل فى نيل مصر من حكمة الزيادة فى زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البـلاد وهبوط المـاء فيها عنـد بـدء الزراعة ، ولولا ذلك لفسد اقليم مصر »(١٣٠) ولذلك فالمصريون لا يرتاحون للمطر ، فالامطار ضـارة بهم لا يزكـو عليها زرعهم ولا تخصب عليها أرضهم » (١٣١) .

---

(١٢٧) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٩٧ .

(١٢٨) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٩ .

(١٢٩) محمد عوض محمد : نهر النيل ص ٢٦٥- ٢٧٦ ، الطبعة الخامسة ، القاهـرة ١٩٦٣ ، قاسـم عبـده قاسـم : النيـل والمجتمع المصرى ص ١٣ .

(١٣٠) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٦٣ .

(١٣١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٧٤ .

وأرض مصر « رملية لا تصلح للزراعة ، لكنه يأتيها طين اسود فيه دسومة كثيرة يسمى الابليز ، يأتيها من بلاد السودان مختلطا بماء النيل عند مده ، فيستقر الطين وينضب الماء ، فيزرع ويحرث وكل سنة يأتيها طين جديد ، ولهذا تزرع جميع أراضيها ولا يراح شىء منها كما يفعل فى العراق والشام » (١٣٢) .

ويقول ابن مماتى(١٣٣) « وليس فى الدنيا نهر يجرى فى أشد ما يكون من الحر غير النيل ، وليس فى الدنيا نهر يزيد وينقص على ترتيب الا النيل ، وليس فى الدنيا نهر يجرى اذا نقصت مياه الدنيا الا النيل » .

ونظرا لان نهر النيل كما يقول ابن الكندى (١٣٤) « يزيد بترتيب » فقد كانت الارض الزراعية المصرية تروى عن طريق نظام محكم فى الرى ، مما جعل المصريين يستبشرون بفيضان النيل لانه المصدر الرئيسى للرى » فمصر مستغنية عن المطر غير مرتاحة ولا محتاجة اليه(١٣٥) .

ويعتمد قيام الزراعة ونجاحها فى مصر على فيضان النيل ، فهو يحمل اليها الماء اللازم لنمو الزرع ، كما يحمل اليها الغرين اللازم لتغذية الزرع ، وهو فى كل عام يعوض الفاقد من المواد الخصبة بما حمله من « طين أسود فيه دسومة »(١٣٦) .

ولذلك فاذا كان الفيضان منخفضا لم تتمكن مصر من رى أراضيها وينقص بذلك ما تغله من غلات ، وربما حدثت المجاعات وانتشرت الاوبئة ، واذا كان الفيضان مرتفعا أدى ذلك الى اغراق البلاد ، مع ما يحمله ذلك من دمار واتلاف للمزارع والبيوت والنسل . و فى كلتا الحالتين تصبح البلاد مهدده بالقحط .

---

(١٣٢) البغدادى : الافادة والاعتبار ص ٦ .
(١٣٣) قوانين الدواوين ص ٧٣ .
(١٣٤) فضائل مصر ص ٦٣ وياقوت معجم البلدان حـ٨ ص٣٦١ .
(١٣٥) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٢ .
(١٣٦) البغدادى : الافادة والاطتبار ص٦ ويقصد الطمى المجلوب من اعالى النيل .

لذلك سندرس هذا الموضوع عى النحو التالى :

- موعـــد الفيضـــان ٠
- أسبـــاب الفيضـــــان ٠
- التنبـــؤ بالفيضــــــان ٠
- مناسيـــب الفيضــــــان ٠

## موعـــــد الفيضـــــــان :

تبـدأ زيادة نهر النيل عادة فى شهـر بؤنـه (يونيو) من الشهور القبطية ، وتستمر طـوال شهـر ابيب ومسرى (يوليو وأغسطس) واذا كـان النيل زائدا ظـل طوال شهر توت(١٣٧) (سبتمبر) وتبدأ ميـاه الفيضان فى الانحسار عن وجـه الارض فى عشرين بابـه (أكتوبر) أى أن مـدة الفيضان حوالى ثلاثة شهور وخمسة وعشرين يوما(١٣٨) ٠ ونلاحظ بدايـة الفيضـان فى أسوان(١٣٩) وعندما يبلغ الفيضان اقصى زيادته تفتح الخلجان والترع حتى تصـل ميـاه الفيضان الى الاراضى الزراعية ، ويطلق المـاء فى جميـع نواحيه التى تبعـد عـن جنبـات النهـر(١٤٠) لترويها ثم يبدأ النيل فى الانخفاض بعد ذلك ٠

ويصف ناصر خسرو(١٤١) فترة الزيادة هـذه بقولـه « يتزايد المـاء أربعين يوما من بـدء الفيضان الى أن يبلغ ثمانى عشرة ذراعـا ويبقى على هذا أربعين يومـا لا يزيد ولا ينقص ، ثم يتدرج نحـو النقصان مـدة أربعين يوما أخرى حتى يصل الى هـذا الحـد الـذى كـان عليـه فى الشتـاء » ٠

وفى تلك الحالة ينتشر مـاء الفيضان ، ويغطى وجه الارض هكذا تكون زيادة النيل بترتيب مما يضفى على الحياة صورة منظمة تساعد

---

(١٣٧) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ص١٣٦ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص٢٠٦ ٠

(١٣٨) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص٧٤ ، ابن اياس : نشق الازهار ص٤٣ ٠

(١٣٩) ابن حوقل : كتاب صورة الارض ص ١٣٦ ٠

(١٤٠) نفس المرجع والصفحـة ٠

(١٤١) سفـر نامـة ص ٤٣ ٠

على قيام حياة زراعية مستقرة ، بل أن النيل بانتظامه ساعد على نشأة التقويم المصرى(١٤٢) وهو الذى حدد موعد الزرع عندما يبدأ فى التناقض وقد حددها ناصر خسرو بأربعين يوما(١٤٣) لتعود كما كانت عليه فى الشتاء ويصور لنا المصريين فى عملهم الدائب للزراعة « فحينما يبدأ الماء فى التناقض يتبعه الزراع ، فكلما جفت بقعة زرعوها الزرع الذى يريدونه » ، واذا نضب الماء أخذوا فى الحرث والبذر وكلما خرج من تحت الماء شىء من الأرض زرع حتى يعم الزرع أراضى مصر كلها ٠

## أسباب الفيضان :

كان الجغرافيون قبل الاسلام يعرفون أسباب فيضان النيل ، وانه نتيجة امطار تسقط على بلاد الحبشه والسودان صيفا ٠ولما جاء العرب وجدوا نهر النيل « يزيد ويمد فى أشد ما يكون من الحر حين تنقص أنهار الدنيا وعيونها »(١٤٤) ويروى ابن عبد الحكم(١٤٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاص « نيل مصر سيد الانهار سخر الله كل نهر من المشرق والمغرب ، فاذا أراد الله أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده ، فأمدته الانهار وفجر الله الارض عيونات ، فاذا انتهت جريته الى ما أراد الله أوصى الله الى كل ماء أن يرجع الى عنصره » ٠

ويقول ابن عبد الحكم أيضا « أن معاوية بن ابى سفيان سأل كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله خبرا قال : أى والذى خلق البحر لموسى انى لاجده فى كتاب الله ، أن الله يوحى اليه فى كل عام مرتين ، يوحى اليه عند جريته أن الله يامرك أن تجرى فيجرى ثم يوحى اليه بعد ذلك يانيل عد حميدا » ٠

---

(١٤٢) نعمات أحمد فؤاد : النيل فى الادب المصرى ص ٤٦ ، القاهرة ١٩٦٢ ٠

(١٤٣) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٩ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٦ ، ناصر خسرو : سفر نامة ص ٤٣ ، البغدادى مراصد الاطلاع حـ ٣ ص ٢٦٠ ــ ٢٦١ ٠

(١٤٤) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٦٢ ــ ٦٣ ٠

(١٤٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٤٩ ٠

إلا أنه منذ القرن الثالث الهجرى على الاقل عرف العرب أن فيضان النيل نتيجة أمطار تسقط فى الصيف(١٤٦) وأن هذه الامطار تسقط فى الجنوب وخاصة على بلاد الحبشه •

الا أن بعض المؤرخين مثل القضاعى(١٤٧) وابن الوردى(٤٨) يذكران أن الفيضان يكون نتيجة هبوب رياح شمالية تهىء البحر المالح فيقف أمام النيل كالسد فيزيد ماؤه وذلك رغم شيوع حقيقة أن الامطار هى سبب الفيضان بسقوطها على بلاد الحبشة وجنوب السودان والتيفاشى(١٤٩) يحاول التوفيق بين سقوط الامطار فى الجنوب وبين وقوف البحر أمام وجه النيل ، ويرجع الاثنين الى سبب واحد فيقول(١٥٠) « أن سبب زيادة النيل هبوب ريح يسمى المتن وذلك لأنها أولا تحمل السحاب الماطر خلف الاستواء فتمطر ببلاد الحبشة والنوبة ، وثانيا انها تأتى فى وجه الملح فيقف ماؤه فى وجه النيل فيتراجع حتى يروى البلاد » وربما كان يقصد أن الرياح تعوق انطلاق مياه النيل الى البحر المتوسط ويرى النويرى(١٥١) أن الفيضان سببه ذوبان الثلوج فى ، الصيف •

ومهما يكن من أمر فقد عرف أن الفيضان نتيجة الأمطار « ان زيادته بسبب أمطار كثيرة تكون ببلاد الحبشة »(١٥٢) • وقد لاحظ مؤرخو العصور الوسطى أن نهر النيل يخضر ماؤه مع بداية الزيادة مع تغير لونه وطعمه ورائحته وهو ما كانت نسميه عامة أهل مصر « توحم النيل » وأن مياه النهر لا تكون صالحة للشرب فى ذلك الوقت ، ويذهبون الى أن السبب فى ذلك هو أن البطيحات التى يخرج منها النيل يتغير ماؤها فى ذلك الوقت لقلته ، كما أن الوحوش فى

---

(١٤٦) اليعقوبى : البلدان ص ١٢٨ •

(١٤٧) ياقوت : معجم البلدان حـ ٨ ص ٣٦١ والقضاعى من القرن الخامس الهجرى •

(١٤٨) خريدة العجائب : ص ١٤٢ وهو من القرن التاسع الهجرى •

(١٤٩) شرف الدين أحمد بن يوسف التيفاشى : ٦٥١هـ ـ١٢٥٣م

(١٥٠) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٨٥ •

(١٥١) النويرى : نهاية الارب حـ ١ ص ٢٦٣ •

(١٥٢) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٢٠٥ •

اعالى النيــل ولا سيما الفيلة كانت تهرب من شدة الحر الى البحيرات فى اعالى النيل ، وترقد فيها وينتج عن ذلك أن يتغير لون المياه ليميل المخضرة ، وتليهــا مياه الفيضان الحمراء ، ثم المكدرة مما شــابه من الى الخضرة ، وتأتى مياه الفيضان الجديدة لتدفع أمامها بهذه الميــاه الصخــور وفتاتــه المتساقــط تجرفــه ميــاه الامطار مــن فــوق جبــال الحبشة(١٥٣) وفى ذلك يقــول المســعودى(١٥٤) « فيبدأ مخضرا ثم محمرا ثــم كــدرا ثم يتدافع بأمواجه ويترامى بسيوله » .

**التنبــؤ بالفيضـــــــان :**

نظرا لاهمية الفيضان وارتباطه بقيــام الزراعة عصب الحيــاة فى مصــر ـ عــلى مــر العصور فقــد حاول المصريون أن يتنبؤا بأحــوال الفيضان قبل موعده ، حتى يعملوا حساب ما قــد يحدث استنادا الى هذا التنبؤ ، وقــد يكون التنبؤ بناء على مشاهدات علميــة أو اساطير أو ظواهر فلكيــة أو تجارب عملية ، يستنتجون منهــا بطول التجربة والخبرة ما سيكون عليه الفيضان .

فالمقريزى يذكر انه « عند حلول برج السرطان ينظر الى الزهرة وعطارد ، والقمــر فــان كــان فى سيرها الاكبــر فالفيضان مرتفــع ، والا فالفيضان مقصرا ومتوسط بحسب حالها(١٥٥) .

ويذكر المنوفى(١٥٦) « اذا أردت أن تعرف النيل ، يعنى زيادته ونقصانه فى أى سنــة شئت ، فتعبر ذلك بالقمر عند نزول الشمس برج الجمــل ، فان كان القمــر فى برج الحمــل أو الاسد أو القوس ، فهذه بروج نارية تدل على قلة المــاء ونقصــانه ، وان كان القمــر فى بــرج الثور أو السنبلة أو الجدى فهؤلاء بروج ترابية ، يكون النيل وســطا ، يكون النيل كثــير الرى ويخشى عــلى الارض أن تستبحــر كثرة المــاء ، وان كان القمر فى برج السرطان أو العقرب أو الحوت فهذه بروج مائية وان كان القمر فى برج الجوزاء أو الميزان أو الدلو فهؤلاء بروج هوائية يكــون النيــل كثيــر المنافع » .

---

(١٥٣) ياقــوت : معجــم البلــدان حـ ٤ ص ٣٦٢ ، البغدادى : الافادة والاعتبار ص ٤٥ المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٦٧ .
(١٤٥) المسعود : التنبيــه والاشراف ص ٢٠ .
(١٥٥) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٦٨ .
(١٥٦) المتوفى : الفيض المديد مخطوط ص ١٧ ـ ١٨ .

وقد وجد العرب اقباط الصعيد يزعمون بأنهم يتكهنون على معرفة مقدار الزيادة فى فيضان النيل بطين وزنه ستة عشر درهما ، يزنونه ليلة الثانى عشر من بؤنه ، ويكون قد مر على هذا الطين ماء النيل ، ثم يعاد وزنه عند طلوع شمس الغد ، فمقدار الزيادة من الخراريب ، يكون مقدار ما سيزيد النيل من الاذرع ، ويذكر المقريزى(١٥٧) انه جرب ذلك بنفسه فوجده صحيحا وقوم يتكهنون من حمل النخيل ، وقوم من تعسيل النحل ويرى البغدادى(١٥٨) أنه رأى الغالب من حال القاع ، انه اذا كان أقل من المعتاد كانت الزيادة فى تلك السنة أقل من المعتاد ، وأن الخضرة دليل على قلة الزيادة كما ان التجربة عند قدماء الاقباط، أنه اذا كان الماء فى اثنى عشر يوما من مسرى اثنتى عشر اصبعا من اثنتى عشرة ذراعا فهى سنة ماء ، والا فالماء ناقص(١٥٩) .

ويقول المسعودى(١٦٠) « والفرس الذى يكون فى نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطوه الى بعض المواضع من الارض علم أهل مصر أن النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زايد عليه ، ولا مقصر عنه ، ولا يختلف ذلك عندهم لطول العادات والتجارب .

ويذكر المقريزى(١٦١) العديد من التكهنات التى تدل على مقدار الاهتمام بالفيضان لما له من أهمية بالغه على حياة البلاد واقتصادياتها وعلى ارزاق الناس ومصير حياتهم(١٦٢) .

---

(١٥٧) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٦٨ .

(١٥٨) الافادة والاعتبار ص ٤٦ .

(١٥٩) المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٥٩ ، البغدادى : الافادة والاعتبار ص ٤٦ ـ ٤٨ .

(١٦٠) مروج الذهب حـ٢ ص٢٩٣ .

(١٦١) الخطط حـ ١ ص ٦٨ .

(١٦٢) فى هذا المجال يذكر ابن خلكان فى ترجمة لاحمد بن اسماعيل النحاس النحوى المصرى متوفى سنة ٣٣٨هـ عن سبب وفاته ان شخصا رآه جالسا على سلم المقياس يقرض شعرا ، فظنه يسحر للنيل ، حتى لا يزيد فالقاه فى النيل فغرق ، ويرينا ذلك مقدار الهلع الذى يصيب المصريين لكل ما يظنونه متعلقا بنقص الفيضان حتى يصل الامر الى حد القتل على الشبهه ( ابن خلكان : وفيات الاعيان حـ ١ ص ٣٥ ـ ٣٦ ، بولاق ١٢٨٣هـ ) .

## مناسيب الفيضـــان :

يتوقف على فيضان النيل نجاح الزراعة واستقرار الحياة فى مصر فاذا كان فيضان النيل منخفضا استحال رى الاراضى وبالتالى استحالت الزراعة وما يتبعها ، وكذلك اذا زاد الفيضان عن الحد المعتدل ، كان ذلك ايضا سببا فى غرق البلاد ، وما يتبعه من تلف ودمار وفساد للزرع والمنشآت وفى كلتا الحالتين تصبح البلاد فى حالة من السوء والقحط .

ولقد تعرض المؤرخون العرب للفيضان ، ولكن هناك ملاحظتين نذكر كلاهما قبل الحديث عن مناسيب الفيضان :

**الاولى :** أن المنسوب الذى كان كافيا للرى فى بداية الفتح الاسلامى لمصر ، أصبح فى نهاية عصر الولاة ، وبداية العصر الفاطمى غير كاف ، ويتغير هذا المنسوب كلما تاخرنا فى التاريخ ويرجع ذلك الى ارتفاع منسوب الأراضى على ضفتى النهر سبب تراكمات الطمى المجلوب مع الفيضان السنوى للنهر .

**الثانية :** أهمال صيانة شبكة الجسور والترع والقناطر فى فترات ضعف الولاة ، أو فترات الاضطرابات ، وهى التى تروى منها الأراضى الزراعية القريبة والبعيدة عن مجرى النهر على حد سواء .

ومع هذا التغير ، ظل بلوغ الزيادة فى نهر النيل تمام الستة عشر ذراعا ، وهو علامة الوفاء التى عندها يستحق الخراج وتروى غالبية الارض .

وفى ذلك يقول المسعودى(١٦٣) « فاذا انتهت الزيادة الى ست عشرة ذراعا ففيه تمام الخراج ، وخصب للارض ، وريع للبلد عام ، وهو ضار للبهائم لعدم المرعى الكلأ وأتم الزيادات دَنها العامة النفع للبلد كله سبع عشرة ذراعا وفى ذلك كفايتها ، ورى جميع أراضيها ، واذا زاد على السبع عشرة وبلغ ثمانى عشرة ذراعا وغلقها (أتمها) استبحر من أرض مصر الربع ، وفى ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من وجه الاستبحار وغير ذلك وان كانت الزيادة ثمانى عشرة ذراعا كانت العاقبة فى انصرافه حدوث وباء لمصر وأكثر الزيادات ثمانى

---

(١٦٣) مروج الذهب حـ ١ ص ١٦٣ .

عشرة ذراعا ، وقد كان النيل بلغ فى زيارته تسع عشرة ذراعا ، وذلك ستة تسع وتسعين » .

ولكن اذا انصرف الماء « عن ثلاث عشرة وأربع عشر وزيادة نصف ذراع عن الخمس عشرة واستسقى الناس بمصر وكان الضرر شاملا لكل البلدان » واستثنى بعض الاماكن فى حد السقى فقال « فاذا أتم خمس عشرة ودخل فى ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك نقصا من خراج السلطان » هذا ما أورده المسعودى(١٦٤) ويتبعه فيه المؤرخون فيقرر القلقشندى(١٦٥) أن هذا التقسيم لمناسيب الفيضان ظل ساريا حتى بداية القرن الثامن الهجرى تقريبا ( الرابع عشر الميلادى ) .

وقد أورد عبد اللطيف البغدادى فى كتابه الافاده والاعتبار(١٦٦) والذى ألفه سنة ٦٠٠هـ - ١٢٠٣م ، تقسيما طريفا للفيضان - حقيقة انها اختلف الى حد ما عن العصر الذى ندرسه ، وذلك لارتفاع منسوب الارض - وقد جعل للفيضان نهايتين وهما نهاية الضرورى وبداية الإفراط ، وتفصيل ذلك أن نهاية الضرورى هى الحد الاقصى للماء اللازم لرى البلاد وهى ثمانى عشرة ذراعا ، أما نهاية الافراط ومعناها الزيادة المفرطة الى الحد الاقصى الذى تصل اليه مياه النهر وهى عشرون ذراعا ، تصل فى احيان قليلة الى احدى وعشرين ذراعا، واما ما سماه بداية الافراط فهو ما قل عن نسبة الست عشرة ذراعا وهى بداية الضرر الناتج عن نقص مياه الفيضان ، ويذكر البغدادى أن الست عشرة ذراعا هى « ماء السلطان اذ عنده يستحق الخراج» وتروى هذا النسبة نحو نصف الاراضى الزراعية فى البلاد المعتادة بالرى وتغل ما يكفى أهل البلاد قوت عامهم فى سعة ، ويتم رى باقى البلاد بما يزيد عن الست عشرة ذراعا « واذا زاد ذراعا واحدة زاد خراج مصر مائة ألف دينار لما يروى من الاراضى العالية » (١٦٧) .

---

(١٦٤) المسعودي : نفس المرجع والصفحة .
(١٦٥) صبح الاعشى حـ ٣ ص ٣٠٠ .
(١٦٦) ص ٤٣ - ٤٦ .
(١٦٧) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٦٠ .

حتى إذا وصلت المياه الى ثمانى عشر ذراعا روت كل الأراضى وانتجت ما يكفى أهل البلاد عن سنتين فأكثر ويرى الدمشقى(١٦٨) ان هذا المقدار يعتبر فى مصر أما فى الصعيد الاعلى فيكون اثنتين وعشرين ذراعا لارتفاع هذه المنطقة . أما إذا نقصت مياه النهر عن الست عشرة ذراعا ، فإنها لا تكفى لرى كل الاراضى ويقال حينئذ « ان البلاد شرقت » (١٦٩) .

ويذكر البغدادى(١٧٠) أهمية الفيضان فى الرى والزراعة ويربط ذلك بنشاط المصريين القدماء الذين جعلوا أول سنتهم مع الفيضان .

وقد ظلت النسبة التى أوردها المسعودى ، هى الاساس الذى سار عليه نظام الرى ، وان اختلف ذلك قليلا عنه فى أول الفترة عن آخرها على أن القضاعى(١٧١) يختلف عن المسعودى والبغدادى، ويذكر أن الحد اللازم للرى حتى لا تقحط البلاد أربع عشرة ذراعا فاذا بلغ النيل ست عشرة ذراعا كان الحد الذى يفضل عن الحاجة ويبقى عند الناس ويبقى لديهم قوت سنة أخرى ، والنهايتان المخوفتان ، فهما اثنتا عشرة ذراعا وثمانى عشرة ذراعا ، وهذا كان كما يذكر القضاعى فى عهد عمرو بن العاص ويردف « وفى هذا الحساب نظر فى وقتنا لزيادة فساد الانهار وانتقاض الاحوال»(١٧٢) .

---

(١٦٨) نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ص٩٠ ، بطرسبورج ١٨٦٥ م .

(١٦٩) يقال الارض شرقت واشتقاقها من قوله شرقت الشمس اذا طلعت وظهرت وشرقت اللحم اذا نشرته ليجف ، ومنه قيل أيام التشريق لان لحوم الاضاحى تشرق فيها ، أى تبسط ، ومنه أيضا قولهم شرق بالماء وبالشراب لان الماء عند الاغتصاص وانسداد الحلق يظهر ويبرز ولا يلج . ولما كانت الارض فى السنة التى لا يوفى فيها بارزة لا يسترها الماء ولا يخفيها الغمر ، قيل شرقت ولم تتغط ولم ينلها النيل ويجوز أن يكون التشريق من قولهم ريح شرقية لان الريح الشرقية والقبلية وهى الجنوب وهى عندهم دليل نقص الماء، البغدادى الافادة والاعتبار ص ٤٤ .

(١٧٠) البغدادى : الافادة والاعتبار ص ٤٦ .

(١٧١) عاش القرن السادس الهجرى .

(١٧٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٥٩ .

وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه من تغير مناسيب الزيادة من فترة الى أخرى • وناصر خسرو الذى زار مصر فى أوائل العصر الفاطمى ذكر أن ثمانى عشرة ذراعا « هى الزيادة المعهودة يعنى انه كل ما قلت الزيادة عن ذلك قيل النيل ناقص .... فاذا زاد عن هذا القدر فرحوا وأظهرواالغبطة • وما لم يصل الارتفاع الى ثمانى عشرة ذراعا ، لا يأخذ السلطان الخراج »(١٧٣) أى انه يتفق مع المسعودى والقلقشندى وغيرهم من أن هذه هى الزيادة المناسبة لرى الاراضى الزراعية فى مصر •

والمقريزى يرى أن حد الوفاء ، كان فى بداية العصر الفاطمى ستة عشر ذراعا ، فالخليفة المعز لدين الله الفاطمى لم يبح النداء على النيل ( يعلن الزيادة ) الا عندما يتم ست عشرة ذراعا(١٧٤)•

نخلص من ذلك العرض الذى أوردناه لاراء المؤرخين الى أن الذى كان سائدا فى تلك الفترة •

وصول الفيضان الى ست عشرة ذراعا فيه تمام الخراج ، وخصب الارض ونقص للمراعى •

ان أتم الزيادات كلها والمفيدة هى سبع عشرة ذراعا وفى ذلك رى لجميع الاراضى الزراعية فى مصر •

الزيادة عن السبع عشرة ذراعا والوصول الى الثمانى عشر ذراعا غطت المياه ربع الاراضى المصرية وفيه ضرر للعديد من الضياع والاراضى ••

ما زاد عن الثمانى عشرة ذراعا كان خطرا على كل الاراضى الزراعية وربما اعقبه الوباء الذى ينتشر فى مصر بعد مثل ذلك الفيضان وتسوء الحالة الاقتصادية فى البلاد • وذلك ينطبق على نقص الفيضان عن ست عشرة ذراعا فان البلاد تعانى من نقص المياه •

---

(١٧٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٤٢ •

(١٧٤) المقريزى : الخطط ح ٢ ص ٩٧ •

اتعاظ الحنفا ص١٩١ •

## الترع والجسور والقناطر

تَوارث المسلمون نظام الرى الذى عرفته مصر فى تاريخها ، ولم يكن ذلك النظام من ابتكار هذا العصر ، ولكنه متوارث عن اجيال المصريين الذين سكنوا الوادى ، وهى نتاج صراع ملحمى بين المصريين والطبيعة ممثلة فى الانسان ، والنهر والارض ،وكانت الزراعة والحضارة نتاج ذلك الصراع وكان الرى الحوضى انبثاقا طبيعيا ، جعل من الفلاح المصرى مهندسا جغرافيا اعاد تشكيل طبيعة بلاده ، وجعل من شبكة الشذوذ والترع طبيعة ثانية للوادى(١٧٥) .

على أى حال فان هناك حقيقة ، لابد من اداركها مؤداها انه حين تتسم محاولات ضبط النهر بالكفاءة ينعكس ذلك على الوادى بالاتساع مع غزو الصحراء وازدهار الزراعة الى أبعد الحدود . أما حين يفشل ضبط النهر الخالد يكون تراجع الخضرة أمام رمال الصحراء ومياه البحر المالح « وكانت مصر قناطر وجسور بتقدير وتدبير » (١٧٦) . وحين فتح عمرو بن العاص مصر ادرك هذه الحقيقة ولخصها فى رسالته لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجاء فيها « لا يستأدى خراج ثمارها الا فى أوانها ، وأن يصرف ثلث خراجها فى جسورها وترعها فاذا تقرر الحال مع العمال فى هذه الاحوال تضاعف ارتفاع المال » (١٧٧) .

وهذا يدل على اهتمام المصريين منذ فجر الاسلام بنظام الري وعمارة البلاد ، وهذا عمرو بن العاص يسال المقوقس فى بداية الفتح « فيم تكون عمارتها ؟ » فكان أول ما رد به المقوقس على عمرو « بخصال منها أن تحفر خلجها ، وتسد جسورها وترعها »(١٧٨) لهذا كانت العناية بالترع والقناطر والجسور من أول الامور لعمارة البلاد وتمام ريها وزراعتها .

---

(١٧٥) جمال حمدان : شخصية مصر ص ١٦٤ (طبعة دار الهلال ١٩٦٧ ) ، قاسم عبده قاسم : النيل والمجتمع المصرى ص ٢٢ .

(١٧٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦ .

(١٧٧) الحجازى : نيل الرائد ص ١٠ (مخطوط) .

(١٧٨) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٥٧ .

والنيل يتفرع الى قسمين هما فرع(١٧٩) رشيد وفرع دمياط . وفرع رشيد يخرج من النيل ويتجه شمالا عند شطانوف(١٨٠) ويستمر هذا العرب اسم فرع رشيد ، ووصفوه بأنه عمود النيل (١٨١) ويستمر هذا الفرع « عمود النيل » فى اتجاهه شمالا وعند فوه ينقسم الى قسمين يحصران بينهما جزيرة الراهب ، ثم يتصلان عند سنديون شمال فوه بخمسة عشر ميلا (١٨٢) ثم يتابع النيل السير فى مجراه فى هذا الفرع حتى يصب بالغرب من رشيد .

وفرع دمياط : يتفرع عند شطانوف ايضا ولكنه يتجه شمالا على يسار الوادى وينزل من شطانون الى أسفل الأرض ويتصل بالبحر (١٨٣) من شمال انتوهى حيث يتفرع الى فرعين ، يمر الشرقى وهو يكون جزءا من فرع دمياط الحالى منها الى ان يصل الى دمسيس اما الفرع الغربى فيتجه من انتوهى الى بلج ثم ينتهى الى شبره (١٨٤) وعند شبره ودمسيس يلتقى هذان الفرعان فى مجرى واحد الى ان ينقسم مرة أخرى عند طوخا الى فرعين احدهما يتجه الى تنيس والثانى الى دمياط ، حيث يصب فى البحر فى موضع يقال له الأشتوم (١٨٥) .

يذكر ابن عبد الحكم (١٨٦) « وكانت الجنات بحافتى النيل من أوله الى أخره فى الجانبين جميعا ما بين أسوان الى رشيد وسبع خلج .

---

(١٧٩) هناك الفروع الدائمة المتفرعة عن نهر النيل ، والمقصود بنقطة التفرع . الموضع الذى انقسم فيه مجرى النيل الى ذراعين (فرعين) وفرعا رشيد ودمياط فرعان أساسيان ولكل فرع مجموعة من الخلجان والترع ، اليعقوبى : البلدان ص ١٢٦ .

(١٨٠) ذكرها الادريسى باسم شنطنوف وهى مركز أشمون الحالية

(١٨١) الدمشقى : نخبة الدهر ص ٥٩ ، النويرى : نهاية الارب حـ ١ ص ٢٦٢ ، المقريزى : الخطط حـ ١ ص ٥٤ .

(١٨٢) الادريسى : صفة المغرب والسودان ومصر ص ١٦٠-١٦١ .

(١٨٣) نفس المرجع والصفحة ، محمد محمود ادريس : الحياة الزراعية فى العصر الفاطمى ص ٥٦ .

(١٨٤) شبره المقصوده هى شبرا ومكان هذا الجزء الان بخر شبين . محمد ادريس ، نفس المرجع والصفحة .

(١٨٥) طوخا المقصود بها مدينة طلخا الحالية .

(١٨٦) فتوح مصر ص ٦ ويسمى ابن عبد الحكم كل فرع اما باسم البلدة التى يخرج عندها من النيل أو باسم البلدة التى ينتهى عندها .

خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط ، وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس » ٠

ويشير خليج منف وبدايته الى رأس الدلتا القديم ، عند المدينة المسماة بهذا الاسم ومن المرجح ان هذا الفرع لم يكن يجرى فى العصر العربى ، وانما كانت اثار مجراه مازالت ظاهرة فى ذلك العصر ، ولم تكن بداية قمة الدلتا عنده ٠ واذا استعرضنا بقية الخلجان ، لم يكن الا خليج سردوس الذى يرجح أن تكون بداية قمة الدلتا عنده ٠

وهذا الخليج هو خاتمة ما ذكره ابن عبد الحكم عن الخلجان (١٨٧) والذى كان يخرج من مجرى النيل الرئيسى عند البلدة المسماة بهذا الاسم بجوار باسوس الحالية ، وتجاه الطرف الشمالى لشبه جزيرة الوراق ، حيث تخرج من النيل فى الوقت الحالى ترعة أبو المنجا التى تمثل مجرى فرع سردوس القديم ٠ ومع ان ابن عبد الحكم لم يشر صراحة فى هذا النص الى ان قمة الدلتا كانت تقع عند بلدة سردوس ٠

الا ان هذه البلدة كانت اقصى البلدان الواقعة جنوب الدلتا مباشرة والذى ذكره هذا الكتاب ان فرعا يخرج منه النيل عندها ، دون ان يكون هناك شك فى جريان هذا الفرع فى عهدة ، ثم كانت تخرج من النيل شمال هذه البلدة سائر فروعه فى العصر العربى - كدمياط وسخا ورشيد ٠ ومن هنا يمكن القول ان قمة الدلتا فى القرون الاولى من العصر العربى كانت حول هذه البلدة ٠

ومعنى هذا ان شمال جزيرة الوراق حاليا ، يعنى قمة الدلتا فى القرون الاولى من الهجرة (١٨٨) ولكن قمة الدلتا تتقدم نحو الشمال باستمرار (١٨٩) وانها تحركت من الطرف الجنوبى من جزيرة الوراق الى سردوس أى عند الطرف الشمالى لهذه الجزيرة الى شطانوف (١٩٠) التى أصبحت القمة الرئيسية للدلتا وفى ذلك يقول الادريسى » (١٩١)

---

(١٨٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦ ٠

(١٨٨) ابراهيم زرقانه : قمة الدلتا ص ٣٠ ، مجلة كلية الاداب جامعة الاسكندرية المجلد الرابع ١٩٤٨م ٠

(١٨٩) نفس المرجع ص ٣١ ٠

(١٩٠) ابن حوقل : كتاب صورة الارض ص ١٣٨ ٠

(١٩١) صفة المغرب والسودان ص ١٦٠ - ١٦١ ٠

« وفى اعلى شطانوف ينقسم النيل على قسمين يتنزلان الى أسفل ويتصلان بالبحر » .

ومن هذا نخلص الى ان قمة الدلتا فى بداية الفتح كانت عند الموقع الشمالى الحالى لشبه جزيرة الوراق وانها تتجه دائما نحو الشمال .

## الخلجان والقناطر والجسور :

عنى المصريون منذ القدم بحفر الترع واقامة الجسور والسدود لضمان وصول مياه النهر الى كل الأراضى والمزارع بالطريقة التى يريدون ، دون ان تقصر عنها أو تغمرها المياه .

يقول ابن عبد الحكم عن نظام الرى القديم (١٩٢) وكانت مصر قناطر وجسورا قديمة بتقدير وتدبير ، حتى أن الماء ليجرى تحت منازلهم واقبيتها فيحبسونه كيف شاءوا ويرسلونه كيف شاءوا فذلك قول الله عز وجل فيما حكى عن قول فرعون ( اليس لى ملك مصر ، وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون ) (١٩٣) وسأل عمرو بن العاص المقوقس، بم تكون عمارتها فكان رده على ذلك أن تحفر خلجها وتسد جسورها وترعها (١٩٤) .

## الخلجان والترع :

وأكثر الخلجان والترع توجد فى أسفل الأرض ( الوجه البحرى ) واما فى الوجه القبلى فانها قليلة وقد ذهبت معالمها (١٩٥) وقد ذكرها ابن عبد الحكم فى كتابه (١٩٦) وهذه الخلجان التى ذكرها « كانت الجنات بحافتى النيل من أوله الى اخره فى الجانبين جميعا ما بين أسوان الى رشيد ، وسبع خلج ، خليج الاسكندرية ، وخليج سخا وخليج دمياط ، وخليج منف ، وخليج الفيوم ، وخليج المنهى وخليج سردوس » .

---

(١٩٢) فتوح مصر وأخبارها ص ٦ .
(١٩٣) سورة الزخرف آية ٥١ .
(١٩٤) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٥٧ .
(١٩٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٠٦ .
(١٩٦) فتوح مصر وأخبارها ص ٦ .

وقد اشتركت معظم المراجع العربية فى ذكر هذه السبعة خلجان وهى كلها كانت موجودة قبل الاسلام • أما خليج أمير المؤمنين فانه جدد حفـره بعد الفتح العربى ، بعد أن كانت معالمه قد درست حتى ليعتبـر خليجا جديدا •

ولذلك يمكن تحديد اهم الخلجان التى ذكرها ابن عبد الحكم (١٩٧) والمقريـزى (١٩٨) •

| | |
|---|---|
| ـ خليج الاسكندرية | ـ خليج سـخا |
| ـ خليج دميـاط | ـ خليج منـف |
| ـ خليج الفيـوم | ـ خليج المنهى |
| ـ خليج سـردوس | ـ خليج أمير المؤمنين |

وهذه الخلجان « متصلة الجريان لاينقطع منها شىء والزروع بين هذه الخلجان متصله من أول مصر الى اخرها » (١٩٩) •

ولم تكن هذه الخلجان أو الترع تمثل كل شبكة الرى المصرية فى ذلك العصر ، فقد كانت هناك شبكة هائلة من الترع والسدود والقنوات لتوصيل المياه الى معظم الاراضى « وقد كانت لهم قنى تدخل البلاد يستقى منهـا بالدواليب ، وعـلى النيل ايضـا دواليب كثـيرة وقت الفيضـان (٢٠٠) •

ولكن هذه التى ذكرناها سابقا هى آهمها ، ولذلك فقد اعتنى بها المؤرخون •

خليج الاسـكندرية :

انشا هذا الخليج عام ٣٣١ ق•م مواكبا لانشـاء مدينة الاسكندرية ليمدها بالميـاه من فرع النيل الـكانوبى ، وقد تغير موضـعه خمس

---

(١٩٧) فتوح مصر وأخبارهـا ص ٦ •
(١٩٨) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٦٩ •
(١٩٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦ ، ياقوت : معجـم البلدان جـ ٨ ص ٣٦٢ •
(٢٠٠) المقدسى : احسن التقاسيم ص ٢٠٨ •

مرات (٢٠١) . ولكن ابن عبد الحكم (٢٠٢) وغيره من المؤلفين العرب ، ينسبون الى كليوباترا انشاء هذا الخليج ، ولكن المسعودى (٢٠٣ ) يذهب الى أن الاسكندر هو الذى حفر هذا الخليج فيقول « وقد كان الاسكندر ابن فيليب المقدونى بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيـل ، وكان يفجر اليه معظم ماء النيل ويسقى بلاد الاسكندرية وبلاد مريوط » .

ولا شك فى ان الاسكندر عندما انشأ مدينة الاسكندرية قد اعتنى بمدها بالمياه اللازمة لاتساعها ونمو السكان بها لذلك فلا شك فى ان الاسـكندر هو الذى قام بتوصيل المياه الى الاسكندرية .

وقد كان هذا الخليج يبتدىء عند الرافقه (٢٠٤) وظل ابتـداء الخليج حتى أوائل القرن الرابع الهجرى فكان قدامة بن جعفر (٢٠٥) آخر مؤرخ يقول أنه خرج من هذا المكان .

وقد تم تطهير الخليج فى هذه الفترة مرتين :

**الأولى :** على يد الحارث بن مسكين ، اثناء توليه قضاء مصر من قبل الواثق بالله سنة ٢٣٩ هـ ــ ٨٥٣ م (٢٠٦) .

**الثانية :** فى عهد أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ ــ ٨٧٢م (٢٠٧) .

إلا أن المسعودى يذكر (٢٠٨) أن المياه لم تكن تصل فى عهده الى مدينة الاسكندرية فيقول « وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية » قبل هذه الزيارة ، التى زارها فى هذه السنة وهى سنة اثنتين وثلاثين

---

(٢٠١) عمر طوسون : تاريخ خليج الاسكندرية وترعة المحمودية ، ص ٩ القاهرة ١٩٤٢ .

(٢٠٢) فتوح مصر واخبارها ص ٤١ .

(٢٠٣) مروج الذهب جـ ١ ص٤٧ .

(٢٠٤) ابن خروذابة : المسالك والممالك ص ٢٢ والمرافقة هـى زاوية كوم العير بمركز كوم حماده .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٦٠ .

(٢٠٥) قدامة بن جعفر : الخراج وصنعه الكتابة ص ٢٢٠ مع كتاب المسـالك والممالك ليـدن ١٩٦٧ .

(٢٠٦) الكنـدى : الولاة والقضاة ص ٤٦٩ .

(٢٠٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٧١ .

(٢٠٨) مروج الذهب جـ ١ ص ٤٧ .

وثلاثمائة « ونمى الى وانا بمدينة انطاكيه والثغر الشامى ان النيل زاد فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعا فلست أدرى فى هذه الزيارة دخل الاسكندرية أم لا » • ولعل هذا دليل على أن هناك أهمالا فى صيانة الترع والقنوات فى تلك الفترة مما جعل القناه تمتلأ بالطمى وتحتاج الى تطهير مرة تلو أخرى كما أن المياه قد تدخلها عند زيادة النيل فقط وتصل الى الاسكندرية •

وابن حوقل (٢٠٩) يذكر ان الخليج انتقل الى الشمال عن مدينة شابور •

هذه هى أهم التغيرات التى طرأت على خليج الاسكندرية خلال هذه الفترة • وان كان هذا الخليج قد لقى من العناية بتطهيره سنة ٢٣٩ هـ ـ ٨٥٣م وسنة ٢٥٩ هـ ـ ٨٧٢م • من قبل الحارث ابن مسكين وأحمد بن طولون • مما يدل على الاهتمام بالرى والعناية بذلك الخليج • وان كان قد تعرض فى زمن المسعودى للاهمال سنة ٣٣٢هـ ـ ٩٤٣م •

## خليج سخا :

ذكر ابن عبد الحكم (٢١٠) وتبعه غيره فى نسبة حفر هذا الخليج الى ملوك مصر القدماء ويرى عمر طوسون (٢١١) ان هذا الخليج يمثل فرع الترميتاك The Rmutiaque وانه كان موجودا فى العصر العربى أو على الاقل الجزء الجنوبى منه ، ولقد كان على هذا الخليج جسرا لرى تلك المنطقة يسمى جسر سخا ويفتح فى الثامن من بابه ويسقى ترعة اسمها السخاوية (٢١٢) وربما كان هذا الجزء من الخليج ريه سهلا ، فكان ماء النيل يدخله عندما يزيد ماوه تسعة أذرع كما يدخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج سردوس (٢١٣) •

---

(٢٠٩) صورة الأرض ص ٨٢ ـ ٨٣ •

(٢١٠) فتوح مصر وأخبارها ص ٦ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧٠ •

(٢١١) عمر طوسون : تاريخ ترعة المحمودية ص ١١ •

(٢١٢) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢١٩ •

(٢١٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٦٠ ، وسردوس كانت واقعة الى الجنوب من باسوس احدى قرى مركز قليوب ، ولكنها اندثرت محمد رمزى القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٦٩ •

**خليج دميـــاط :**

سبق ان تحدثنا عنه عند الحديث عن فرعى النيل الرئيسين دمياط ورشيد .

**خليج ســـردوس :**

يذكر ابن عبد الحكم (٢١٤) أن الذى حفر ذلك الخليج هو هامان أحد عمال أحد ملوك الفراعنة ، وكان هذا الخليج أكثر الخلجان انعطافا ويرجع ذلك ابن عبد الحكم الى تلاعب هامان وقبوله الرشوة عنــد انشاء الخليج (٢١٥) . ولكن ربما كان السبب فى تعرجه وانعطافه يرجع الى ظروف الموقع الطبيعية أو للاستفادة من الخليج الى أكبر حد فى رى الأراضى الزراعيـة .

وكان هذا الخليج كما يقول المؤرخون (٢١٦) أحد نزهات الدنيا ، يسار فيه يوما بين بساتين مشتبكه وأشجار ملتفه وفواكه دانيه . وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من أن الخليج كان الهدف الأساسى منه هو الاستفادة الى أكبر حد فى الزراعة ، على أن القلقشندى (٢١٧) يذكر أنه فى أيامه درس هذا الخليج وبطل وعوض عنه ببحر ابى المنجا .

**خليج منــــف :**

ذكر ابن عبد الحكم (٢١٨) ومن تبعه من المؤرخين هذا الخليـج نسب حفره الى أحد ملوك مصر القدماء ، على ان هؤلاء لم يذكروا لنــا شيئا يوضح بداية هذا الخليج أو نهايته وربمــا كان الذى ذكــره ابن عبد الحكم بقايا خليج قديم عند منف ، ولكنه درس منذ فترة طويلة .

**خليج الفيوم والمنهى :**

يرجع ابن عبد الحكم (٢١٩) حفرهما الى يوسف عليه الســلام ، ولعل هذا هو سر تسميته ببحر يوسف الى ايامنا هذه . وقد حفر خليج

---

(٢١٤) فتوح مصر واخبارها ص ٦ ، السيوطى : حسن المحاضره جـ ٢ ص ٢٠٥ .

(٢١٥) فتوح مصر واخبارها ص ٦ .

(٢١٦) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٣ ص ٣٠٠ ، ابن دقماق : الانتصار جـ ٥ ص ٤٧ .

(٢١٧) نفس المرجع والصفحة .

(٢١٨) فتوح مصر واخبارها ص ٦ .

(٢١٩) ابن عبد الحكم : نفس المرجع والصفحة .

الفيوم وخليج المنهى ، بتدبير هندسى مما جعل الفيوم تروى من اثنتى عشرة ذراعا وطوال العام يقول ابن عبد الحكم (٢٢٠) « فاوحى الى يوسف أن تحفر ثلاثة خلج ، خليجا من أعلى الصعيد من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا شرقيا من موضع كذا الى موضع كذا ، وخليجا غربيا من موضع كذا الى موضع كذا فوضع يوسف العمال فحفر خليج المنهى من أعلى اشمون الى اللاهون » .

وأمر البنائين أن يحضروا اللاهون ، وحفر خليج الفيوم وهو الخليج الشرقى ، وحفر خليج بقرية يقال لها تنهمنت من قرى الفيوم وهو الخليج الغربى ، فخرج ماؤها من الخليج فصب فى النيل ، وخرج من الخليج الغربى فصب فى صحراء تنهمنت الى الغرب فلم يبق فى الجوبه ماء ثم ادخلها الفعله فقطع ما كان من القصب والطرفاء وأخرجه منها ، وكان ذلك ابتداء جرى النيل وقد صارت الجوبه أرضا ريفيه بريه وارتفع ماء النيل فدخل فى رأس المنهى فجرى فيه حتى انتهى الى اللاهون فقطعه الى الفيوم فدخل خليجها فسقاها فصارت لجه من النيل » .

وكان هذا الخليج يخرج الى جهة الغرب عند مدينة صول (٢٢١) ويستمر الى الغرب والشمال حتى مدينة البهنا ، ثم الى مدينة اهناس ثم الى اللاهون ، وينتهى الى الفيوم (٢٢٢) .

ولكن النابلسى الصفدى (٢٢٣) يذكران المنهى يخرج من النيل عند قرية دروه سربام واذا اخذنا بهذا الرأى — مع الاخلال من قيمه الرأى الأول — الذى يرى ان هناك علاقة امتداد بين ترعة السوهاجيه

---

(٢٢٠) فتوح مصر ص ٥ . على أى حال فقد اهتم الفراعنة باقليم الفيوم وخاصة ملوك الدولة الوسطى وقاموا بعمل خزان وجسور لاستقلال البحيرة ، وتم فى عهدهم استصلاحات مساحات كبيرة فيها ، برستد : انتصار الحضارة ص ١٢٢ وأحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٢٣٢ ) .

(٢٢١) صول : اختلف فى موقعها ويذكر الادريسى أنها على مسيرة يوم من أخميم وربما كان موقعها عند مدينة سوهاج الحالية ، فليس من المعقول ان نظام الرى الذى أنشاه محمد على كان من فراغ . وربما كانت ترعة السوهاجية فى مسار الخليج القديم .

(٢٢٢) الادريسى : صفة المغرب ص ٥٠ — ٥١ .

(٢٢٣) تاريخ الفيوم ص ٦ ودرة سربام : هى ديروط الشريف الحالية .

الحالية حتى ديروط ـ ومنشأ هذا الخليج ـ فان امتداد هذا الخليج يزيد عن مائتين واثنين وسبعين ميلا منذ خروجه من النهر حتى دخوله اقليم الفيوم (٢٢٤) .

وفى نهاية هذا الخليج قنطرة او سد عرف باللاهون وهو بناء من الحجر والرصاص والحديد لمنع المياه من التسرب فى المنخفض الصحراوى القريب « وجعل عند منتهاه بناء محكما على وضع هندسى متقن البناء بتماسيح الرصاص وزير الحديد ، ما بين الاحجار يعلو هذا البناء على أرض الخليج المحتفر خمس عشر ذراعا ، يرد هذا البناء الماء الذى يصل اليه من النيل فى البحر المنهى على أن يخرج من منخفض وراء النيل »(٢٢٥) . وكان عملا هندسيا عظيما حتى أن ابن‌عبدالحكم(٢٢٦) يقول « ثم أمر بحفر الخليج وبنيان القناطر فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الأرض ووزن الماء ومن يومئذ أحدثت الهندسة ولم يكن الناس يعرفونها من قبل » .

وقد قامت عدة محاولات فى عصر الولاة لزيادة ماء الخليج بتعليه مبنى اللاهون ( القنطره ) تاره ، ويقطع الاشجار التى على جانبيه تارة أخرى ولكن فشلت هذه المحاولات (٢٢٧) وان كانت تدل على اهتمام الولاه بتحسين وصيانه الترع والقنوات والعناية بوسائل الرى .

وكان اغلاق الخليج عند قنطرة اللاهون، يتم عن طريق بوابه تسمى ( القطعه ) وهى عباره عن جذع نخله عليها زيادات من القش والألياف والحبال حتى يصير سمكها عظيما وتربط من طرفيها بحبال ، يتم تحريكها عن طريق رجال يمسكون بالحبال ويقفون على ضفتى الخليج ،وبمساعدة المياه ، حتى يغلق الخليج . وتخرج من هذا الخليج عدة ترع لرى البلاد التى باقليم الفيوم وكانت مداخلها تسد عند هبوط نهر النيل ، وذلك حتى تصل المياه الى الأراضى الزراعية (٢٢٨) .

على أى حال فقد أجمع المؤرخون على أن هذا الخليج قد جعل من

---

(٢٢٤) Ency of Islam Ast Anil.

(٢٢٥) النابلسى الصفدى : تاريخ الفيوم ص ٦ .

(٢٢٦) فتوح مصر واخبارها ص ١٥ .

(٢٢٧) النابلسى الصفدى : تاريخ الفيوم ص ١٠ــ ١٢ .

(٢٢٨) نفس المرجع والصفحة ، والقلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٠٤ .

الفيوم بلدا خصيبا الى أبعد الحدود ، لا يعادله اقليم آخر بمصر وانه الاقليم الوحيد الذى يروى طيلة العام (٢٢٩) .

ويصفه المقريزى بأنه« نهر لا ينقطع جريانه فى جميع السنة»(٢٣٠) وله قنوات توصل المياه الى جميع مناطقه « ولكل ناحية مشرب معلوم فى وقت مفهوم » (٢٣١) . ونظرا لانخفاض مستوى أراضى الفيوم عن جميع أرض مصر ، فقد سميت أسفل الارض لان أعلى موضع فيه نازل عن سمت سطح ماء النيل فى نهاية انحطاطه ، ولولا ذلك لما جرى فيه ماؤه (٢٣٢) .

والفيوم « يشرب من اثنتى عشرة ذراعا ، وليس بأرض مصر موضع يشرب من اثنتى عشرة ذراعا غير الفيوم لحكمه بنائه حجر اللاهون » (٢٣٣) .

لكل ذلك كانت الفيوم تزرع طوال العام ، وتروى ريا دائما ، وكانت من أخصب بقاع مصر ، حتى قيل لخصبها أن كل قريه بها يمكن أن تمير مصر سنة كاملة .

**خليج أمير المؤمنين :**

يعتبر هذا الخليج من أهم الخلجان ، التى أقامها العرب بمصر ، ويعتبر من أروع الاعمال الادارية ، التى قام بها عمرو بن العاص ، بعد أن تم توطيد الحكم العربى فى مصر وقد ارتبط هذا الخليج باسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لانه هو الذى أمر بحفره وأصر على ذلك ، حتى يمكن ربط مصر بطريق بحرى بالجزيرة العربية « وأن احفر خليجا من نيلها حتى يسيل فى البحر » (٢٣٤) .

وقد تخوف أهل مصر من مشقه حفر هذا الخليج ، وحاولوا ثنى

---

(٢٢٩) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٣ ص ٣٠١ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧١ .

(٢٣٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٤٥ .

(٢٣١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٢٩ .

(٢٣٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦٥ ، ابو المحاسن : النجوم الذاهرة جـ ٤ ص ٤٣ النابلسى الصفدى : تاريخ الفيوم ص ٩ .

(٢٣٣) مجهول مراكش : الاستبصار فى عجائب الامصار ص ٩٠

(٢٣٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦٣ .

عمرو عن حفره ، ولكن عمر بن الخطاب أصر على حفره (٢٣٥) ويقول ابن عبد الحكم (٢٣٦) أن رجلا من القبط جاء الى عمرو ابن العاص ودله على مكان الخليج ، وطلب منه ان يرفع عنه الجزية نظير ذلك العمل وقد فعل عمرو (٢٣٧) ٠

وقد تم حفر القناه فى فترة قياسية فتم ذلك الحفر فى ستة أشهر على ان سرعة حفرها واعادتها للملاحه تدلنا على أن بعض مجراها القديم الذى طوله تسعون ميلا كان لا يزال صالحا (٢٣٨) ٠

والواقع ان هذا الخليج « القناه » هو نفس القناه التى حفرت فى عهد الفراعنه لتصل النيل بالبحر الأحمر (٢٣٩) وعرفت باسم قناة سيزوستريس وقناة ترأجان ، وتجدد حفرها عدة مرات ، وكان آخرها على يد عمرو بن العاص ، فى عام الرمادة ، بناء على طلب الخليفة عمر ابن الخطاب ، كما ذكرنا والقناه تأخذ خط سير ترعة الاسماعيلية الحالية تقريبا وقد ظلت هذه القناه ( الخليج ) مستخدمه تسير فيها المراكب من النيل حتى البحر الاحمر ، حتى أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بردمها ، حتى لا تحمل الامدادات الى المدينة المنورة التى قام بالثورة فيها محمد ابن عبد الله أحد احفاد الحسن ( ١٥٨ هـ ــ ٧٧٥م ) ٠ ومنذ ذلك الحين انقطع جرى ذلك الخليج الى البحر الاحمر ، وصار ماؤه يجرى فى السباخ (٢٤٠) ٠

وهذا الخليج هو الذى كان يكسر سده فى يوم الوفاء (٢٤١) ويعتبر هذا اليوم من الاعياد المهمه واروعها ٠

على ان بتلر (٢٤٢) يذكر ان عمرو كان ينوى حفر خليج بين بحيرة التمساح والبحر المتوسط فيكون ذلك قد قطع البرزخ بالبحر ، كما

---

(٢٣٥) نفس المرجع ص ١٦٤ ، وبتلر : فتح العرب لمصر ص ٢٩٩
(٢٣٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٤٣ ٠
(٢٣٧) بتلر : فتح العرب لمصر ص ٣٠١ ترجمة محمد فريد أبو حديد القاهرة ١٩٣٣م ٠
(٢٣٨) بتلر : فتح العرب لمصر ص ٣٠١ ٠
(٢٣٩) برستد : انتصار الحضارة ص ١٢٤ ٠
(٢٤٠) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٣٨ ــ ١٣٩ ٠
(٢٤١) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٣ ص ٣٠١ ــ ٣٠٥ ٠
(٢٤٢) بتلر : فتح العرب لمصر ص ٣٠١ ٠

هو اليوم ، ولكن عمر بن الخطاب أبى عليه ذلك وانكره قائلا ، انــه يمكن للروم من السير الى البحر الاحمر ، وقطع السبيل على من اراد الحج وليس فى هذه القصة شبهه تمنع من تصديقها ـ ونحن نذهب مع بتلر الى ما ذهب .

لى اى حال فان حفر هذه القناة ، يدل على مدى اهتمام العرب بالرى من ناحية ، ويدل على العناية بأحوال البلاد وربطها بالبــلاد الاخرى ، ويدل على عمل ممتاز لمــا لهذه القناه من أهمية .

**الجســور : (٢٤٣) :**

أول المنشآت للتحكم فى مياه النهر ، وجمعه جسور ، وهو عبارة عن سدود ترابية مبنى على حافة النهر أو الترعة ،يحفظ المــاء من أن يفيض على ضفتيه ويغرق البــلاد المحيطه ، وتستمر هذه الجسور فى حجز مياه الفيضان كى يستفاد منها فى عمليات الرى وحتى ينصرف النيل ويزول الخوف من خطر الفيضان العالى (٢٤٤) . كما ان الجســور تستخدم بالاضافة الى ذلك كطرق بين القرى والمدن بعضها وبعض . لربط البلاد ولســهولة المواصلات . والجسور التى تحف بمجرى النيــل طرقا رئيسيه للمواصلات .

وهو يحفظ الميــاه على الاراضى المصرية الى موعد الزراعة (٢٤٥) ولكل ذلك فانه « لا غنى لأرض مصر عن الجسور » (٢٤٦) فهى لضمان رى الأراضى فى الوقت المناسب وبالقدر المناسب .

وكانت مصر كما يقول ابن عبد الحكم (٢٤٧) « قناطرا وجسورا بتقدير وتدبير ، حتى أن المــاء ليجرى تحت منازلهم واقبيتها فيحسبونه كيف شاءوا ويرسلونه كيف شاءوا » كما يذكر ابن عبد الحكم انه كــان

---

(٢٤٣) الجسر : بفتح الجيم الذى تسميه العامة جسرا عن ابن دريد وقال الخليل الجسر والجسر لغتان ، وهو القنطرة ونحوها ممــا يعبر عليه ، وقال ابن ســيدة والجسر الذى يعبر عليه والجمع القليل أجسر ، المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٦٥ .

(٢٤٤) جمال حمدان : شخصية مصر ٤٩ ــ ٥١ .

(٢٤٥) كتاب مصر الاسلامية مقالة المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى ص ٤٣ ــ ٤٨ .

(٢٤٦) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٤٤ .

(٢٤٧) فتوح مصر واخبارها ص ٦ .

فى القديم يرصد من خراجها الربع فى مصلحة الأرض وما يحتاج اليه من جسورها وحفر خلجها وبناء قناطرها » (٢٤٨) ٠

وتعمل هذه الجسور فى مناطق معينة تضم مساحات خاصة من الارض لا يركبها النيل الا فى موعد محدد ، تفتح السدود فيه فيروى هذا الجزء ، حتى اذا استكمل ريه قطعت الجسور فى مناطق معروفة وأوقات محدودة ، حتى ينصرف الماء الى ما يليها من جهات وهكذا يتناوب فتح الجسور حتى تستكمل أراض البلاد ريها ٠

يقول المقريزى « وأراضى مصر اقسام كثيره ، منها عال لا يصل اليه الماء الا من زيادة كبيرة ، ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة ، والأراضى متفاوتة فى الارتفاع والانخفاض تفاوتا كبيرا ، ولذلك احتيج فى بلاد الصعيد الى حفر الترع وفى اسفل الأرض الى عمل الجسور ، حتى يحتبس الماء ليروى أهل النسواحى على قدر حاجتهم اليه عند الاحتياج » (٢٤٩) ويقول « ولولا اتقان ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخلجان لقل الانتفاع بماء النيل (٢٥٠) ٠

والجسور فى مصر الاسلامية ، نوعان أجمع على هذا التقسيم ابن مماتى (٢٥١) والقلقشندى (٢٥٢) والمقريزى (٢٥٣) ٠ الجسور العامة والجسور الخاصة ٠

**الجسور العامة :**

وهى التى تسمى الجسور السلطانية ، ويعم نفعها كل الأراضى الزراعية فى انحاء البلاد ، وتضم بلادا كثيره وهى التى تقيمها وتشرف عليها الدولة ، ولها رسوم مقرره على البلاد المصرية ، فى شكل جراريف ومحاريث وأبقار مرتبه على غالب البلاد المصرية (٢٥٤) ٠

---

(٢٤٨) ابن عبد الحكم : نفس المرجع ص ٣٣ ٠
(٢٤٩) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٥٥ ٠
(٢٥٠) نفس المرجع ص ٦١ ٠
(٢٥١) قوانين الدواوين ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣ ٠
(٢٥٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٢ ــ ٤٤٥ ٠
(٢٥٣) الخطط ج ١ ص ١٠١
(٢٥٤) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٤٨ ــ ٤٥٢ ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٣٢ ، الجراريف هى التى يجرف بها =

وكانت الدولة مسئولة عن اقامة وصيانة هذا النوع من الجسور لما له من صفه جامعة ، وأهميتها فى رى البلاد ، وكذلك فى ربطها كطريق للمواصلات .

لذلك كان لها ( رسوم موظفه ) (٢٥٥) كما كانت تحصل ضرائب سنوية يخصص دخلها لصيانة هذه الجسور ، فينفق من حصيلة هذه الضرائب ما يقتضى صرفه فى هذا الصدد « ومضت الايام على ذلك حتى صار لازما للفلاحين ، كأنه من بعض الخراج ويجرى فيما بينهم بنسبة ما يزرعه كل منهم » (٢٥٦) .

وقد وصفت الجسور العامة ( السلطانية ) بانها بمثابة السور المحيط بالمدينة ( شأن مدن العصور الوسطى غالبا ) وعلى السلطان أن يهتم بهذا السور ويكفى الرعية أمر التفكير فيه « والجسور السلطانية أذن جاريه مجرى سور المدينة الذى يجب على السلطان الاهتمام بعمارته والنظر فى مصلحته ، وكفاية العامة أمر الفكرة فيه » (٢٥٧) .

وكان لهذه الجسور السلطانية ، كاتب خاص مقرر فى ديوانه ما على كل بلد من الأبقار والجرايف (٢٥٨) ويقول المقريزى (٢٥٩) « وقد حكى انه كان يرصد لعمارة جسور اراضى مصر فى كل سنة ثلث الخراج ، لعنايتهم فى القديم بها من أجل انه يترتب على عملها رى البلاد ، والذى به مصالح العباد » على أن قول المقريزى هذا يدل على أهمية الجسور فى حياة مصر .

والحقيقة انه كلما انضبطت الجسور أنضبط الرى وعمت الخضره وساد الرخاء ، وكلما اهملت عم الفساد وتدهورت الزراعة .

وعن اقامة الجسور والعاملين بها يقول ابن الكندى (٢٦٠) « كان

---

= التراب ويكوم لاقامة الجسور ابن شاهين الظاهرى : زبده كشف الممالك ص ١٢٩ .

(٢٥٥) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠١ .

(٢٥٦) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .

(٢٥٧) ابن مماتى : نفس المرجع والصفحة .

(٢٥٨) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٤٨ — ٤٥٢ .

(٢٥٩) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٦١ .

(٢٦٠) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٥٩ — ٦٠ ( والمساحى جمع مسحاة وهى اداة تجرف بها الأرض ) .

لنيل مصر قطيعة على كور مصر مائة الف وعشرين ألف رجل معهم المساحى والآلات ، سبعون الفا للصعيد وخمسون الفا لأسفل الأرض ، لحفر الخليج واقامة الجسور والقناطر وسد الترع « على انه ربما كان لكل كوره من الكور ، القدر اللازم لاقامة الجسور ، داخل نطاق قورتهم ولاهمية الجسور كان هناك مشرف عام ، لمتابعة العمل فى هذه الجسور يسمى « كاشف الجسور (٢٦١) وكان هذا الكاشف يعرف ويتابع موعد عمل ، وقطع كل جسر ، لما لهذا العمل من أهمية فى عمل رى الحياض فى مواعيد محددة ، وكان يؤكد على تقويتها وحراستها وحفظها وعدم الغفله عنها طرفه عين ليلا ونهارا (٢٦٢) لان التفريط فى ذلك يترتب عليه مضار لا يمكن تداركها فى توزيع كميات المياه ، وموعد الزراعة ، بل ربما يتسبب فى غرق بعض القرى ٠

**الجسور البلدية :**

يقصد بها الجسور الخاصة بالبلدان ، بلدة ، بلدة حيث يخص نفعها ناحية دون أخرى ، وتقام فى القرية أو الكورة وكان أهل القرى والنواحى يلتزمون ببنائها وصيانتها ذلك لان نفعها كان يقتصر على ناحية دون أخرى ٠

وكان يتولى اقامتها الفلاحون والمقطعون من أصل مال الناحية ، وقد جاء فى أوراق البردى العربية، فى برديه مؤرخه سنة ٣١٢ هـ - ٩٢٤م، انه المشترى ( تسلم من مزاحم بن اسحق أراضى الاملاك المذكورة فى هذا الكتاب وحازها لنفسه وزرعها وزرع من أحب والزم نفسه عمارة ذلك (٢٦٣) فلفظ عمارة ذلك يدل على لصلاح الجسور وسد انواع الترع وحفر الخلجان ٠ ولقد كان الاهتمام بأمر هذه الجسور من ضمن ما يتم الاتفاق عليه فى عقود البيع أو الايجار وهذا واضح من أوراق البردى (٢٦٤) فى عبارة « وعمارة ذلك » ٠

وكان مستأجرى الاراضى يقومون بالعناية بجسور أراضيهم بالاضافة الى أعمال ريها وحفر ترعها (٢٦٥) ٠ كما ان المقطعين والفلاحين يتولون

---

(٢٦١) القلقشندى : صبح الاعشى جـ٣ ص ٤٤٨ ٠
(٢٦٢) على مبارك : الخطط التوفيقية جـ ٢٢ ص ١٤٦ ٠
(٢٦٣) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ ٢ لوحه ٨ ، ٩ ص ٥٧ ، دار الكتب ١٩٣٦ - ١٩٧٤ القاهرة ٠
(٢٦٤) جروهمان : نفس المرجع والصفحة ٠
(٢٦٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٨٢ ٠

اقامتها من أصل أموال الناحية لانهم أصحاب المصلحة فى الانتفاع بهـذه الجسور • وقد أصبح من العادة « ان المقطع اذا انفصل ، وكان قد انفق شيئا من مال اقطاعه فى اقامة جسر لاجل عمارة السنة التى انتقل الاقطاع عنه فيها فان له أن يستعيد من المقطع الثانى نظير ما انفقه من مال سنته فى عمارة سنه غيره » (٢٦٦) •

وقد وصفت هذه الجسور البلدية بأنها تمثل الدور الواقعة داخـل نطاق سورالمدينة ( الجسور العامة ـ السلطانية ، وكل صاحب دار من هذه الدور ينظر فى مصلحتها وتدبير أمره فيها بصيانتها وحمايتها(٢٦٧)•

على أى حال من هذا العرض ، نخلص الى ان الجسور كانـت تنقسم الى قسمين ، جسور عامة ، تتولى الدولة رعايتها ، وأخرى بلديه أو خاصة ويتولى أهالى كل منطقة صيانتها وصيانة منطقتهم ، كما ان لهذه الجسور أهمية كبيرة فى تنفيذ نظام الرى وحفظ ماء النيل وحماية القرى والمدن من الغرق ، وكذلك فى كونها وسيلة من وسائل المواصلات بين انحاء البـلاد •

وكان أمر صيانة هذه الجسور ـ عامة كانت أم بلدية ـ عملا ضروريا لكل الأسباب السابقة التى ذكرناها ••• « لئلا تقطعهـا المياه فتصـير البلاد بائرة » (٢٦٨) • وكانت هـــذه الصيانة لهذه الجسور تتم عن طريق « كاشف الجسور » أو عن طريق الموكل اليهم بالعناية بالجسور وذلك بدعمها بصورة مستمره بالتراب والشقاق ، وتثبيتها باللبش(٢٦٩) وتستمر ذلك حتى يزول الخطر من الفيضان وتشتد أحوال الجسور • وتكون هناك حالة استعداد أيام الفيضان • وان كانت الجسور تعـد وتصلح قبل الفيضان بفترة •

والحقيقة انه كانت هناك أوقات أو مواعيد تقام فيها الجسور وهى الفترة التى تسبق قيام الفلاح بالحصاد ، فكانت تعمل الجسـور فى شهر

---

(٢٦٦) المقريزى : نفس المرجع ص ١٠١ ، وابن مماتى : قـوانين الدواوين ص ٢٣٣ •

(٢٦٧) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٣٣

(٢٦٨) ابن شاهين الظاهرى : زبده كشف الممالك ص ١٢٩ •

(٢٦٩) اللبش جمع لبشه وهى حزم القش وسيقان النبات اللين ( المرجع السابق نفس الصفحة ) ومازالت هذه الكلمة مستعملة فى صعيد مصر بنفس المعنى •

طوبه ( يناير ) مع ملاحظة ان الزراعة فى العصر الاسلامى كانت مبكره عنها ( الآن ) حيث تشق الجسور وتقام بعد ذلك بالجرافات وفى شهر أمشير ( فبراير ) تعلى مقاطع الجسور (٢٧٠) ٠

**القناطر والجسور :**

لعل أهم هذه الجسور : الجسران اللذان كانا يربطان الفسطاط بجزيرة الروضه ، والبر الغربى والجيزه وهما مقامان قبل الفتح العربى لمصر ٠ ولذلك كان من أهم شروط عمرو بن العاص للصلح هو « أن يضمنوا له الجسرين جميعا » (٢٧١) وكان المقوقس يستخدم هذين الجسرين ولما ضيق عليهم العرب الخناق « أمر بقطع الجسر » (٢٧٢)

لكل هذا كان اهتمام عمرو بن العاص بالجسور ، ولقد خرج مع عمرو بن العاص الاقباط ، بعد أن ضمنوا له الجسرين ، على ان يقدموا له الخبرة فى الانزال والصيانة والاسواق والجسور (٢٧٣) ٠

وكان هذان الجسران فيما بين ساحل مصر والروضه وبين الروضه الى الجيزه من خشب يمر عليها الناس والدواب ٠ وكان الجسران من « مراكب مصطفه » بعضها بحذاء بعض وهى موقفة ومن فوق المراكب أخشاب ممتده فوقها التراب ، وكان عرض الجسر ثلاث قصبات ( حوالى عشرة امتار ) وكان هذا الجسر قائما الى ان قدم المأمون الى مصر(٢٧٤) فقام بانشاء جسر جديد وظل الناس يمرون عليه الى وقت قدوم جوهر

---

(٢٧٠) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ( ما يزال حتى اليوم فى الصعيد عدة اماكن على الجسور تسمى القطوع ، وكانت تقطع ايام رى الحياض وأثرت الان على الطرق فجعلتها منحنية فى أكثر من مكان من هذه الجسور والطرق ٠

(٢٧١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٧٢ ٠

(٢٧٢) ابن عبد الحكم : نفس المرجع ص ٦٤ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٢ ٠

(٢٧٣) ابن عبد الحكم : نفس المرجع والصفحة ٠

(٢٧٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٧١ ، السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٣٢٢ ٠

الصقلى الذى عبر بجنوده (٢٧٥) ٠

الا ان المقريزى يذكر نقلا عن ابن حوقل وابن سعيد ان اكثر عبور الناس بانفسهم ودوابهم فى المراكب (٢٧٦) ٠ وربما يرجع ذلك الى بعض التلف الذى يلحق بهذه الجسور والقناطر فى بعض الاوقات من ناحية ، ولقلة العناية من ناحية أخرى ٠

وقد تعرض هذان الجسرا نلكثير من التلف والتخريب فمثلا عندما دخل مروان بن محمد الجيزه قام بتدبير هذين الجسرين (٢٧٧) كما ان الخليفة المأمون عند زيارته لمصر قام بعمل جسر جديد لتلف الجسرين القديمين ، ولكن بعد فترة وجيزه تعرض الجسر الجديد للتلف نتيجة تعرضه لعاصفة فأصابت الجسر الجديد بالتلف ولكنه اصلح (٢٧٨) ٠

كما ان الوالى عيسى النوشرى (٢٧٩) ، احرق جسرى المدينة الشرقى والغربى حتى لم يبق من مراكبها مركب واحد ( يعنى ان الجسر كان معقودا على المراكب ، وكان هذه عادة تلك الأيام ، وذلك عندما احتدم الخلاف بينه وبين محمد الخلنجى (٢٨٠) ٠

**القناطر :**

أما القناطر الصغيرة ، فقد كانت كثيرة نذكر منها القنطرة التى كانت بجوار الأرض التى أقطعها عمرو بن العاص لمولاه وردان (٢٨١) كما أقام عبد العزيز بن مروان قنطرة على فم خليج أمير المؤمنين فى سنة ٦٩ هـ ٦٨٨ م عند ساحل الحمراء القصوى لا يتوصل منها الى جنان

---

(٢٧٥) الكندى : الولاه والقضاة ص ١٩٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٢٢٢ الخطط جـ ٢ ص ١٧٠ ٠

(٢٧٦) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٧٠ ٠

(٢٧٧) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٧٠ ٠

(٢٧٨) المقريزى : نفس المرجع والصفحة ٠

(٢٧٩) هو عيسى بن محمد الامير أبو موسى النوشرى ولاه الخليفة المقتفى سنة ٢٩٢هـ ٠

(٢٨٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٤٨ ( والخلنجى هذا أحد الجنود المصريين الذين قاموا بالثورة لاجل الطولونيين ٠

(٢٨١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٣٦ ٠

الزهرى (٢٨٢) وقد كتب عليها اسمه وكتب عليها « هذه القنطرة أمر بها عبد العزيز بن مروان الامير اللهم بارك له فى أمره كله وتثبيت سلطانه على ما ترضى وأقر عينه فى نفسه وحشمه أمين » .

وقام ببنائها سعد أبو عثمان وكتب عبد الرحمن فى صفر سنه تسع وستين ، ولقد تعرضت هذه القنطرة للزيادة والتحسين والتعليه ، والاصلاح ، فقام بذلك تكيه أمير مصر سنة ٣١٨هـ ـ ٩٣٠م ، كما فعل ذلك الاخشيد سنة ٣٣١هـ ـ ٩٤٢م وهذه القنطره هى التى كانت تفتح عند وفاء النيل فى زمن الولاه (٢٨٣) .

كما ان ابن عبد الحكم ذكر العديد من اماكن القناطر فى كتابه فتوح مصر (٢٨٤) . وهناك قناطر أخرى ، فقد اقام عبد الله بن طاهر حين سار من بلبيس الى زفتى « وأقام بها جسرا ( قنطره ) (٢٨٥) كما كانت هناك قنطره بنقيوس (٢٨٦) . واقام احمد بن طولون قناطر سميت بقناطر أحمد بن طولون بظاهر المعافر (٢٨٧) .

على أى حال فقد كانت للقناطر أهمية بالغه فهى همزة الوصل بين ضفتى النيل وبين ضفاف الترع والخلجان . كما انها تستخدم كما تستخدم القناطر اليوم فى حجز المياه لاستخدامها فى الرى ، فالقنطرة التى انشأها عبد العزيز بن مروان على ـ سبيل المثال ـ كانت تفتح فى يوم الوفاء (٢٨٨) .

ولولا هذه القناطر ، لكانت هناك صعوبه فى التنقل من مكان الى مكان آخر ، هذا من ناحية وما يترتب على ذلك فى النواحى الاقتصادية والعسكرية من ناحية أخرى . لكل هذا كانت العناية باقامة القناطر والجسور على ضفاف النيل والترع .

---

(٢٨٢) ابن دقماق : الانتصار جـ ٤ ص ١٢٠ ، المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١١٣ .

(٢٨٣) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٤٦ .

(٢٨٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ٨٠ .

(٢٨٥) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٨٠

(٢٨٦) نفس المرجع ص ٢٨ .

(٢٨٧) ابن دقماق : الانتصار جـ ٤ ص ٥٧ .

(٢٨٨) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٤٦ .

## الــدورة الزراعيــة

قامت الزراعة فى مصر الاسلامية على ماء نهر النيل وارتبطت بــه ارتباطا وثيقا ولذا فقد قامت الدورة الزراعية على مياه نهر النيل ، بالاضافة الى ما حبت به الطبيعة مصر ، من جو معتدل فى عمــومه ، وأرض مستويه فى غالبيتها ولذلك فسنتناول الدورة الزراعية على النحو التــالى :

- طبيعة الأرض المصرية
- أنواع تربة الأرض المصرية
- نظام الرى وارتباطه بالزراعة
- التقويم المصرى والزراعة

**طبيعة الأرض المصرية :**

تحدثنا فى بداية البحث عن التربه المصرية ، وقلنا انها تربة ـ تعد من أخصب التربات فى العالم ـ منقول معظمها مع فيضان النهر السنوى من جبال الحبشة ، ولذلك فهى تكوين رسوبى ، يــكون ذلك الوادى الخصيب ويتجدد هذا الخصب بما يحمله النيل من طمى أو غرين فى كل عام (٢٨٩) • كما ان ارتفاع ضفتى النهر عن منسوب المياه فى المجرى، كان يحول دون ان تغمر المياه المزارع على جانبى النهر ، ولم يكون يحدث ذلك الا اثناء الفيضانات العالية ، وبخلاف ذلك كانت الأرض الزراعية تروى كما وضحنا ، من نظام محكم للرى يشمل البلاد كلها •

كما كانت أراضى مصر الخصيبه مستويه فى معظمها ، حقيقة كان هناك مبطن التفاوت فى كثير من المناطق ، بين الارتفاع والانـخفاض ولكن السمة الغالبة ، كانت هى الأرض الخصبة السهلة المستويه • وقد ساعد هذا كما تحدثنا فى نظام الرى على سـهولة نظام الرى الحوضى وتقسيم الأراضى الى احواض يمتلىء حوض ثم بعد تمام ريه يفتح عن طــريقة قطع الجسور حتى تنتقل المياه الى الحوض الذى يليه ، وقد ساعد هذا على قيام زراعه منتظمه ، فالاراضى التى تروى أولا تزرع أولا ، ثــم ساهم يعد نضج المحاصيل على توفير المحصولات ليس دفعه واحدة ، وانما التى تزرع أولا تعطى محصولاتها مبكرا وهكذا يحصل الناس على غلالهم بصوره تدريجية ومستمره •

---

(٢٨٩) البغدادى : الافادة والاعتبار ص ٦ ، محمد عوض محمد . نهــر النيــل ص ٢٦٥ ـ ٢٧٦ •

ومما يدل على استواء أرض مصر ما ذكره ابن الكندى (٢٩٠) من « انهصورت للرشيد صورة الدنيا فما استحسن منها غير بلد اسيوط ، وذلك أن مساحته ثلاثون ألف فدان فى دست ( مكان ) واحد ، لو قطرت قطرة فاضت على جميع جوانبه ويزرع فيه الكتان والقمح والقرط وسائر اصناف الغلات فلا يكون على وجه الأرض بساط اعجب منه » . وهذا لم يعجب الرشيد من الدنيا الا باسيوط لاستواء ارضها ، ووفرة محصولاتها .

كما ان اراضى مصر ، كانت اراضى جيده ، ففى أوراق البردى ، ورد فى برديه مؤرخه ٢٣٦هـ ـ ٨٥٠م ما نصه « وطلبتما الى أن اكرابكمات ثلاثة فدادين أرض طين سوداء » ، « وكذلك فى لوحه أخرى مؤرخه ٢٥٣هـ ـ ٨٦٧م ، « أرض طيبه سود امن أرض مقطول » (٢٩١) .

وقد درج الكتاب العرب عند حديثهم عن طبيعة الأرض المصرية ان يقسموها الى التقاسيم الآتية :

**عامر الأرض :**

وتشمل الأراضى التى تزرع ويقسمونها الى أقسام متعددة ، كل نوع حسب قيمته ويتدرج هذه الانواع بين المرتفعة القيمة ، الى ما يليها ، وهكذا وجعلوها ثمانية أقسام (٢٩٢) .

**المراعى :** وهى الأرض التى تنمو فيها الحشائش وتصلح لمرعى الحيوانات والدواب بانواعها المختلفة ، وجعلوا هذا القسم بين العامر ، وما يليه وهو الغامر . وجعلوها قسمين :

**غامر الأرض :** وهى الارض التى تغمرها المياه ، أو يغلب عليها الملح والسباخ وهى اردأ أنواع الأرض فى نظرهم ، وجعلوها ثلاثة أقسام .

وسنحاول عند الحديث عن أنواع الأراضى أن نتحدث عن هذه الانواع بالتفصيل الذى ذكره المؤرخون العرب . وخاصة ابن مماتى فى

---

(٢٩٠) فضائل مصر ص ٥٨ ، والقرط علف الماشية .
(٢٩١) جروهمان : أوراق البردى العربية ، جـ ٢ لوحة ٥ ص ٤٠ ـ ٤١ .
(٢٩٢) جروهمان : نفس المرجع جـ ٢ لوحة ٦ ص ٤٢ ـ ٤٣ .

كتابه قوانين الدواوين ، والمقريزى فى خططه ، والقلقشندى فى صبح الاعشى .

## انـــواع الأراضى :

كانت الأراضى المصرية الزراعية ــ ولا تزال حتى اليوم ــ من أجود الأراضى الزراعية فى العــالم ، وكانت تتجــدد بالخصب فى كل عــام « بالغرين »ويقول البغدادى (٢٩٣) « يأتيها طين أسود فيه دسومــة كثيرة يسمى الابليز » ، يأتيها من بلاد السودان مختلطا بماء النيل عند مدة فيستقر الطين ، يونضب الماء ويزرع ويحرث ، وكل سنة يأتيها طين جديد ولهذا تزرع جميع أراضيها ولا يداح منها شيء ، كما يفعل فى العراق والشام لكنه يخالف عليها الاصناف ، وقد لحظت العرب ذلك ، فانها تقــول اذا كثرت الريــاح حــادث الحــراثة لأنهــا تجيء بتراب غريب ....... ولهــذه العلة تكون أرض الصعيد زكية كثيرة الايتـــاء والريع اذا كانت أقرب الى المبدأ فيحصـــل فيها من هــذا الطين مقدار كثير بخلاف اسفل الارض فانها اساقة مضـــوية (٢٩٤)اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لأنه يأتيها الماء وقد راق وصفا » .

اى ان هذه الاراضى جميعا كانت خصبة ، الا ان الصعيد اكثر خصوبة من الدلتا لأنه يحصل على كمية أكبر من الطمى . كما ان رية المبكر ، كان يساعد على زرراعته المبكرة .

وقد اجمعت المراجع العربية على تقسيم اراضى مصر الىانواع وجدنا ان أحسن هذه التقاسيــم ما اورده كل من ابن مماتى والمقريزى ونوجــزه فيما يأتى : ــ

البـــــاقـــة : هى أجود وأخصب الأراضى وأعلاها سـعرا وهى تصـلح لزراعة القمح والكتان « أعلاهــا قيمة وأوفاها سـعرا وقطيعة » (٢٩٥) .

---

(٢٩٣) البغدادى : الافادة والاعتبار ص ٦

(٢٩٤) الابليز : يقصد الطمى الغزير . اساقة معنوية : أى أرض ضعيفة لا تكاد تنبت اللسان .

(٢٩٥) ابن مماتى : قوانــين الدواويــن ص ٢٠١ ، المقريزى : الخطط جـ١ ص ١٠٠ .

ري الشـراقى : هى الأراضى التالية للباق فى القيمة ، وهى الأراضى التى لم ترو فى السـنة الماضية فلم تزرع « وكانت مسـتريحة فزرعهـا ينجـب » ولذلك فتكـون بعـد ريهـا أرضـا منتجة (٢٩٦) .

البـرو بيـة : وهى الارض التى كانت مزروعة فى العام السابق بالقمح والشـعير وذلك لأن هذين المحصـولين يضـعفان الارض ولكن نتحسـن زراعتها تزرع بعد زراعة القمح والشـعير قرتـا وميقاتـا ، لتسـتريح وتصير باقـا فى السـنة الآتية (٢٩٧) .

البقمـاهـة : وهى الارض التى زرعت فىالعام السابق بالكتان والمعروف أن الكتان من النباتات المجهدة للارض فاذا زرع القمح بعد زراعة الكتان كان حبه صغيرا أسود وكمية انتاجية الارض قليلة (٢٩٨) .

الشـتونيـة : « أثر ما روى وبار فى السنة الماضية » اى انه لم يروى العام السابق واصبحت ارضه مليئة بالشقوق ، فقطيعتها دون الشراقى » (٢٩٩) .

السـلايح : هى الارض التى « ما روى وبار فحرث وعطل » (٣٠٠) ويعتبر هذا النوع من الأراضى الخصـبة ، ولكنه بعـد حرثه بـار فلم يتمكن احد من زراعته ، امـا لقلة الماء او لأى سـبب آخر . ولكن متى أعـد للزراعة أنتج ، وخاصـة بعد حرثها مرتين وتهويتها وتشمسـهـا ، فان المحصول بعد زراعته يعوض سنة البوار التى لحقـت بالارض (٣٠١) .

---

(٢٩٦) نفس المرجع والصفحة .

(٢٩٧) ابن مماتى : قوانـين الدواويـن ص ٢٠١ - ٢٠٢ ومـا زال لفظ البروبية مستخدما فى الصعيد ويطلق حتى اليوم على اعواد نبات القمح والشعير .

(٢٩٨) ابن مماتى قوانـين الدواويـن ص ٢٠٢

(٢٩٩) ابن مماتى : نفس المرجع والصفحة ، المقريزى : الخطط جـ١ ص ١٠٠ .

(٣٠٠) المقـريـزى : الخطط جـ١ ص ١٠٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ٣ ص ٤٤٧ .

(٣٠١) القلقشـندى : صبح الأعشى جـ٣ ص ٤٤٧ .

البرش.النقـاء : هى كل « أرض خلت من أثر ما زرع فيها للسنة الماضية لا شـــاغل لهـــا من قبـول ما تودعــه من أصناف المزروعات » (٣٠٢) اى ان هــذه الارض لم تزرع فى سنة ماضية ، وليس فيها زراعة أو حشائش وانما تزرع ويمكن ان تزرع فيها اى نوع من المزروعات .

الوسخ المزدرع : « عبارة عن كل أرض لم يستحكم وسخها » والمقصود بالوسخ هنا هو بقايا الحشائش والحلفاء أو أى مخلفات أخرى ، وقام الفلاحون بحرثها وزراعتها وطلع زرعها مختلطا بوسخها (٣٠٣) .

الوسخ الغالب : هى أرض غلبت عليها الحشائش والاعشاب وغيرها مما يعوق أمكان زراعتها بالمحاصيل ،وهذه تباع كمراعى .

الخـــــرس : وهى كل أرض فسدت (٣٠٤) وقـد استحكمت فيهـا الحلفاء وغيرها من أنواع الحشائش ، التى يصـعب ازالتها ، وهى مراعى أكثر من النوع السـابق ولكن يمكن استصلاح هذه الأراضى بمجهود كبير (. وهو مـا يلاحظ الآن فى زراعـة الأرض التى ظهـرت فيهـا اعشـاب الحلفاء ) .

الشـــراقى : هى الأرض التى لا يصل اليها الماء أما لقصـور النيل وعلو الأرض وأما لسد طريق المياه » (٣٠٥) ويمكن زراعتها بتوصيل مياه الرى اليها وذلك حسـب حالة هذه الاراضى عن طريق فتح طريق الماء ، الذى سـد عنها أو عن طريق الآلات كالسـواقى والدواليب ، واذا لم يتيسر ايصال المياه اليها تظل هكذا .

المسـتنجر : هى الارض المنخفضة ، والتى يظل الماء راكدا فيهـا دون وجـود مصرف له « فينقضى زمن الزراعة قبـل

---

(٣٠٢) ابن مامتى : قوانين الدواوين ص ٢٠٢

(٣٠٣) نفس المرجع والصفحة .

(٣٠٤) نفس المرجع ص ٢٠٣ ، والخطط جـ ١ ص ١٠١ ، وصبح الأعشى جـ٣ ص ٤٤٧

(٣٠٥) نفس المرجع والصفحة .

زواله » ، ويمكن الانتفاع بهذه المياه فى رى الاراضى المجاورة لها بتركيب السواقى عليها (٣٠٦) .

السباخ : « أرض غلب عليها الملح » فملحت ولم ينتفع بها فى زراعة الحبوب ويمكن زراعة الهليون والباذنجان والقصب الفارسى ، فى الأماكن التى لم يستحكم فيها السباخ ويمكن نقل بعض السباخ منها لزراعة الكتان ، وهو يحتاج الى السباخ (٣١٢) .

ومن الواضح ان هذا النوع الأخير هو من اردأ أنواع الأراضى ـ وذلك لغلبة الأملاح عليه وما زال هذا النوع حتى الآن من اردأ انواع الارض ، ويسمى حاليا بنفس الاسم ( الأرض ملحت ـ أو الأرض طبلت ) .

على أن هناك تقسيما آخر للاراضى أورده ابن بصال فى كتابه الفلاحة وهو تقسيمها الى عشرة أقسام ، لم يفصلها وهى « اللينة والغليظة والجبلية والرملية ، والسوداء ، والبيضاء ، والصفراء ، والحمراء ، والحرشاء المضرسة والأراضى المائلة الى الحمرة » (٣١٣) .

## نظام الرى وارتباطه بالزراعة :

كان نظام الرى السائد فى مصر ، هو نظام الرى الحوضى ، وان كانت هناك بعض المناطق ، يكون فيها الرى الدائم مثل الفيوم ، وكذلك الرى بالآلات فى المناطق القريبة من النيل والترع والقنوات .

لهذا كانت المحاصيل السائدة هى التى تزرع مرة واحدة وأن الزراعة الشتوية هى الزرعة السائدة ، وهى التى تبدأ بعد أن ينحسر ماء الفيضان عن الأراضى الزراعية (٣١٤) وهى المحاصيل التى لا تحتاج الى رى مرة أخرى بعد زراعتها . والرى ساهم فى تنظيم حركة الناس ، فكانوا يتعقبون الأراضى عقب انحسار المياه عنها ويقومون بزراعتها ، مرحلة

---

(٣٠٦) نفس المرجع والصفحة ، والخطط جـ١ ص ١٠١ .

(٣١٢) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٠٣ ، الخطط جـ١ ص ١٠٠ .

(٣١٣) ابن بصال : الفلاحة ص ٢١ ـ ٢٢ .

(٣١٤) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

بعد مرحلة(٣١٥)وقد ساعد ذلك على وفرة المحاصيل من ناحية ، ووصولها فى أوقات متفاوته من ناحية أخرى ٠

وينبغى ان نلاحظ ان الفيضان يمكوثه أكثر من اربعين يوما على الأراضى الزراعية فى ذلك الوقت ـ الذى لم تتقدم فيه الوسائل العلمية ـ كانت هذه المدة كافيه لقتل الحشرات المتبقية فى الأرض من المحاصيل السابقة ، وبذلك لم تكن الأرض تتعرض للحشرات التى تهلك المحاصيل كثيرا ٠

ولقد قامت الزراعة اساسا على ماء نهر النيل « وزروعهم بماء النيل تمتد فتعم المزارع من حد اسوان الى حد الأسكندرية » (٣٠٧) والزراعة فى مصر فى حاجة الى ان يكون الفيضان متوسطا ، فالرى على هذا المستوى « المتوسط » يعنى سبعة عشر ذراعا وهو الحد الأمثل للزراعة فى ذلك الوقت ، فاذا نقص عن ستة عشرة ذراعا كان ذلك نقصا للمياه اللازمة ، واذا زادت المياه عن سبعة عشرة ذراعا ووصل منسوب المياه فى المقياس الى ثمانية عشرة ذراعا كان ذلك معناه ان ربع الأراضى المصرية قد غمرته المياه (٣٠٨) وتعرضت الزراعة والبلاد للخطر ٠

لهذا كانت الزراعة والدورة الزراعية ، مرتبطة بنظام الرى ، ففى سلامته واعتداله ضمان لقيام دورة زراعية مستقرة ، وصالحا وسلامة لأحوال الزرراعة ٠ ولولا زيادة النيل على التدريج حتى يتكامل رى البلاد ، وكذلك هبوط الماء على التدريج عند بدء الزراعة « لولا ذلك لفسد أقليم مصر » (٣٠٩) كما ان عدم العناية بحفر الخلجان وبكرى الترع واقامة الجسور والعناية بها (٣١٠) وأقامة المقاييس ـ لما اكتمل نظام الرى وبذلك لا تقوم زراعة ناجحة ٠

لكل ما تقدم كان هناك ارتباط وثيق بين قيام نظام رى ناجح وبين قيام زراعة ناجحة وهذا الارتباط الوثيق بين نظام الرى والزراعة فى مصر ، يرجع اساسا لأن مصر تعتمد على ماء النيل فى زراعتها لا تعتمد

---

(٣١٥) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٤٣ ٠
(٣٠٧) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٩٧ ٠
(٣٠٨) المسعودى : مروج الذهب جـ١ ص ١٦٣ ٠
(٣٠٩) المقريزى : الخطط جـ١ ص ٦٣ ٠
(٣١٠) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٦٠ ٠

على الامطار او الميـــاه الجوفيــه من الآبـــار والعيــون الا فى أماكـن قليلة نادرة (٣١١) ٠

**التقويـم المصرى والزراعـة :**

كان فيضان النيل يتم فى مواعيد منتظمة ، مما ادى الى انتظام حياة المصريين بشـتى وجوهها سـواء فى الزراعة أو طريقة فرض الضـرائب ، وسارت الحياة الاقتصادية وفقا لتواريخ التقويم القبطى ( الشـــمس ) المتوارث عن الفراعنة ولاسيما فيما يتعلق بالزراعة ٠

والزراعة تتوقف على فيضان النيل ،وغمره للاراضى حتى اذا تراجع ، وأخذ الأراضى تجف ، بذرت البذور وينمو الزرع بدون حاجـة الى رى بعد ذلك ٠

والواقع ان الفضل يرجع الى نهر النيل فى ظهور التقويم المصرى القديم(٣١٢) وقد أنشا المصريون التقويم الشمسى والسنة الشمسية(٣١٣) التى تتكون من ٣٦٥ يوما وربع اليوم ٠وقد جعل المصريون بداية سنتهم مع فيضان النيل وقسموا هذه السنة الى ثلاثة فصول هى :

الفيضـــــان ( أخت )

الـــــــزرع ( برت )

الحصــــــاد ( شمو )

وقسم كل فصل الى أربعة شهور ، والشـهور القبطية هى (٣١٤)

( توت وبابة وهاتور وكيهك ) لفصل الفيضان

( طوبة وأمشير وبرمهات وبرمودة ) لفصل الزرع

( بشنس وبؤنة وأبيب ومسرى ) لفصل الحصاد

---

(٣١١) ابن الفقيه المهدانى : مختصر كتاب البلدان ص٣٧٤ ٠

(٣١٢) نعمات أحمد فؤاد : النيل فى الأدب المصرى ص ٢٩٢ ٠

(٣١٣) اقول المقريزى فى الخطط جا ص ٢٧ « اعلم ان المصريين القدماء اعتمدوا فى تاريخهم السنة الشمسية ٠ ٠ ٠ ٠ ليصير الزمان محفوظا واعمالهم واقعــة فى أوقاة معلومة من كل سـنة ، لا يتغير وقت عمل من اعمالهم بتقديم ولا بتأخير البتة » ٠

(٣١٤) البيرونى : الأثار الباقيــة عن القرون الخاليـة ص ٤٩ ، ليبزج ١٩٢٣ م

واشتق اسم كل شهر من العيد الرئيسى الذى كان يحتفل به خلاله ، وكان عدد أيام كل شهر ثلاثين يوما ، وأضافو خمسة أيام وهى أيام النشىء (٣١٥) ٠

وهذا جدول باسماء الشهور وما يقابل أولها من الشهور الميلادية :-

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ - تـوت | ١٢ سبتمبر | ٧ - برمهات | ١٠ مـارس |
| ٢ - بابـه | ١٢ أكتوبـر | ٨ - برموده | ٩ أبـريل |
| ٣ - هاتور | ١١ نوفمبر | ٩ - بشـنس | ٩ مايـو |
| ٤ - كيهك | ١١ ديسمبر | ١٠ - بؤنه | ٨ يونيو |
| ٥ - طوبـه | ١٠ ينـاير | ١١ - أبيب | ٨ يوليـو |
| ٦ - أمشير | ٩ فبـراير | ١٢ - مسرى | ٧ أغسطس |

ونظرا لما هناك من ارتباط بين مواعيد الزراعة المترتبة على فيضان النيل ، وبين السنة القبطية ، حرص الفلاح المصرى منذ القدم وحتى اليوم ، على استعمال التقويم القبطى فى معرفة مواسم الزراعة والحصاد ، بل انهم جعلوا لكل شهر من هذه الشـهور حتى اليوم ، صفة يتصف بها مثل(برمهات اطلع الغيط وهات ، وبابه خش واقفل الدرابه ، هاتور أبو الدهب المنثور ) (٣٢٥) ولذا ارتبطت هذه الشهور والمواسم ، بانواع المحاصيل المختلفة وقد اورد ابن مماتى (٣٢٦) ما لهذه الشـهور من مناسبات على النحو التالى ٠

توت ( سبتمبر ) : فى سابع عشر منه تفتح التـرع ويدرك الرطب ويكثر السفرجل ، والعنب الشتوى ، وتبدو فيه المحمضات ، ويبدأ زراعة الحبوب فى الصعيد ويبذر البرسيم ٠

بابـه ( اكتوبر ) : وهو نهاية النيل المبارك ، وعند خروج المـاء عنهـا يبذر القرط وتزرع الغله المبكره فى المنتصف منه يـزرع السلجم ، ويبدأ حصاد الارز وتجهز الأرض للقمـح فى الصـعيد ٠

---

(٣١٥) نجيب ميخائيل : تاريخ مصر صفحة ٢٥ ٠

(٣١٦) نعمات أحمد فؤاد : النيل فى الأدب المصرى ص ٢٩٢-٢٩٣

(٣١٧) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٢٥ - ٢٣٥ ، ابن ظهيرة الفضائل الباهرة ص ١٣٨ - ١٤٢ ٠

هاتور (نوفمبر) : يصرف الماء عن أرض الكتان ويبذر الحب ( القمح ) في المنتصف وفيه تكثر الورود والازهار والباذنجان وما شاكله ٠

كيهك (ديسمبر) : زراعة القرط وفيه ادراك الترمس والمحمضات ومن البقولات الفول الأخضر والجزر والكرات وغير ذلك وتزرع الحلبة والترمس ٠

طوبه ( ديسمبر : ينقى زرع الغلة من الحشائش والشوك وزراعة المقات ، ويناير ) ويمكن زراعة القمح والشعير فيه ، ولكنه يكون متأخرا ، ويغرس فيه النخيل ، وتجهز الأرض للقصب والمقات ، وفيه يتناهى النيل فى صفائه ، ويخزن ولا يتغير فى أوانيه ٠ والقطن والسمسم وتشق أرض القلقاس والقصب وتشق الجسور ، وتقام بعد ذلك بالجرافه وتستخرج أراضى الخرس ٠

امشير ( فبراير ) : فيه يبدأ حصاد السلجم وتغرس الاشجار وتقلم اشجار الكروم ٠

برمهات ( فبراير : بداية فصل الربيع وتبدأ فيه زراعة المحاصيل الصيفية (ومارس) وبداية نضج الفول والعدس ، وحصاد الكتان ، وبداية زراعة قصب السكر والسمسم ٠

برموده ( مارس : يحصد فيه الشعير ، وتجمع الحبوب ، ويبدأ فيه قطع وابريل ) الاخشاب ويكثر فيه الورود والخيار شنبر ٠

بشنس ( مايو ) : فيه زراعة الأرز والسمسم ، وفيه يبدأ درس المحاصيل وزراعة البلسم وسقيه ، وحصاد القمح ويكثر فيه التفاح والبطيخ العبدلى ( نسبة الى عبد الله بن طاهر الذى جلبه الى مصر ) والموز ٠

بؤنه ( يونيو ) : وهو أول الصيف ، وأول زيادة النيل المبارك ، وفيه يقطف عسل النحل ، وزراعة التيله بالصعيد وفيه يكثر التين والخوخ والكمثرى والتوت والبلح ٠

ابيب ( يوليو ) : فيه البرسيم والكتان ، وابتباع البذور ٠

مسرى (أغسطس) : تحريق النخيل وظهور الليمون ٠

من ذلك نرى أن الدورة الزراعية ، كانت تبدأ بأهم المواسم وهــو الزراعة الشتوية التى كانت عصب الدورة الزراعية فى مصر الاسلامية .

**الزراعــة الشــتوية :**

وهى عادة تبدأ بعد أن يأخذ ماء النيل فى الانحســار عن الأراضى الزرراعية(٣١٨) • ويبدأ الفلاحون كلما ترك النيل وانحسر عن منطقة تتبعوها بالزراعة فىحركة دائبة حتى ينتهوا منزراعة كافة الأراضى(٣١٩) وغالبا ماتكون هذه الزراعة التى تزرع بعد انحسار ماء النيل من المحاصيل التى لا تحتاج الى الرى مرة أخرى(٣٢٠) •

وعلى أى حال نظرا لان الرى الحوضى هو الرى السائد فان الزراعة الشتوية لأراضى مصر تشكل أساس الزراعة بل انهــا حتى اليوم من أهم المحاصيل التى تزرع •

والزراعة الصيفية تأتى بعد انتهاء الزراعة الشتوية ولكنها تمثل نسبة ضئيلة من الأراضى التى تزرع ، وذلك لأن نهر النيل يكون فى أوقــات التحاريق والمياه قليلة ، ولكن الرى يكون فى هذه الحالة على السواقى والدواليب والوسائل الاخرى مثل الشادوف والهمالات التى ترفع بهــا المياه الى مستوى الأرض ، وغالبا ماتكون هذه الأرض ، بالقرب من مجرى النهر ، أو الترع الرئيسية حتى يمكن رفع مياه النهر منها ، كمــا أن اراضى الفيوم كانت تزرع طــوال العام بأكثر من محصــول واحد فى الســـنة •

أما الزراعة الخريفية فكانت تمثل نسبة قليله من أراضى مصر ايضا ، وهذه تأتى بعد الزراعة الصيفية ، عندما يبدأ نهر النيل فى الزياده والارتفاع وكانت توجد ، فى مناطق قريبه من النهر ويدور عليها جسور تقيها من مياهه ، كما ان هناك محاصيل تمكث فى الأرض أكثر من عام ، مثل قصب السكر والنيله والكتان ، فلا يمكن زراعة الأرض طوال العام الا بهــذا المحصول(٣٢١)على أى حال نخلص من ذلك الى أن الزراعة الرئيسية فى مصر كانت هى الزراعة الشتوية التى تعقب الفيضان ، وتزرع ولا تحتاج الى مياه أخرى •

---

(٣١٨) ابن حوقل : صــورة الأرض ١٢٩ ـ ١٣٠ ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٣٧ •

(٣١٩) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٤٠

(٣٢٠) نفس المرجع ص ٤٣ •

(٣٢١) المقريزى : الخطط جـ١ ص ١٠٠

وان هناك بعض المساحات كانت تزرع فى الخريف والصيف ولكن لم تكن تمثل الا مناطق صغيرة وهى التى تروى بالآلات أو مثل الفيوم ٠

وان أراضى مصر رغم استوائها العام ، الا انها كانت فى ارتفاع وانخفاض وليست مستوية تماما ، وقد يزرع بعضها عند ارتفاع النيل وانه لم تكن هناك دورة زراعية بالمعنى المفهوم ٠

ان هناك بعض مناطق ، كانت تزرع بأنواع الفواكه والزهور وهى مناطق ضياع لم تكن تغمرها المياه ، وانما كانت تعتمد على وسائل الرى من سواقى ودواليب لزراعتها ٠

● ● ●

## أهـــم الحاصـــلات

بعد ان استعرضنا الدوررة الزراعية ، وخلصنا الى انه كانت هنــاك دورة زراعية شملت الأراضى المصرية ، كانت الزراعة الشتوية ، على أساس الدورة الزراعية وسنذكر فيما يلى أهم الحاصلات الزراعية :

القمح كان أهم المحاصيل فى مصر الاسلامية وهو من أهم المحاصيل الشتويه وذلك الغذاء الرئيسى من ناحية ومن ناحية أخرى كان يصــدر الى البلاد العربية فمصر كانت تمير الحرمين(٣٢٢) ، ولهذا السبب أساسا أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عمرو بن العاص أن يحفر خليج أمير المؤمنين .

وقد كانت زراعته تكثر فى الصعيد ( لكثرة الطرح ) (٣٢٣) وقد كان من هذا القمح الذى يزرع بالصعيد اغلب ما يتحصل فى ديوان الخــراج من الغــلال وهو حوالى مليــون أردب (٣٢٤) وكانت منطقــة منفلوط بالصـــعيد ، من المناطق التى تنتــج قمحا ممتــازا « لطيبــه ورزانــه حبــه » (٣٢٥) .

كما امتازت مصر بزراعة انواع جيده منها القمح اليوسفى « وهو اعظم القمح حبا واطوله شكلا واثقله وزنا » (٣٢٦) ولقد كان لكثرته يحفظ فى الاهراء السلطانية حتى يمكن استخدامه ، بعد ذلك سواء فى الداخل لتنظيــم قمية أسعاره أو لحملة الى الحجاز عن طريق القلزم (٣٢٧) أو غيرها من البلاد .

---

(٣٢٢) ابن الكندى : فضــائل مصر ص ٥٨ والمقدسى : احســـن التقاسيم ص ١٩٥ .

(٣٢٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٦٨ والمقصــود بكثرة الطرح هو الطمى والغرين الذى يحمله ماء الفيضان . ولذلك كانت أراضى الصعيد أكثر ارتفاعا عن الدلتا واسفل الأرض .

(٣٢٤) المقريزى : الخطط جا ص ٤٦٥ .

(٣٢٥) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٣١ ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٥ .

(٣٢٦) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٠ .

(٣٢٧) ابن الكندى : فضائل مصر ص٥٨ .

وقد اشتهرت عدة مناطق بانتاج أنــواع ممتــازه من القمح كمنطقة سخا(٣٢٨) ٠

ونلاحظ من أوراق البردى العربية فى بردية مؤرخة سنة٩١هـ/٧١٠م أهمية القمح ، حيث كان يعتمد عليه أساسا فى الغذاء(٣٢٩) كما ورد فى برديه مؤرخه شوال ٣٥٣ هـ ( أكتوبر ، نوفمبر ٨٦٧ م ) « سألتنى وطلبت ان اكريك أربعة عشر فدانا أرض طيبة سودا من أرض مقطول على ان تزرعها قمحا »(٣٣٠) ولقــد كان هناك ميدان يسمى ميدان ( الغله ) «كانت حمولة القمح تفرغ فيه وذلك نظرا لأهمية القمح »(٣٣١) ٠

الشعير يزرع الشعير فى نفس الوقت الذى يزرع فيه القمح تقريبا ، وان كانت احيانا تتقدم زراعته عنه ، ولكن الغالب انــه يحصد فى موعد حصاد القمــح « ويزرع اثــر الباقى » وكان يستخدم كعلف للحيــوانات وخاصة الخيول ٠

الكتان من الزراعات المنتشره فى مصر ، منذ عهد بعيد ، واستمرت طوال عصر الولاة وذلك لمــا لها من أهمية فى صناعة المنســوجات التى اشتهرت بها بلاد كثيره فى مصر ، منها اهناسيا وأسيوط والبهنسا ، ويعتبر اقليم الفيوم ، من أكبر الأماكن فى زراعة الكتان(٣٣٢) وكان يزرع فى مصر نوع ممتاز من الكتان الذى ورد ذكره كثيرا فى أوراق البردى العربية ، وكانت له أهمية كبرى لا من حيث النسيج فحسب ، بل من حيث تصديره

---

(٣٢٨) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٨٩ ( سخا مدينة كبيرة من أعمال الغربية وتشتهر بغلالها الكثيرة واسواقها العامرة ) محمد رمزى القاموس الجغرافى ص ٢٠ محمد محمود ادريس : الحياة الزراعية فى العصر الفاطمى ص ١٣٨ ٠

(٣٢٩) جروهمان : أوراق البردى جـ ٣ ص ٤٧ ــ ٤٨ ٠

(٣٣٠) جرهمان : نفس المرجع جـ ٣ ص ١٠ ٠

(٣٣١) جروهمان : نفس المرجع والصفحة ٠

(٣٣٢) ابن ممانى : قوانين الدواوين ص ٢٥٨ الكتان مادة رئيسية تستعمل فى النسيج بمصر وتعددت هــذه المنسوجات تبعــا لنوع الكتان المصنوع منها مارق وما غلظ واشتهرت مصر بأرق الثياب ، فكان خير ما يجلب منها ٠ ومن امثلة المنسوجات الكتانية بمصر القصب وهو قماش رقيق جداً من الكتان الناعم الملمس ( لسان العرب ــ مادة قصب ) ٠

الى البـلاد الأخرى(٣٣٣) ومن أمثلة هـــذه الاشارات ما ورد فى بردية مؤرخه سنة ٢٥٣ هـ - ٨٦٧ م « أربعة عشر فدانا أرضا طيبة سودا من أرض مقطول على أن تزرعها قمح وكتان» كما جاء فى نفس البردية«من أرض المتعة تزرع كتان »(٣٣٤) ووردت نفس المعـانى السابقة فى بردية أخرى مؤرخة ٣٤٨هـ/٩٥٩م(٣٣٥) ٠

ولقد كانت كل جهة من الجهات ، تزرع نوعا خاصا من أنـواع الكتان ، فقد اختصت « بوصير بزراعة النوع الرفيع »(٣٣٦) وهو من الانواع الممتازه فى الكتان ، ولكن كان هناك نوع آخر من الكتان ولكن أقل مستوى يزرع فى الفيوم(٣٣٧) وكان هــذا النوع الأخير يستعمل فى صناعة المنسوجات المحلية بينما كان الرفيع غالبا ما يصدر الى البـلاد المجاورة(٣٣٨)

الفول يلى القمح فى الأهمية(٣٣٩) بالنسبة للمحـاصيل ، ويسمى البقول كما ان مساحة الأراضى التى يشغلها كبيرة ، ولقد كانت أهميته تعود الى انه غذاء أساسى للسكان بالاضافة الى انه يستخدم ايضا كعلف للحيوانات ، وقد ورد ذكر الفول كثيرا فى أوراق البردى العربية ، وقـد كان يزرع فى الضـياع الواسعة(٣٤٠) وقد ورد فى بردية من سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١ م(٣٤١) ( بسم الله الرحمن الرحيم ) هذا ما استأجر سعيد بن عيسى استأجر هارون بن بتام استأجره سعيد ابن عيسى شهرين كاملين على أن يعمل له عمل الفول ) ٠

---

(٣٣٣) ادم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٠٠ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٥٧ م ٠

(٣٣٤) جروهمان : اوراق البردى العربية جـ ٢ ص ٤٤ ٠

(٣٣٥) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ ٢ ص ٤٧ ــ ٤٨ ٠

(٣٣٦) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ، ص٣٠٠ ٠

(٣٣٧) نفس المرجع : ص ٣٠١ ٠

(٣٣٨) نفس المرجع السابق والصفحة ٠

(٣٣٩) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٤٧ ٠

(٣٤٠) جروهمان : أوراق البردى العربية ، جـ ٢ ص ١٠٢ ٠

(٣٤١) نفس المرجع ص ٩٩ لوحه ١٢ طراز رقم ١٧٤ ٠

الجلبان وهو من المحاصيل التى كانت تزرع بكثره ، وذلك لانــه يستخدم علفا للحيوانات وكان يزرع فى الصعيد وفى اقليم الفيـوم(٣٤٢) وفى بردية يقول وكيل احدى الضياع لسـيده ( بأنه يدفع الى أبى طاهر ثمن الجلبان وحوائج ابتعناها منه ) ولقد كانت غلات الجلبان تبــاع فى الأسواق كتقاوى للزراعه وورد ذكره كثيرا فى أوراق البردى العربيــة مما يدل على انتشار زراعته • وعلى انه كان يحقق ويدر ربحا وفيرا •

كانت هناك محاصيل شـتويه أخرى وان كانت أقل اهميــة وهى العدس والقرط والبصل والترمس والحمص والثوم وغيرها •

المحاصيل الصيفية وتبدأ زراعة هذه المحاصيل عقب الانتهــاء من حصاد المحاصيل الشتوية ـ السابق الاشارة اليها ـ وذلك فى شهر برموده ( ابريل ) حتى آخر ابيب وأوائل مسرى ( يوليو ) وأهم هذه المحاصيل القصبوالسمسم والأرز ، النيله ، القطن ، القلقاس ، البطيخ ، اللوبيا، الباذنجــان والفجــل واللفت والــكرنب والتمــر والزهــور بمختـلف أنواعها(٣٤٣) •

**ومن أهم هذه المحصولات :**

القصب كان القصب يزرع فى مصر ، حتى ان الامام الشافعى ذكر أنه لولا قصب السـكر فى مصر لمـا بقى فيها(٣٤٤) وكان قصب السـكر يزرع بكثرة فى الصعيد ، وكانت قوص(٣٤٥) تشتهر بزراعته منذ أوائل القرنالثالث الهجرى ، وتشير أوراق البردى الى زراعته وهى التى ترجع

---

(٣٤٢) ولقد كانت الأراضى تزرع جلبانا وتستعمل للمراعى فتفرض عليها ضرائب تسمى ضريبة المراعى وأول من فرض عليها هذه الضريبة أحمد بن مرير ثم الغاها أحمد بن طولون •

جروهمان : أوراق البردى ٣٦٠ ص ١٧١ لوحة ٢٠ •

الخطط جـ ١ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ •

(٣٤٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٦٥ ـ ٢٧٢ ، المقريزى :

(٣٤٤) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٩٢ •

(٣٤٥) كان الجو بالصعيد يساعد على نمو قصب السكر وزراعته وقد اهتم به هناك لانتاج السـكر وقد اهتم بقــوص بذلك حتى كان بها أربعون مسبكا للسكر وست معــاصر للقصب الادفوى : الطــالع السـعيد ص٢٤ ، القاهرة ١٩٦٦م •

الى القرن الثانى الهجرى ، وتنتج مصر عسلا وسكرا من قصب السكر(٣٤٦) .

القطن وكان القطن يزرع فى مصر ، ولكن لم يكن منتشرا كثيرا ، وان كانت هناك اشارات اليه فى أوراق البردى العربية(٣٤٧) ، ففى بردية من القرن الرابع الهجرى نرى ذكر القطن فى العبارة التالية ( وسعر القطن عندنا سبعة أرطال بدينار وكان فدان القطن ينتج من قنطارين الى ثمانية قناطير(٣٤٨) ( نفس النسبة فى الوقت الحالى تقريبا ) على ان القطن كان يزرع فى المناطق التى يتوفر فيها نسبة كبيرة من مياه الرى مثل الفيوم ، التى يوجد بها نظام الرى الدائم .

الا أن آدم متز(٣٤٩) يذكر عن القطن « بالرغم من أنه كان يزرع بمصر العليا من زمن طويل فانه لم يذكر من بين حاصلات مصر فى القرن الرابع الهجرى ، ويبدو انه لم يكن له شأن فى الوقت » ونحن نذهب الى ما ذهب اليه آدم متز فبالرغم من وجود مساحات تزرع بالقطن ، وانه كان يستخدم فى بعض المنسوجات الا أن ذلك كان على نطاق ضيق وفى حيز محدود ولم يكن له تأثير كبير .

الأرز وكان من الزراعات، التى تنتشر فى مصر وخاصة فى المناطق التى تتوافر فيها مياه الرى اللازمه له ، مثل الفيوم ، ولذلك فهو أكثر غلات الفيوم(٣٥٠)وكانت زراعته منتشرة هناك ويصدر منها الىغيرها من البلاد ، وكان ماء الفيوم حارا بسبب جريه على مزارع الأرز هناك(٣٥١) .

ولقد ورد ذكر الأرز فى أوراق البردى العربية ، ضمن المزروعات فى القرن الثالث الهجرى ، ضمن حساب أحد الفلاحين(٣٥٢) وكان يستخدم

---

(٣٤٦) ادم متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٠٥ .
(٣٤٧) جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٦ ص ٧٨ ، محمد أحمد ادريس : الحياة الزراعية فى مصر ص ١٤٠ .
(٣٤٨) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٦٥ .
(٣٤٩) الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٤٥ .
(٣٥٠) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٤٤ ، محمد أحمد أدريس ص ١٤١ .
(٣٥١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٠٣ .
(٣٥٢) جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٦ ص ٥٨ لوحه ٦ ، محمد أحمد أدريس ص ١٤٢ .

عذاء للسكان فى القرى والمدن ، ويزرع فى بشنس ( مايو ) ويبدأ أحصاده فى بابه « أكتوبر »(٣٥٣) ٠

النيلة كانت تزرع بالصعيد ، وكان حصاده يتم فى « كل مائة يوم ويبقى فى الأرض الجيدة ثلاث سنوات » (٣٥٤)فى السنة الأولى يسقى كل عشرة أيام ( دفعتين ، وفى السنة الثانية ثلاث دفعات ، وفى السنة الثالثة أربع دفعات ، ولذلك تجود زراعته فى الأراضى ذات المياه الوفيرة، وترجع أهميته الى استخراج الأصباغ اللازمة ، لصباغة المنسوجات ، وهو معروف بجودة صباغته ، ويفوق كثيرا الأصباغ الأخرى(٣٥٥) ونظرا لان مصر تنتج المنسوجات فقد كانت فى حاجه الى هذا المحصول لصباغة هذه المنسوجات ٠

السمسم كان يزرع فى مصر الاسلامية ، ولكن بمساحات صغيرة ، وذلك لانه يسبب ضررا للارض ، ويقول ابن العوام(٣٥٦) فى ذلك « نبات مفسد للأرض ، وينبغى ألا يتابع زراعته سنتين متواليتين فى أرض واحدة » وربما كانت تكاليفه كبيرة بالاضافة الى اجهاده للارض ، وما ينتجه من غلة ، لايعادل نفس النسبة ، كما انه يحتاج الى مجهود كبير حتى يتم استخراج محصوله ٠

على أى حال كانت أهميته ترجع الى استخدامه فى الأغذية والحلوى ٠ بالاضافة الى انه كان يستخرج منه الزيت عن طريق معاصر ، لعصر بذرته واستخراج الزيت منها ويسمى زيته « زيت السيرج »(٣٥٧) ٠

محاصيل أخرى كانت هناك بالاضافة الى ما سبق محاصيل اخرى ، سبق ذكرها وهى المقاتى من بطيخ وغيره ، وكذلك العدس والحمص والخيار والقرط ٠ ولكنها لم تكن بأهمية ماذكرنا من محاصيل ، وانما كانت على هامش الزراعات المصرية ٠

اشجار الفواكه والنخيل كانت تزرع بمصر انواع عديده من اشجار

---

(٣٥٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٣٧ ٠
(٣٥٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٧٢ ٠
(٣٥٥) الادريسى : نزهة المشتاق ص ٤٣ ـ ٤٤ ٠
(٣٥٦) كتاب الفلاحة جـ ٢ ص ٢٩ ، مدريد ١٨٠٢ م ٠
(٣٥٧) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٦١ ٠

الفواكه ، فكانت تزرع وخاصة فى الشمال « الكروم واللوز وسائر الفواكه والزيتون وغيرها »(٣٥٨) .

وكانت أشجار النخيل ، تغطى مساحات واسـعة من أراضى مصر وخاصة فى بلاد الصعيد ، الذى اشتهر بنخيله وبساتينه الكثيرة ، وكانت بأسوان حدائق للنخيل وغيرها من الفواكه تروى بالسواقى(٣٥٩) .

ولقد كانت بمصر من الفواكه فى وقت واحد ما هو صيفى وربيعى وشتوى حيث وجد بها فى يوم واحد « النارنج والليمون والتفاح والرمان والكمثرى والبطيخ والموز والزيتـون والرطب والعنب »(٣٦٠) وفاكهة الصعيد شديدة الحلاوة حسنة المظهر(٣٦١) والنخيل الـذى يزرع بكثرة ويحيط بمعظم القرى والمدن ، وكانت أطيب ثمـاره فى الصعيد وخاصـه فى كورة قوص التى تمتاز برطب من أحسن الرطب ، صـــادق الحلاوة وكثير السـكر وليس من أنـواع التمـر فى العــراق الا وفى صعيد مصر مثله(٣٦٢) كما أن أسوان كان أكثر اقليم الصـعيد نخلا وقور الادفوى مســاحة النخيل التى بقـوص بحوالى عشرين ألف فدان(٣٦٣) . وان انتاج أسـوان من التمر كان كثيرا « فقد تحصل منها فى سنة ثلاثون ألف أدب من التمر » (٣٦٤) .

ولقد ذكرت أوراق البردى اشجار النخيل وانه كان يزرع فى الضياع الكبيرة ، ففى برديه من القرن الثالث الهجرى يقول فيها صاحب الأرض لوكيله بأن « يقوم باحصاء النخيل »(٣٦٥) ممـا يدل على أن بالضيعة عددا كبيرا منه ويعلق على ذلك الدكتور / الدالى ، بأنه كانت تفـرض ضريبة على النخيل ، فطلب ذلك لتقدير الضريبة عليه(٣٦٦) .

---

(٣٥٨) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٠ — ٢١ .
(٣٥٩) ناصر خسرو : سفرنامة ص ٧١ .
(٣٦٠) نفس المرجع والصفحة .
(٣٦١) الأدفوى : الطالع السعيد ص ٢٩ .
(٣٦٢) نفس المرجع ص ٢٧.
(٣٦٣) نفس المرجع ص ٢٥ .
(٣٦٤) نفس المرجع السابق ص ٢٦ .
(٣٦٥) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٦ ص٥ لوحة٢ .
(٣٦٦) نفس المصدر ص٥ . على احراش النخيل والكروم والخضر ضرائب تختلف عن الضرائب التى تفرض على الاراضى المنزرعة قمحـا وشعيرا : أوراق البردى العربية جـ ٤ ص ١٠٣ — ١٠٤ .

من العرض السابق نرى أن اشجار النخيل قد انتشرت فى كافة انحاء مصر وخاصة فى الصعيد الذى امتاز بالانواع الممتازه منها ، وان كانت هامة بالنسبة للفلاحين بصفة خاصة (٣٦٧) .

أشجار الغابات كانت الأساطيل فى حاجة الى الأخشاب ، وكذلك الحاجة الى الخشب فى الاستخدامات الأخرى العديدة له . وقد اشتهرت زراعة الاشجارفى « منطقة البهنسا حيث كان يزرع بها وحدها مساحة ثلاثة عشر ألف فدان » (٣٦٨) كما كانت البساتين الواسعة التى بها الأشجار (٣٦٩) .

ولقد كانت لأصحاب الضياع الكبيرة والبساتين التى تستخدم اشجارها فى عمل السواقى والمعاصر كان لهؤلاء تجار خاص للضيعه ، يدفع حسابه وكيل الضيعه (٣٧٠) .

ومن هذه الاشجار التى كثرت زراعتها فى مصر ، اشجار السنط ، اللبخ ، الأراك ، الدوم ، الخيار ، شنبر ، الأهليج، السدر وغيره (٣٧١) .

وقد عد السنط من فضائل مصر (٣٧٢) ، وينبت على هيئة احراج (٣٧٣) ويكثر بالوجه القبلى بالبهنسا والاشمونين ، وأسيوط وأخميم وقوص (٣٧٤) وأشجار تحتاج الى جو حار وهو متوفر فى هذه المناطق .

وكان يحتاج اليه فى بناء المنشآت والسفن ، وقد ورد فى برديه من القرن الثالث الهجرى ما يفيد ان أشجار السنط كانت منتشره كما ذكرنا فى بلاد الصعيد ، وأن هذه الاشجار ذات أهمية حتى ان التجار كانوا

---

(٣٦٧) ذكر الادفوى انه للذته وحلاوته كان يدق ويستعمل بدلا من السكر ، الطالع ص ٢٥ .

(٣٦٨) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٠٤ .

(٣٦٩) نفس المصدر جـ ١ ص ٤٨٧ .

(٣٧٠) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ ٦ ص ١٩٤ .

(٣٧١) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ص ٦٣ ، السيوطى : حسن المحاضره جـ ٢ ص ١٧٥ .

(٣٧٢) ابن الكندى :فضائل مصر ص ٧٠ .

(٣٧٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٤٤ الاحراج ـ اى غابات كثيفة .

(٣٧٤) المقريزى : الخطط جـ٢ ص ١٩٤ .

يشترونه من هناك ويحملونه فى المراكب الى الفسطاط ، حيث ورد فى برديه من ذلك التاريخ ( القرن الثالث الهجرى ) بمدينة ادفو حساب حطب لتاجر خشب(٣٧٥) وبرديه أخرى تشير الى ارسال اخشاب من الأقصر وقوص(٣٧٦) • كما ان خشب الجميز كان يستخدم فى أعمال البناء والسفن وكانت أسعاره مرتفعه ، حتى ان بعض جذوعه ، بلغت اثمانها مائة دينار للجذع الواحد منها(٣٧٧) •

اللبخ من الانواع التى تستخدم بالاضافة الى النوعين السابقين اشجار اللبخ وخاصة فى بناء السفن ، وكان ينمو بصفة خاصة بأنصنا وبالبقرب من دير قلامون بالفيوم(٣٧٨)وكان ثمن اللوح الواحد منه يصل الى خمسين دينارا ، وقد اشارت برديات كثيرة الى ارسال خشب اللبخ من الصعيد والفيوم الى الفسطاط(٣٧٩) •

والخلاصة ان اهم المحاصيل الشتوية ، والتى يندرج تحتها القمح والشعير والفول والكتان والجلبان ، وهى التى تكون المحصول الرئيسى لنظام الرى الحوضى فى معظمها وانها لم تكن بحاجة كثيرا الى مياه أخرى للرى •

وان المحاصيل التى تليها وهى المحاصيل الصيفية : قصب السكر ـ الارز ـ القطن ـ النيلة ـ السمسم ـ وأشجار الفواكه وأشجار الأخشاب

وكانت هذه المحاصيل متكاملة ، وكانت معظمها تفى بحاجات البلاد ، ويفيض الكثير منها ويصدر على هيئة غلال أو بعد تصنيعه على هيئة منسوجات أو ورق أو غيرها •

---

(٣٧٥) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٠٤ •
(٣٧٦) جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٦ ص ١١٩ •
(٣٧٧) جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٦ ص ٥٨ •
(٣٧٨) جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٦ ص ٦٣ •
(٣٧٩) جروهمان : أوراق البردى العربية ج٦ ص ٦٥ ـ ٦٩ •

# الفصل الثاني

## النيل والتجارة الداخلية والخارجية

★ النيل كطريق للمواصلات

★ السلع المحمولة على النيل

★ مراكز التجارة على النيل ونظم الأسواق فيها

★ المكوس المفروضة على السلع

★ التجارة بين مصر والنوبة

# النيل كطـريق للمواصلات

كان نهر النيل وما يزال وسيلة مواصلات طبيعية لا نظير لها وخاصة فى مصر الاسلامية وفى فترة لم تكن وسائل النقل الحديثه قد عـرفت ، لذا كان من الطبيعى أن يكون نهر النيل هو الطريق الرئيسى للانتقال بين انحاء البلاد ولا سيما بين الشمال والجنوب وقد زاد من أهمية النهر ، أن وادى النيل عبارة عن شريط ضيق من الأرض الزراعية باستثنـاء الدلتا ، وبالتالى فان التنقل بين شرق الوادى وغربه ، لم يكن مشكلة بسبب ضيق الرقعة لاسيما فى الصعيد . لذا قام النهر بدور الرابط الاساسى الوحيـد تقريبا بين الشمال والجنـوب ، وفى الدلتـا لعبت فروع النهر والتـرع والخلجان ، دورا هاما فى الربط بين البلاد ، ونقل المسافرين والبضائع . ونظرا لان مصر بلد زراعى ومحاصيلها متنوعة ، فانه لابد من نقـل هذه المحاصيل من مكان الى آخر لحاجة البلاد أو لتصديرها .

ومجرى النيل فى مصر بالذات يعتبر صالحا للملاحة ، لعدم وجود الجنادل أو العوائق التى تعوق حركة الملاحة لذلك ، أصبح النهر هـو الطريق الرئيسى لنقل البضائع (١) والمسافرين ، وعلى صفحة النهـر كانت تسير السفن النيلية والمراكب محملة بالغلال والمـاشية وشتى أنـواع البضائع مصعدة جنوبا أو منحدرة شمالا ، فهى محمولة على سـطح المـاء التيار تطير اذا فتح لها جناح القلاع (٢) .

ولقد كان النيـل من أكثر وسائل المواصـلات استخداما خاصـة فى النواحى التجارية ، وقد ورد استخدام النيل فى ذلك فى العديد من أوراق البردى العربية ، وهى تدل على الأهمية التى لنهر النيل كوسيلة من وسائل النقل ، ففى احدى البرديات من القرن الثالث الهجرى يقـول الوكيل لسيده ( فانظر أعزك الله أن تأمر يحن أن يحمل الى مركبه مائة جرة وسبع عشرة (٣) وبرديه أخرى تشتمل علىخطاب مؤرخ سـنة ٣٣٤ هـ - ٩٤٢ م ويشير الى ارسال أخشاب يقول فيه مرسله ( وصـل

---

(١) فى مصر الاسلامية مقالة المواصلات فى مصر ص ٣٤ - ٣٦ .

(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٧ .

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ ٥ ص ١٣٥ ( الجره ) جرة العسل وهى اناء من الفخار يوضع فيه العسل المستخرج من قصب السكر ) .

بقية الخشب الذى بالأقصر وهو ست وعشرون قطعة وقد حملتها على معدية عيسى بن تنوس »(٤).

كما أن هناك برديه عربية محفوظه بالمكتبة الأهلية بباريس يرجع تاريخها الى ٢٤ ديسمبر ٨٦٥ م – ٢٢ ينـاير ٨٨٦ م ، يبدو منها ( ارسال ١٠٢ كتله من الخشب من مدينة الفيوم الى على بن حكام تاجر الخشب بالفسطاط ) وكذلك خطاب آخر مرسل الى موظف بشأن سفينتين محملتين بخشب السفط ، ويرجع تاريخه الى القرنين الثانى والثالث الهجرى ( الثامن والتاسع الميلادى ) (٥) .

وكان التجار يصعدون فى المراكب الى منفلوط لجلب القمح منها نظرا لما يمتاز به قمحها من جودة وطيب . وكانت الملاحة النهرية على النيل كثيرة جدا فى مصر الاسلامية حتى تعجب المقدسى (٦) وهو بمصر من كثرة المراكب السائره والراسية هناك ، وقد كانت حركة الملاحة النهرية تشمل مجرى النهر الرئيسى وفروعه ، وكذلك الترع والخلجان الكبيرة بالوجه البحرى ، وفى ذلك يقول ابن رسته (٧) « أنهم ساروا الى الاسكندرية عن طريق الماء ، وركبوا السفن فى بطن النيل ، وانحدروا أياما حتى افضوا الى البر وصاروا الى مدينة الاسكندرية». بما أن معظم كور مصر كانت مدنها يصل اليها عن طريق النيل « تؤتى هذه المدن والكور كلها فى المـاء ويحمل ما يكون بها من الطعام والامتعة الى فسطاطها ، تحمل السفينة الواحدة حمل مائة بعير وأقل وأكثر » (٨). « وتلك المدن تؤتى فى الماء من السفن تحمل متاع الى الفسطاط وتحمل السفينة الواحدة ما يحمله خمسمائة بعير »(٩)

وكانت حركة التنقل بالمراكب بين مختلف أنحاء مصر فيذكر الكندى(١٠) أن هناك جماعة قد انتقلت من المنهى الى الفيوم ، ومن الفيوم الى الاسكندرية ، ومن الاسكندرية الى الفسطاط ثم انحدروا مرة

---

(٤) جروهمان : أوراق البردى جـ٥ ص ٥٨ .
(٥) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ ٥ ص ٦٦ .
(٦) المقدسى : من العلماء وجغرافى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى .
(٧) ابن رستة : الاعلاق النفيسة ص ١١٧ .
(٨) ابن رستة : الاعلاق النفسية ص ١١٧ .
(٩) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣١ .
(١٠) الولاة والقضاة ص ٢٩٧ .

أخرى وهذا يدل على أن حركة النقل النهرى ، واستخدام النيل فى المواصلات كانت أمرا سهلا وميسورا ، وقد قال ناصر خسرو (١١) « وحين بلغنا شاطىء البحر سارت السفينة فى النيل حين يقترب نهر النيل من البحر ، ويصير فروعا تصب متفرعة فيه ، ويسمى الفرع الذى سرنا فيه فرع الروم ، سارت السفينة حتى بلغنا مدينة تسمى الصالحية ، وهى مدينة كثيرة النعم والخيرات ، وتصنع بها سفن كثيرة حمولة كل منها مائتا خروار (١٢) وهى تنقل البضاعة الى مدينة مصر » .

ويذكر الكندى أن عبد العزيز بن مروان خرج الى الاسكندرية للمرة الثالثة سنة ٨١هـ – ٧٠٠ م وذلك عن طريق نهر النيل وبالسفن وقد قال فيها ابن قيس الرقيات شعرا (١٣) واستخدم الأساقفه نهر النيل فى التنقل من الفيوم الى الاسكندرية (١٤) كما ان عبد العزيز بن مروان أعد مركبا للبطريرك يوحنا السمنودى لينحدر فيها الى الاسكندرية (١٥) .

هذا عن استخدام النيل فى حركة النقل والمواصلات التجارية ولكن نهر النيل استخدم فى الأعمال العسكرية .

فالنيل خط دفاع طبيعى عن مصر ، ولذا كان المغيرون يتربصون بها حين ينحسر الماء عن أراضيها (١٦) ، وقد استخدم المقوقس النيل عندما أوشك عمرو بن العاص ومن معه على هزيمته ولذلك « أمروا بقطع الجسرين بين الفسطاط والجيزه » .

وقد استخدم مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين المراكب فى عبور النيل ، عندما فر أمام العباسيين سنة ١٣٢ هـ (١٧) ويذكر ساويرس بن

---

(١١) سفرقامة ص ٤٠ .

(١٢) الخروار : حل بعير .

(١٣) غدوا من دورج الكريون حيث سفينتهم حزق
فما ان علون النيل والرايات تختفق
رأيت الجوهر الحكمى والديباج يأتلق
سفائن غير مقرنة الى حلوان تستبق

الكندى : الولاة والقضاء ص ٥٣

(١٤) ساويرس بن المقفع : الاباء القديسين البطاركة ص ١١٤ .

(١٥) نفس المرجع ص ١١٩ .

(١٦) الكندى : الولاة والقضاة ص ٩٥ .

(١٧) نفس المرجع والصفحة .

المقفع (١٨) أن مروان فى هربه ، كان يريد ضرب الفسطاط بالنار ، ولذلك هرب الناس « وركبوا المراكب ووقع فى البحر من الناس والبهائم ما لا يحصى » ويضيف أن « مروان لما علم بوصول الخرسانيين » العباسيين « الى الفرما انقذ قوما فى المراكب الى بحرى من كل كوره ليحرقوا كل مركب يجدوه فى البحر » •

وهذا يعنى انه كان هناك استخدام للنيل فى مجابهة العباسيين عندما هموا خلف مروان فى فراره • ويذكر ابن المقفع (١٩) أن « الخرسانية جلبوا مراكب عدة الى مصر »وهكذا لم يكن النضال بين العباسيين والأمويين بريا فقط بل كان بحريا ، استخدم صفحة النهر الخالد فى هذه المجابهة •

ومن استخدامات النهر العسكرية ايضا ان الجروى نزل شطنوف فى مراكبه (٢٠) • كما استخدم النيل عبد الله بن طاهر الذى غادر الفسطاط حيث ركب النيل متوجها الى العراق (٢١) •

وقد اجتهد أحمد بن طولون فى « بنيان » المراكب الحربية وفى ذلك يقول الشاعر :

له مراكب فوق النيل راكدة
مما سوى القار للنظار والخشب

وقد ذكر أن مراكب طرسوس كانت وغيرها تجىءالى الفسطاط(٢٢) ولما بنى أحمد بن طولون قواته البحرية منعها من القدوم (٢٣) • ثم ان الخلنجى استخدم النيل ببعض المراكب الحربية وسار حتى وافى الاسكندرية ، كما دخل دمياط بالمراكب •

---

(١٨) ساويرس بن المقفع : سير الأباء القديسين ص ١٨٧ •
(١٩) سير الأباء القديسين ص ١٩١ •
(٢٠) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٥٦ •
(٢١) نفس المرجع والصفحة •
(٢٢) نفس المرجع والصفحة ص ٢١٨ ـ ٢٥٦ ، البلوى : وسيرة أحمد بن طولون ص ٨٧ (اتخذ مائة مركب حربية سوى ما تضاف اليها من العلابات والحمائم والعشاريات والسناديل وقوارب الخدمة •
(٢٣) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ٨٧ ، دمشق ١٣٥٨ هـ •

كما استخدم المناوئون لمحمد بن طفج الأخشيد النيل فى قتاله فى منطقة المنهى وانتقالهم الى الفيوم ، ثم الى الفسطاط فى المراكب سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، وكان لقاؤهم مع الأخشيد فى دار الصناعة ثم ما لبثوا ان انحدروا الى الاسكندرية فى النيل (٢٤) ٠

هذا بعض من استخدام النيل فى الأمور العسكرية ، ومهما يكن من امر فان النيل يعتبر من أهم وسائل المواصلات فى مصر الاسلامية ٠ كما كانت الفسطاط حلقة الوصل بين الشمال والجنوب تصل اليها وتخرج منها المراكب تمخر عباب النيل بكل ما حبا الله به أرض مصر من الخيرات فى حركة دائبة مستمرة ٠

---

(٢٤) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٧ ٠

## السلع المحمولة علي النيل

كانت على صفحة النيل تسير السفن النيلية والمراكب تحمل الغلال والماشية وشتى أنواع البضائع مصعدة جنوبا أو منحدرة شمالا ٠

ولقد كانت حركة الملاحة فى مصر الاسلامية ، كثيفه بدرجة كبيرة نظرا للنشاط التجارى الضخم ، الذى قامت به مصر فى تلك الفترة ٠٠٠ «وليس فىالدنيا نهر تجرى فيه السفن أكثر من نيل مصر»(٢٥)وكان ساحل الفسطاط كما يقول ابن حوقل (٢٦) « كثير العمارة بالمراكب وأصناف الأرزاق التى تصل من جميع أقطار الأرض والنيل ولئن قلت اننى لم ابصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فانى أقول حقا » ٠

وكانت حركة السلع المحمولة على النيل تشمل مجرى النهر وكذلك الترع الكبيرة المتفرعة عنه « وكانت السفن تجرى فى النيل تتصل بأسواق الاسكندرية » (٢٧) كما كانت تصعد فى النيل الى قرية بلاق ، التى كانت بمثابة سوق واليها تنتهى مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد الأعلى صعودا (٢٨) ٠

وهكذا كانت السفن تجوب كل أنحاء مصر من جنوبها الى الاسكندرية من أسوان الى رشيد ودمياط على البحر المتوسط فى الشمال ٠

وعند الحديث عن أهم السلع المحموله على النيل فى تلك الفترة نجد أن أول هذه السلع ، محاصيل مصر الزراعية ، فقد كان القمح والشعير والكتان والأرز والاشجار والتبن والقصب ( والعسل ) أولى المحاصيل التى كانت تنقل من قرى مصر الىمدنها ، وكذلك كانت المصنوعات ، وخاصة المنسوجات ، تنتقل بين مدن مصر الى الأسواق المحلية عبر النيل وقنواته ثم عبر الأسواق الكبيرة كالفسطاط وتنيس ودمياط والقلزم وعيذاب والاسكندرية الى خارج مصر ٠

---

(٢٥) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ص ١٣٦ ، القاهرة ١٩٦٩ م ٠
(٢٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٤٢ ٠
(٢٧)المسعودى : المروج جـ١ ص ٤٧ ٠
(٢٨) الادريسى : صفة المغرب ص ٢٠ ـ ٢١ ٠

وكانت السفن التى تجرى بالآلاف طوال العام ، محملة بالبضائع والمواد الغذائية المصدرة الى الفسطاط سوق الاستهلاك الرئيسى (٢٩) والتى يقول عنها المقدسى(٣٠) « وكنت يوما امشى على الساحل وأتعجب من كثرة المراكب الراسية والسائرة ، فقال لى رجل منهم ، من أين أنت ؟ قلت من بيت المقدس قال بلد كبير الملك ، أعلمك ياسيدى أعزك الله ان على هذا الساحل وماقد اقلع منه الى البلدان والقرى من المراكب مالو ذهب الى بلدك حملت أهلها وآلاتها وحجارتها وخشبها حتى يقال كانت هنا مدينة » .

وكان يجلب القمح من الصعيد ، وخاصة من منفلوط التى اشتهرت بجودة قمحها واتساع مساحتها ، ومن ثم كان التجار يصعدون اليها لاستجلابه (٣١) ، ويبدو أن الصعيد كان المورد الأساسى للقمح ، نظرا للحاجة الماسه اليه فى الغذاء وللتصدير ، وفى برديه بتاريخ ٩١ هـ (٧١٠ م) وخاصة بارسال القمح الى الحاضره « انى قد وضعت عنهم مكسه فليبيعوه بالفسطاط وعجل ذلك فانى قد خفت غلا الطعام بالفسطاط ، وانى اذا وضعت للتجار مكسهم أصابوا ربحا حسنا ، وانما الحصاد ان شاء الله فى أربعين ليلة أو قريب من ذلك فعجل ما كنت باعثا به من ذلك وأكتب الى كيف فعلت فى ذلك وما بأرضك من التجار الذين يبيعون الطعام » (٣٢) كما كانت ضريبة الطعام ترسل قمحا على صفحة نهر النيل ، وفى برديه(٣٣) من نفس التاريخ ٩١هـ/ ٧١٠ م كتب قرة بن شريك الى أهل شبرا بسيرو من كورة أشقوة « ومن ضريبة الطعام أخد عشر أردب قمح وثلث أردب » .

ومما لا شك فيه أنه كان ثمة مركز تجارى للغلال عرف باسم ميدان القمح أو ميدان الغله ، كان يحده غربا المكان الذى يلى باب القنطرة

---

(٢٩) رحلة ابن بطوطة ص ٦٩ .
(٣٠) أحسن التقاسيم ص ١٩٨ .
(٣١) رحلة ابن جبير ص ٣١ .
(٣٢) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ ٣ ص ٨ لوحه ٢ طراز ٣٣١ ( والمكس من الواضح انه يقصد به نوع من الضرائب فرض على التجار .
(٣٣) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ ٣ ص ٤٧ الطراز رقم رقم ٣٣٥ .

مباشرة حتى المقس ، وكانت حمولة القمح تفرغ فى الميناء النيلى الذى كان يشغل كل ساحل المقس ، حتى باب القنطرة وكانت ترسو السفن فى المكان الذى يقع بين جامع المقس ومنية السيرج ، حتى أن الساحل كان كله زاخرا بالسفن المحملة بالغلال (٣٤) .

ومن ذلك نرى أن الغلال ، وخاصة القمح كانت أهم السلع المحمولة على النيل فى ذلك الوقت ، كما أن المحاصيل الأخرى ، مثل الكتان والشعير وقصب السكر ( وما ينتج عنه من عسل ) وكذلك الاخشاب ، ضمن المحاصيل التى ترسل من الاقاليم الى الفسطاط ، فمثلا فى بردية من القرن الثالث الهجرى ( التاسع لميلادى ) يقول وكيل لسيده « فانظر أعزك الله أن تأمر من يحمل الى مركبه مائة جرة وسبع عشرة جره » (٣٥) . كما أن هناك بردية أخرى بتاريخ سنة ٣٣٤هـ/٩٤٢م بها خطاب يشير الى ارسال خشب يقول فيه مرسله « وصل بقيه الخشب الذى بالاقصر وهو ست وعشرون قطعه وقد حملتها على معديه عيسى بن تنوس » (٣٦) .

كما أن هناك برديه عربية محفوظه بالمكتبة الأهلية بباريس يرجع تاريخها الى سنة ٨٦٥ م بها اشارة الى ( ارسال ١٠٢ كتلة من الخشب من مدينة الفيوم الى على بن حكام تاجر الخشب بالفسطاط ) (٣٧) كما هناك برديه تحمل اشارة أخرى الى خطاب طريف مرسل الى موظف كبير بشأن سفينتين محملتين بخشب السنط ، يرجع تاريخه الى القرنين الثانى والثالث الهجرى (٣٨) ، على أى حال فقد كانت ضفتا النهر عامرتين بالمدن والقرى والأسواق نتيجة لحركة الملاحة الدائبة ، فقد ذكر الاصطخرى أنه من حد أسوان الى البحر « مدن وقرى منظومه متكاثفة » (٣٩) متصل بعضها ببعض وكان لكل من هذه المدن والقرى على النيل موانى حسب حجم المدينة أو القرية .

ولم يكن المسافر فى النهر يحتاج الى أن يأخذ معه طعاما أو غيره « لانه مهما أراد النزول للشاطىء سيجد سوقا يشترى منه مايريد ، كما

---

(٣٤) جروهمان : نفس المصدر ج ٣ ص ١٠ .

(٣٥) جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٥ ص ١٣٥ ويقصد بالجرة أوانى العسل .

(٣٦) نفس المصدر ج ٥ ص ٥٨ .

(٣٧) نفس المصدر ج ٥ ص ٦٦ .

(٣٨) نفس المصدر والصفحة .

(٣٩) الاصطخرى : كتاب مسالك الممالك ص ٥٠ ـ ٥١ ، ورحلة ابن بطوطة ص ٦٦ ـ ٦٧ ٥

يجد مكانا يتوضأ ويؤدى الصلاة ، والأسواق متصلة من مدينة الاسكندرية الى مصر ، ومن مصر الى مدينة أسوان من الصعيد » (٤٠) ٠

كما كانت الأغنام والماشية ضمن السلع التى ترد من الصعيد وخاصة أسوان ، حيث تجارة النوبة لتباع فى الفسطاط (٤١) ٠

وكان الكتان يزرع بكميات هائلة ، وخاصةفىالصعيد ، وكان يستخدم فى صنع ملابس غالية الثمن ، ومن الصعيد كان الكتان يخرج فى شكل « بالات » ضخمه بطريق النهر منحدرا الى الفسطاط ، ويواصل رحلته فى المراكب الى الموانى الشمالية حيث يصدر الى بلاد المغرب الاسلامى وبلاد الشام (٤٢) ٠

ومن المحاصيل المحمولة على مياه النيل أيضا الفواكه بأنواعها ، حيث تصل الى المدن الكبيرة والفسطاط ، ولذلك فقد « كانت تنتقل منتجات القرية الى العاصمة حيث تباع هناك بالاسواق » وكانت هذه المواد الأولية من غلات وحبوب من الصعيد ، والفواكه من الفيوم وبعض المواد الأخرى مثل المعادن كالذهب والزمود (٤٣) من أسوان ، وكذلك الرقيق الذى يجلب من النوبة ومن غيرها ، والقراطيس ( أوراق البردى ) والخل والترمس والجلبان والذره والنيلة والدواجن ، وشراب العسل والتمور ، والريش والشمع والعسل ، كل هذه المواد الأولية ٠ كما كانت المنسوجات المصنوعة فى البهنسا والطراز والقصب التنيس والثوب الدبيقى وغيرها من منتجات مصر ، تحمل الى الفسطاط ومنها تحمل على صفحة النهر الخالد الى كل الدنيا ٠

كما أن المصنوعات وغيرها من المواد المستوردة تصل الى العاصمة عن طريق الموانى الشمالية ، رشيد ودمياط وتنيس والاسكندرية على البحر المتوسط ، والقلزم وعيذاب على البحر الأحمر ، فتحمل الى الفسطاط والمدن الكبرى لتباع منها ٠

ويتضح من أوراق البردى أن هناك عدد من السماسره ، كانوا ينزلون الى القرى لاستجلاب المواد وبيع المصنوعات ، فمن برديه من القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) يقول الوكيل لسيده ( وصل

---

(٤٠) نفس المراجع والصفحة ٠
(٤١) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٦٩ ٠
(٤٢) ناصر خسرو : سفرنامة ص ٦٢ ٠
(٤٣) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٦٩ ٠

القمح وشلناه الى دكان السمسار ، وان ساهل الله فى بيعه أروج عندك بالخير ) (٤٤) ٠

كما كان الوكيل يرسل الى سيده المقيم بالمدينة ليتولى بنفسه بيعها ، ففى برديه أخرى من الاشمونين يسأل الوكيل سيده عما اذا كانت الغلة قد وصلته أم لا (٤٥) ٠

ولقد كان النيل أهم الطرق ، الداخلية ، وخاصة المسافات الطويلة ، وقد كانت لفروعه وخلجانه وترعة نفس الأهمية فكانت المراكب ، الصغيرة والكبيرة ، تسير فى مجرى النهر وهذه الأفرع والقنوات ، حاملة المنتجات، وكانت المراكب العظيمة كالجبال بشاطىء بحر النيل والمعدة للسفر منها على اختلاف أنواعها وأشكالها ، تحمل فيها الأحطاب وأنواع الغلات « فى كل مركب منها شونة من الغلال ، ومن جملتها التبن وفى رصه صناعة عجيبة » (٤٦) ٠

**موانى نهـر النيـل :**

تحدثنا عن المراكز التى قامت على ضفاف نهر النيل ، وكان لمعظم هذه المراكز ومدنها وقراها ـ ان لم يكن لها كنها ـ موانى على النهر تكبر وتصغر حسب أهمية المدينة أو القرية ، فقد كان لكل كورة مدينة ومجموعة من القرى معظمها كما يقول المسعودى(٤٧) « تؤتى هذه المدن والقرى فى الماء ، ويحمل ما يكون بها من الطعام والأمتعة الى فسطاطها فى السفينة الواحدة حمل مائة بعير » ٠

ولقد كان لبعض هذه المدن سواحل على النيل مثل ساحل مدينة أخميم(٤٨) ٠

ويبدو أن كل المدن والقرى المصرية ، التى كانت على شاطىء النيل فى مصر فى هذه الفترة وكما هو الحال دائما كان لها موانى ، ولو من نوع بدائى بسيط ، ترسو عنده السفن النيلية(٤٩) وتكبر هذه الموانى وتصغر حسب حجم المدينة أو القرية ٠

---

(٤٤) جرهمان : أوراق البردى العربية جـ ٦ ص ٤٢ لوحة ٨ ٠
(٤٥) جرهمان : نفس المصدر جـ ٦ ص ٢٩ لوحة ٥ ٠
(٤٦) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ص ٢٠٣ ٠
(٤٧) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢١
(٤٨) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٢
(٤٩) قاسم عبده قاسم : النيل فى المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص ٨٧

# مراكز التجــارة علي النيــل
# ونظــم الأســـواق فيهـــا

ازدهرت على صفحة نهــر النيل ، حـركة الملاحة ، وامتلأت بالسفن صاعدة وهابطة ، تحمل على ظهرها ، كل ما حبا الله به مصر ، من محاصيل ومواد أولية ، ومواد مصنعة ولم يكن مجرى النيل وحدة هو الزاخر بهذه السفن بل كانت الترع والقنوات والخلجان ، بالدلتا زاخرة أيضا بهذه المراكب ، والسفن النيلية .

واذا كنا قد وضحنا أن تلك السلع ، كانت تنقل من القــرى الى المدن ، على صفحة النهر فقد نشأت مراكز للتجارة على نهـر النيل ، وازدهرت بها الأسواق ، وسادت فى تلك الأسواق نظم ، ضمنت سلامة سير التجارة وراعت الأسعار منعا للاحتكار والتلاعب .

وسنتحدث عن أهم هذه المراكز التى كانت على ضفاف النيــل فى تلك الفترة ونظم الأسواق فيها .

**مراكز التجارة على النيل :**

**الفســطاط :**

كان لموقع الفسطاط على نهر النيـــل ، وتوسطها بين الوجهين البحرى والقبلى ، واتصالها بالبلاد العربيـــة عن طريق النيل وخليج أمير المؤمنين ، الذى ربط الفسطاط بالقلزم ، وربط مصر بالبلاد العربية وخاصة الجزيرة ) كان لهذا الموقع أثره الكبير فى ازدهار التجارة بها . منذ تأسيسها وخاصة بعد حفر خليج أمير المؤمنين الذى أشرنا اليه(٥٠) .

والفسطاط فى شرق النيل ، وهى مدينــة كبيرة يصفها ابن حوقل بأنها « مدينة كبيرة نحو ثلث بغداد على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذه ، ذات رحاب فى محالها وأسوق عظام ومتاجر فخام » (٥١) . وقد أسهب ابن حوقل فى وصفها ، كذلك المقدسى(٥٢) عجيب المتاجر

---

(٥٠) ظلت هذه القناة تعمل حتى طمت فى عهد أبو جعفر المنصور سنة ١٥٨هـ ٧٧٥م .

(٥١) ابن حوقل : المسالك والمماليك ص ٩٦ .

(٥٢) احسن التقاسيم ص ١٩٧

والخصائص حسن الأسواق ، والمعايش الى حماماته المنتهى ولقياسره لباقه ، ليس بالاسلام أكثر مراكب من ساحله » . ويذكر الأسواق « هذا الجامع ( يقصد جامع عمرو ) التفت عليه الأسواق » ويذكر أن « تجارة الشام والمغرب ترد الى الفسطاط وتجـــارته عجيبه ومعايشه مفيـدة وأمواله كثيرة » (٥٣) .

ويصفها ناصر خسرو (٥٤) فيقول « أن بمصر دورا كثيرة فيهـــا حجرات للاستغلال » ثم يسهب فى شرح الأسواق ، والشوارع « ويحيط بالمسـجد من جهاته الأربع الأســـواق وعليها تفتح أبوابه » ، ثم يعدد الأسواق مثل « سوق القناديل ، ثم يذكر أنواع التجارة ، كالأوعيـــة والامشاط والمقابض للسكاكين والبلور ، والمصنوعات من أنياب الفيـل والعاج . ثم صناعة الأحذية من الجلود وغيرها . مما يوجد بأســـواق الفسطاط ، ثم يصف ناصر خسرو ، معاملات التجار فى أسواق الفسطاط فيقول « وتجـــار مصر يصدقون فى كل ما يبيعون » كما ان التجـــار يحسنون معاملة المشترين ، فيعطونهم الأوعية اللازمة لمشترياتهم ، من زجاج أو خـــزف أو أوراق ( حتى لا يحتاج المشترى ان يحمل معـــه وعـــاء » (٥٥) .

على أى حال فقد كانت حركة التجارة فى مصر تنصب فى مدينـة الفسطاط ، وذلك لموقعها على النيل من ناحية ، ولتوسطها بين الشمال والجنوب ، كذلك لاتصالها المباشر بالتجارة الخارجية عن طريق فرعى النيل الى البحر المتوســط ، وعن طريق خليج أمير المؤمنين ، فكانت التجارة الداخلية ، كما ذكرنا بمـا فيهـــا من محاصيل القمح والكتان والشعير وغيره ، تاتى اليها من ساحل الغلال (٥٦) ، حيث توضـــع فى الأهراء المعدة لذلك الى حين توزيعها أو تصديرها الى البلدان وخاصة الحرمين(٥٧) .

ويذكر المقريزى أن ما يرد على الفسـطاط من البحـــر المتوسـط والبحر الأحمـــر ، فانه يفوق الوصف ، ومن الفسطاط ، تجهز السلع المستوردة ، ثم ترسل الى سائر البلاد .

---

(٥٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٩٩
(٥٤) سفرنامة ص ٦٠
(٥٥) نفس المرجع ص ٦١
(٥٦) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٣ ص ١٠
(٥٧) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٢٣

## أســــوان :

كانت أسوان منذ عهد الفراعنة ســوقا كبيرا (٥٨)وذلك لشهرتها بحركتها ونشاطها التجارى البارز ، ولقد ازدهرت أسوان ، فى العصر الاسلامى ، وقد أجتمعت لأسوان عدة ظروف جعلتها تتبوأ مكانة مرموقة فى التجارة ، منها الموقع الملائم ، فهى تتاخم النوبة من ناحية الجنوب وطريقها النهــرى الى داخل البلاد خال من العقبات . كذلك موقعهــا فى نهاية طريق عيذاب ، بالاضافة الى وجــــود معادن الذهب والزمرد بها . بالاضافة الى منتجاتها الزراعية وخاصة التمر .

ولقد كان التبادل التجارى بين مصر والنوبة يرجع الى العصــور القديمة ، كما ساهمت المعاهدة ، بين العرب والنوبة سنة ٣١هـ ـ ٦٥١م ، فى زيادة التبادل التجارى .

وان هذه المعاهدة لم تكن تشرع للمستقبل بقدر ما تفرض حقيقــة واقعة(٥٩) والمعروف ان اتفاقية البقط تضمنت أن تستورد مصر الدقيق من النوبة ، وفى مقابل ذلك تصدر اليها القمح والعدس والحبوب .

وجرى التبادل التجــــارى بين مصر والنوبة عقب الفتح العــــربى فى قرية ( بلاق ) ، التى كانت بمثابة السوق حيث تأتى اليها سفن النوبة وسفن المسلمين من مصر وأسوان(٦٠) ومنذ الفتح العربى أخذت قوافل التجــــار المسلمين تذهب الى النـــوبة ، وتعــود بالرقيق ، وقد نظمت معاهدة البقط التعامل التجارى بين البلــدين(٦١) . على أى حال فقد كانت قوافل تجارة النوبة ، تأتى الى أسوان بوصفها أكبر سوق تجارية فى جنوب مصر ، وفى ذلك يقول المسعودى(٦٢) « والنـــوبة متصـــلة بتجارتها وقوافلها بمدينة أســوان » ونظرا لكون أســـوان من المراكز التجارية الهامة فكانت تجبى فيها الرســـوم الجمركية على السلع التى تمر بها(٦٣) .

---

(٥٨) المقريزى . الخطط جـ١ ص ٣٤٢

(٥٩) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافــة العربية ص ٥٧ ، القاهرة ١٩٦٣م .

(٦٠) المسعودى : مروج الذهب جـ٢ ص ١٠٧

(٦١) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ٥٧

(٦٢) مروج الذهب جـ٢ ص ١٠٨

(٦٣) نفس المرجـــع السابق والصفحة والمقريزى : الخطط جـ١ ص ١٠٨

وكانت أهم السلع المتبادلة فى أســـوان كما حددته اتفاقية اليقط الرقيق والمواشى والحبال والحديد والحبوب، ويذكر ناصرخسرو أنه شاهد بنفسه تجار أسوان يذهبون الى بلاد النوبة ومعهم الخرز والأمشـــاط والمرجان ويجلبون معهم الرقيق(٦٤) .

وترجع أهمية أسوان أيضا ، لكونها أحدى نهايات طريق القوافل والبضائع الواردة من عيذاب ، فضلا عن أنها آخر محطة تجارية ، تقف عندها سلع النوبة والســـودان ، وطرق القوافل المتجهة من أسوان الى كافة الجهات وطرق القوافل بين عيذاب ، الذى يحمل تجارة مصر الى البحر الأحمر ، فالبلاد لعربية وعن طريق نقل تجـارات الهند واليمن وبلاد العرب وغيرها الى مصر ، وكانت طريق القوافل تنتهى عند ثلاث نهايات : أسوان ، أدفو ، قوص ، غير ان أسوان كانت أقدمها(٦٥) .

وقد وصف ناصر خسرو(٦٦) الطريق بين أسوان وعيذاب عندما غادرها فى ٥ ربيع الأول سنة ٤٤٢هـ ( ٢٩ يوليو ١٠٥٠م ) لاداء فريضة الحـــج .

ولا جدال فى أن عيذاب انتعشت حالتها الاقتصادية لورود الســفن اليها من الحبشه وزنجبار واليمن والشرق الأقصى(٦٧) ، هذا الانتعاش انعكس على أسوان نتيجة الحركة التجارية التى شهدها الميناء .

كانت أسوان نفسها تمتاز بالتمور الممتازه حيث « كانت أسوان أكثر نخيلا من جميع الأقليم ( الصعيد ) » (٦٨) . ولابد أن المنتجـــات الزراعية كانت تصدر الى باقى مصر فى ذلك الوقت نظرا لوفرتها .

وكانت حركة التجارة الداخلية فى أسوان تتسم بالضخامة والسعة ، وامتلاءت سوقها الواسعة بالتجار الذين ترددوا عليها من كافة البلدان الاسلامية ، لشراء سلع الشرق الأقصى ، ووسط افريقيا وما من مؤرخ أو جغرافى مسلم ، الا وذكر أسوان فى كتاباته وأثنى عليها وعلى تجارتها ،

---

(٦٤) ناصر خسرو : سفرنامة ص ٤١

(٦٥) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة ص ١٨١ مجلة كلية الأداب جامعة القاهرة المجلد ٢١ مايو ١٩٥٩م

(٦٦) سفرنامة ص ٤٢

(٦٧) المقريزى : الخطط جـ١ ص ٢٠٢

(٦٨) الأدفوى : الطالع السعيد ص ٢٦

فعلى سبيل المثال وصفها المقدسى(٦٩) بقوله « قصبة الصعيد بها خيرات وتجارات وهى من الامهات « كما قال عنها ابن حوقل » وهى أكبر مدن الصعيد » (٧٠) وأيضا ذكرها اليعقوبى (٧١) « مدينة أسوان العظمى بها تجارات المعادن ، وهى ذات تجارات مما يأتى من بلاد النـــوبة والبجة « وكذلك قول المقريزى (٧٢)عنها «وبها تجارات وبضائع» ، كما وصفها ياقوت فى كتابه بقوله (٧٣) « بانها مدينة كبيرة للتجارة » .

والحقيقة أن حركة التجارة فى أسوان لم تنقطع طوال العام ، وهى كمثيلاتها من المدن الكبرى وأسواقها ـ فى ذلك الوقت ـ وبمعنى آخر فان سوق أسوان يطلق عليه « السوق الدائمة » .

حقيقة كان يقام سوق أسبوعية فى أســـوان ، ولكن فى تصورنا أن الصفقات التجارية كانت تعقد فيه ، ويغلب على سوق أسوان صـــفة التخصص ، وهو ما سنتحدث عنه عند الحديث عن نظم الأسواق .

**االاســـــكندرية :**

كانت الاســـكندرية عاصمة مصر طوال العصر اليونانى الرومانى واحتفظت بمكانتها ، حتى تم الفتح العـــربى لمصر . وكاد عمرو بن العـــاص أن يتخذها عاصمة له ، لولا معارضـــة الخليفـــة عمر بـــن الخطاب(٧٤) ومع هذا ظلت للاسكندرية طوال العصر الاسلامى قيمتها وكيانها كميناء كبيرا ، على البحر المتوسط ، يرتبط بداخل مصر بطريق نهرى ، مستمر هو خليج الاسكندرية(٧٥) وبهذا احتفظت الاسكندرية بوضع ممتاز كمركز للتجارة على نهر النيل وعلى البحر المتوسط ، وكان خليج الاسكندرية يكاد أن يكون مطابقا لخط سير الترعة المحمـــــودية الحالية(٧٦) .

---

(٦٩) احسن التقاسيم ص ٢٠١
(٧٠) كتاب صورة الأرض ص ١٥٩
(٧١) البلدان ص ٣٣٤
(٧٢) الخطط جـ١ ص ١٩٦
(٧٣) معجم البلدان جـ١ ص ٢٤٨
(٧٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦
(٧٥) المقريزى : الخطط جـ١ ص ٢٧٣
(٧٦) عمر طوسون : تاريخ خليج المحمودية ص ٩

ويصف المقدسى(٧٧) الاسكندرية بقوله « قصبة نفيسة على بحر الروم » كما يصفها ناصر خسرو(٧٨) بقوله وتقع الاسكندرية على شاطىء الروم ، وتصدر منها بالسفن فاكهة كثيرة لمصر » ٠

ونظرا لضخامة الاسكندرية وتجارتها ، فعندما فتحها العرب وجدوا بها « اثنى عشر ألف يقال يبيعون البقل الأخضر ». كما كان بها سبعون ألف يهودى(٧٩) كما وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار ، ويصفها ابن دقماق(٨٠) فيقول « هى مدينة عظيمة لم يكن بالديار المصرية مثلها ولا مايقاربها فى الحسن واتقان البناء » ٠

ولقد كانت السفن تجرى فى النيل لتتصل بأسواق الاسكندرية(٨١) وقد أسهب ابن الكندى(٨٢) فى ذكر فضائل ومحاسن الاسكندرية ، ولقد كان بالاسكندرية ، مناسج للكتان والغلائل ؛ ولا شك أن الكتان وغيره من الغلال ، وباقى منتجات مصر كان يصل الى الاسكندرية ، من داخل البلاد عبر قنوات النيل ، ثم يعاد تصنيعه فى الاسكندرية أو يباع فى داخل البلاد أو يصدر الى الخارج من ميناء المدينة ٠

**تنيس ودمياط(٨٣) :**

من مراكز التجارة فى مصر الاسلامية ، تتصلان بالنيل ، وقد حازتا شهرة كبيرة فى ذلك الزمان ، وخاصة فيما يتعلق بصناعة وتجارة والمنسوجات التى طبقت شهرتها الآفاق ٠

وقد كان ميناء دمياط همزة الوصل بين نهر النيل والبحر المتوسط وكانت هذه المدينة ميناء هاما ومركزا صناعيا كبيرا فى مصر

---

(٧٧) أحسن التقاسيم ص ١٦٦ ـ ١٩٧
(٧٨) سفرنامة ص ٤٣
(٧٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٨٢
(٨٠) الانتصار لواسطة عقد الامصار جـ٥ ص ١١٦
(٨١) المسعودى : مروج الذهب جـ١ ص ٤٧
(٨٢) فضائل مصر ص ٤٨ ـ ٥١
(٨٣) تنيس : مدينة قديمة كانت تقع على جزيرة فى بحيرة المنزلة بكسرتين وتشديد النون ، جزيرة فى بحر مصر قريبه من البر ما بين الفرما ودمياط وبها تعمل الثياب الملونة والفرش البوقلمون ، ياقوت : معجم البدان جـ٢ ص ٥١ بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ٠

الاسلامية(٨٤) ودمياط وتنيس ليس بهمـــا زرع وتستوردان المحاصيل اللازمة من خارجها .

ولا يتم الوصول الى تنيس الا بالمراكب ، ونظرا لكثرة الســفن « تلتقى السفينتان تسك أحداها الأخرى ، هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة » (٨٥) وتنيس اذ فاض نهر النيل فى الصيف عذب ماؤها ، وفى الشتاء يغلب ماء البحر عليها(٨٦) .

ولقد اشتهرت دميـــاط وتنيس بالمنســوجات التى ذاع صيتها وشهرتها فى العالم الاسلامى وليس فى مصر فقط . ففيها منســـوجات « رفيـع الدبيقى ، والشرب والمصبغات من الحلل السنية ، التى ليس فى جميع الأرض ما يدانيها فى الحسن والقيمة ، وربما بلغ الثـوب من ثيابهم مائتى دينار اذا كان فيه ذهب ، ومالا ذهب فيه يبلغ المائة دينار وأصلها من الكتان » (٨٧) وربما بلغ مثقال غزل من غزولها دنانــير « والشطوى مما كان الحمل يبلغ من عشرين ألف دينار الى ثلاثين الف دينار لجهاز العـراق وبها يتخـــذ المرتفع من ثيـــاب مصر(٨٨) . وابن الكندى (٨٩) يجعلها من ضمن خواص مصر وعجائبهـا فيقول : « وبها من الطـراز والقصب والشرب والثـــوب الدبيقى(٩٠) ما ليس بغيرها وليس فى الدنيا طراز يبلغ الثـــوب الساذج منه الـذى ليس به ذهب ، مائة دينار غير ثوب تنيس ودمياط ويقال أنه ليس فى الدنيـــا منزل الا وفيه من ثوب تنيس ولو خرقة » ولعل فيما قاله ابن الـكندى اشارة واضحة لـمـا كانت تنتجه كل من تنيس ودميـاط وما حولها من القرى من مذســـوجات ، ساهمت بقدر كبير فى التجارة الداخليـــة والخارجية .

---

(٨٤) Ency of Islam At Dumiat.

(٨٥) ابن حوقل : صورة الأرض ١٥٦

(٨٦) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٥٢

(٨٧) ابن حوقل : مسالك الممالك ص ١٠٢

(٨٨) ابن حوقل : مسالك الممالك س ١٠٢ .

(٨٩) فضائل مصر ص ٦٧ .

(٩٠) دبيق قرية من القرى المحيطة بتنيس ودمياط وينسب اليها الرفيع من الثياب ، وهى قرب تنيس تنسب اليها الثيـــاب الدبيقية ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ طبعة بيروت ١٩٧٩م .
محمد رمزى : القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٢٤٢ .

فعبارة « وليس فى الدنيا منزل الا وفيه ثوب منتنيس ولو خرقة » دليل واضح على انتشار تجارة الأقمشة من دمياط وتنيس سواء خارج مصر أو داخلها . خاصة وأن هاتين المدينتين متصلان بالداخل والخارج عن طريق المراكب والسفن سواء فى البحر المتوسط أو نهر النيل .

وهكذا نخلص الى أن دمياط وتنيس اشتهرتا بصناعة المنسوجات، الكتانية وغيرها ، ويرجع ذلك الى وفرة الكتان وكانت المراكز الرئيسية لهذه الصناعات تنيس ودمياط وشطا ودبيق ، وكان يصنع فى دبيق قماش ثقيل جيد النسيج ، والعمائم الطويلة التى يبلغ طول الواحدة منها مائة ذراع(٩١) .

## عيـــذاب :

على الرغم من أن عيذاب كانت على البحر الأحمر(٩٢) ولم تكن على شاطىء نهر النيل الا أنها ارتبطت به مباشرة بطريق برى ينتهىالى ثلاث موانى هى أسوان وادفو وقوص(٩٣) الا أن عيـذاب أسهمت فى ازدهار التجارة فى هذه المـــدن الثلاثة ورواجها ، بما كان يأتى من تجارة الهند وعدن ومركز تجمع الحجاج .

## رشـــيد :

من الثغور المصرية القـديمة ، ويقال أن رشـــيد كانت تقع الى الشمال من موقعها الحالى الذى نقلت اليه سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م فى عهـــد أحمد بن طولون(٩٤) وقد ذكر ابن حوقل(٩٥) أنها مدينة على النيل قريبة من قصبة البحر المالح من فوهة تعرف بالأشتوم وهى المدخل من البحر وبها أسواق صـالحة وحمامات ونخيل وارتفـــاع (ايراد) واسع كما أنها كانت بالاضافة الى الأسواق والتجارة مغلة لهـا مزارع وغلات

---

(٩١) المقـريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٢٦ ، متـــز : الحضـارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٩٦ .

(٩٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٤٣ .

(٩٣) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ص ٢٣٦ .

(٩٤) حسن أحمـــد محمود وســيدة الكاشف : مصر فى عهـــد الطولونيين والاخشيديين ص ٢٨١ .

(٩٥) صورة الأرض ص ١٣٩ .

وحنطة وشعير وبها بقول حسنة ونخيل كثير • وهى مدينة عامرة أهلة لها ميناء بحرى يجـــرى فيه ماء النيــل الى البحــر وضريبة على كل ما يحمل من الاسكندرية ويحمل اليها من متاع البحر الى سائر أسباب التجارة •

ومن هذا نرى أن رشيد أيضا كانت مدينة كبيرة ومركزا من مراكز التجارة وازدهرت بها الأسواق لموقعها على نهر النيل عنــــد مصبه فى البحر المتوسط وبالقرب من الاسكندرية • على أنه كانت هنــــاك مراكز للتجارة على النيــــل ، وان كانت أقل أهمية مثل قوص وأدفو وأخميم والبهنسا والفيوم وأسيوط فى صعيد مصر ، ومثل القلزم وبلبيس وغيرها فى وسط الدلتا والجيزة بالقرب من الفسطاط ، التى كان لها سوق عظيمة كل يوم أحد يجىء اليه من النواحى كثير من السلع ، ويجتمع فيه عدد كبير من النـــاس ويذكر الكتاب(٩٦)عن هذه المـدن أنها كانت « ذات أسواق وعمارات » أو « أسواق ومتــاجر » ولــكن الى جانب هــــذه العبارات نجد صيغة أخـــــرى عن بعض المـدن المصرية اذ يذكر أن بها أسواقا جامعة(٩٧) وهكذا كانت هناك مناطق كثيرة ازدهرت بها حركة التجارة الداخلية فى مصر وكان لها دور هام فى توزيع المنتجات المحلية وسد حاجات الناس بتنظيم التبادل بينهم •

## الأســــــواق

عرفت مراكز التجارة التى أشرنا اليها الأسواق المنظمة وقد أصبح لهـــذه الأسواق نظم مرعية ، حتى لقـــد سميت كتب الحسبة الأولى « أحكام السوق »(٩٨) • ولقد كانت هـــذه الأســـواق كما يقـــول الشيزرى(٩٩) « ينبغى أن تكون الأسواق فى الارتفــــاع والاتساع على

---

(٩٦) ابن حوقل صـــورة الأرض ١٣٨ ـ ٦١ اليعقوبى البـلدان ص ٣٣٨ والاصطخرى : مسالك الممالك ص ٥٠ ـ ٥٥ ، المقدسى أحسن التقاسيم ص ١٩٥ ـ ٢٠٥ •

(٩٧) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهـد الفاطميين ص ١٩٧ •

(٩٨) يحيى بن عمران : أحكام الســوق ص ٢٨٩ تحقيق حسن عبد الوهاب الشركة المدنية للتوزيع ١٩٧٥ •

(٩٩) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحســبة ص ١١ ، تحقيق الدكتور السيد الباز العرينى القاهرة •

ما وضعته الروم قديما . حيث كانت الأسواق فى مدن الدولة الرومانية ، مقامة حول الميادين والمعابد والكنائس غالبا . ثم أنشئت الدكاكين على جانبى الشوارع المختلفة وجعل لكل صنعة من أصحاب التجارة موضع خاص ، وبنيت السقوف ( السقائف ) فوق تلك المواضع لحماية المرة من الشمس والأمطار ولذلك سميت تلك الأسواق بالقائف وقد سرى هذا النظام فى معظم المدن الاسلامية » (١٠٠) .

ولقد امتازت تلك الأسواق فى هذه المراكز بسمات مشتركة ، كانت هى الغالبة عليها فى تلك الفترة .

وأولى هذه السمات أن الأسواق كانت تحيط بالمسجد الجامع من جوانبه المختلفة(١٠١)وميزة ثانية احتفظت بها الأسواق ، وهى تخصيص سوق لكل صنعة ، أو حرفة ، فيجعل لأهل كل صنعة سوقا تختص بهم ويفرد لكل صناعة مكان خاص بها فتعرف صناعتهم فيه « فان ذلك لقصادهم أرفق ولصناعتهم أنفق(١٠٢) » .

وقد كان من أهداف هذا التجمع أن تصبح الفرصة متاحة لجميع المشترين دون أن تختص بالبعض . ومن سمات هذه المراكز مراعاة التجانس بين الحرف المتجاورة كما يتم التفريق بين الحرف التى يخشى منها على بعضها الاخر ، ومعنى هذا أنه كان هناك تناسق بين الأسواق ، فالى جانب سوق الأكسيه وسوق الثياب ، توجد أسواق الكتان وغيرها .

أما الحرف التى ليس بينها تجانس ويخشى من حدوث الضرر على بعضها ، فانها تبعد عن بعضها البعض . كحرف الخبازين والطباخين والحدادين فللمحتسب أن يبعدهم عن العطارين والبزازين لعدم المجانسة وحصول الأضرار(١٠٣) .

ويرى البعض أن تخطيط الأسواق انما جاء على نسبة اتصالها بالجوامع ، وان الأسواق القريبة ، هى سوق الشماعين ، لوجود

---

(١٠٠) نفس المرجع والصفحة (حاشية تعليق الدكتور الباز العرينى محقق الكتاب ) .

(١٠١) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٣١ طبعة ليدن .

(١٠٢) يحيى بن عمر : أحكام السوق ٣٣ ،

(١٠٣) يحيى بن عمر : أحكام السوق ص ٣٣ .

الاستضاءة بالشموع فى الصلاة ، والعطارين للتطيب ، وسوق الكتب ، لأن الجوامع مدارس ، وهكذا الى أن نبتعد عن المسجد ، وفى باقى المدينة الأسواق التى يخشى من ضررها وروائحها مثل الدباغين والصباغين ، والسراجين والحدادين(١٠٤) .

ولما كانت الاسواق مركز التجارة ، فلابد من الحديث عن أسواق الفسطاط العاصمة ونظمها لأنها تمثل العاصمة وتمثل أكبر وأكمل هذه الاسواق ، ويشير ابن عبدالحكم(١٠٥) الى الاسواق التى عرفتها الفسطاط منذ تأسيسها وأنها :

ـ كانت تقع فى الخطط نفسها ، بين الدور العامرة ، ولم تكن فى أماكن منعزلة خاصة بها .

ـ وأكثرها ازدهارا القريبة من المسجد الجامع(١٠٦) ، حيث يكثر الناس وتكثر الحركة فى البيع والشراء(١٠٧) .

ـ يذكر اليعقوبى (١٠٧) أن « الأسواق محيطة بالمسجد الجامع(١٠٨) » .

ـ من أمثلة هذه الأسواق التى تقع فى الخطط نفسها «بديد»(١٠٨) الذى كان يقع فى خطة غفار ، وسوق « وردان » الذى يقع بين دور مسلمه بن مخلد الانصارى وأبى رافع وعقبة بن عامر الجهنى(١٠٩) وسوق « الحمام » وسوق القناديل « الذى كان يقع على الجانب الشمالى لمسجد عمرو أشهر أسواق الفسطاط وأكثرها ازدهارا »(١١٠) .

والى جوار المسجد الجامع ( جامع عمرو بن العاص ) كانت هناك عدة سويقات مثل « سويقة دار فراج ، وسويقة مسجد

---

(١٠٤) عثمان الكعاك : الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط معهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٦٠ .

(١٠٥) ابن الحكم : فتوح مصر ص ١٠٩ ـ ١١١ ـ ١١٩ .

(١٠٦) نفس المرجع والصفحات .

(١٠٧) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٣٣١ .

(١٠٨) الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٠٥ ( سمى سوق بربر لنزول البربر على كعب ابن ضنة ) .

(١٠٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٠ ـ ١٠١

(١١٠) الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٦٢

العيثم(١١١) وسويقة مسجد عبد الله(١١٢) ، وغيرها .

على أى حال فمن روايات ابن عبد الحـكم عن هذه الأسـواق وتسميتها بأسماء مختلفة . نستطيع ان نخلص الى ان هذه الأسـواق قد تخصصت فى أنواع معينة من السلع ، امتازت بها عن غيرها وسميت به ، فبعض هذه الاسـواق ( والسويقات تخصص فى بيع الأقمشة مثل « دار الانماط » وكانت تباع بها الأقمشة الحريرية ، وسـوق السماكين لتجارة الأسماك(١١٣) والزياتين لتجارة الزيت ، وسوق الرقيق ، لبيع وشراء الرقيق .

وأشتهرت بعض الأسواق بأسماء الجنسيات كالمغـاربة والعراقيين والبربر . الذين نزلـوا على القـاضى كعب بن ضنه وولـده (١١٤) وقد كانت أسواق الفسطاط عامرة بسلع مصر التى ترد الى الفسطاط من مختلف اقاليمها . وكذلك السلع التى ترد من الشام والعراق والمغـرب والحبشة واليمن وبلاد الروم . ويصف الرحالة الذين زاروا مصر أسواق الفسـطاط بأنها « تكثر بهـا المتاجر والأسـواق والمعايش وسكانهـا كثيرون » (١١٥) كما يثنى ناصر خسرو(١١٦) على أسواق الفسطاط وخاصة سوق القناديل بها « وبها مالا يقل عن عشرين ألف دكان يترواح ايجار الواحد منها ما بين دينارين وعشر دنانير » ووصفه أيضا بقـوله « لا يعرف سـوق مثله فى أى بلـد وفيه كل ما فى العالم من طرائف » ويصفها ابن حوقل(١١٧) « ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام ومتاجر فخام وممالك جسام » .

هذه صورة عامة لأسواق وسويقات الفسطاط ولعلها تعطينا صورة عامة وذكرة عن الأسواق فى هذه الفترة ، وفى باقى مراكز التجـارة على النيل . وان كان سوق الفسطاط أكبر هذه الأسواق . الا ان باقى الأسواق فى المراكز الأخرى كانت تشبهها وان كانت أصغر بكثير منها .

---

(١١١) ابن دقماق : الانتصار جـ٤ ص ٣٣ ، ٨٦
(١١٢) الكنـدى : الولاة والقضاء ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨
(١١٣) الكنـدى : الولاة والقضاء ص ٥٦٩
(١١٤) نفس المرجع ص ٣٠٥
(١١٥) المقدسى : احسن التقاسيم ص ١٩٨
(١١٦) سفرنامة : ص ٥٩ ـ ٦٠
(١١٧) صورة الأرض ص ١٤٦

## المنشــآت التجــارية :

كانت توجد فى الأسواق بالمراكز التجارية ، عدة منشآت تجــارية تمثل أســوقا متخصصة أو تجمعات للتجارة ، وهى تخدم التجــارة الداخلية والخارجية معا منها :

### ــ القيــاســـر : (١١٨)

وهى منشآت تجارية فى شكل ميان داخل الأسواق بالمدينة ، تضم داخلها عدة حوانيت للتجارة ، وتختلف عن الســوق فى انها مسقوفة ، وذكر ابن عبد الحكم العديد منها مثل « قيسارية العسل(١١٩) الواقعــة بجوار المسجد الجامع ٠

وقد انتشرت هذه القياسر بالمدن المصرية منذ الفتح العربى لمصر ، وقد خصص ابن دقماق لقياسر الفســطاط عدة صفحات فى كتابه(١٢٠) كانت تنسب الى « اصحابها أو لما يباع فيها ، وقد يشــغل وسط هــذه القياسر فى اقامة مصاطب للخياطين بهــا ٠ وفى حالة عدم استخدامهــا فى الأغراض التجارية قد تتحول الى ورش تقوم بها بعض الصناعات » ٠

ومن هذه القياسر ، القيسارية التى نرحها عبد العزيز بن مروان عند وفاته وتخصصت فى بيع البز(١٢١) ٠ ومن هذه القيســاريات أيضا ، قيسارية العسل ، التى اقيمت فيها صلاة الجمعة لمــا ورد كتاب الوليــد بهدم المسجد الجامع والزيادة فيه ، وظلت الصلاة تقام فى القيســارية المذكورة حتى تم الانتهاء من بناء المسجد(١٢٢) ٠

---

(١١٨) قيساريه : الكلمة أصلها لفظ يونانى « قيساريون » بمعنى السوق الامبراطورى مما يدل على أنها كانت منذ انشاء الدولة ثم اطلق بعد ذلك على الشارع التجارى « عبد العال الشامى ، جغرافية المدن عند العرب ص ١٥٧ » مجلة عالم الفكر ، الكويت المجلد التاسع العدد الأول يونيو ١٩٧٨م ٠

(١١٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٣١

(١٢٠) الانتصار لواسطة عقد الامصار جـ٤ ص ٢٧ ــ ٤٠

(١٢١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٣٦ ، والكندى : الولاة والقضاة ص ٥٥

(١٢٢) الكندى : الولاة والقضاة ص ٦٥ ، والسيوطى : حســن المحاصرة جـ٢ ص ١٥٠.

وكذلك كانت هناك قيســـارية هشام التى بنيت على أرض تركها النيل ، فاستغلت فى اقامة قيسارية فى عهد هشام بن عبد الملك وسميت باسمه وكان يباع فيها البز الفسطاطى(١٢٣) كما كانت هناك قيسارية الحبال ، وقيسارية الكباش التى تخصصت فى تجارة الكباش والمواشى ، وقيسارية البز التى انشأها الأخشيد فى سوق الحمام (١٢٤) .

ومن رواية ابن دقماق (١٢٥) يتضح أن القيسارية كان لها :

ـــ اكثر من باب مثل « قيسارية ابن ميسر الكبرى » بسوق وردان ومثل « قيسارية ابن ميسر الصغرى » فالأولى لها خمسة أبواب والثانية لها ثلاثة .

ـــ وكانت القيسارية ذات اتساع كبير ، وكان ببعضها حمامات مثل القيسارية ، التى اشتراها عبد العزيز بن مروان وهى المسماه « بقيسارية أبى مرة » وكان بها حمـــام معروف باسم « أبى مرة » به تمثال من الزجاج على هيئة امراة ، سماها العامة قيســارية أبى مرة نسـبة الى التمثال الذى كان على باب الحمام(١٢٦) .

ـــ وتخصصت بعض القيساريات فى الاتجـــار بأنـواع معينة من التجارة مثل قيســـــارية « دار الأنمـــاط ـ والابـــل العظمى » ... وهكذا(١٢٧) .

ـــ وكانت بعض اسواق تشتمل على قيســارية أو أكثر وهى كما ذكرنا مسقوفة وذات أبواب متعددة .

---

(١٢٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٣٦ ، ويذكر الكنـــدى ان حفص بن الوليد كتب الى هشام بن عبد الملك يخبره ان « النيـــل قد انكشف عن أرض ليست لمسلم ولا لمعـــاهد فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن بالبناء فيها ـ فان الناس مضطرون اليها فأذن له فى بنائها قيسارية ابتدأ فى بنائها ســـنة سبع ومائة وفرغ منها فى سنة ثمان ومائة وهى فيسارية هشام التى عبد الجسر » الكندى الولاة والقضاة ص ٧٤ .

(١٢٤) الكندى : الولاة والقضاة ص ٦٢

(١٢٥) الانتصار : جـ٤ ص ٣٧ ـ ٤٠

(١٢٦) ابن دقماق : الانتصار جـ٤ ص ٣٨ ـ ٣٩

(١٢٧) على بهجت بدوى : حفريـــات الفســـــطاط ص ٥٣ ، القاهرة ١٩٢٨

مما سبق توضيحه عن القياسر ، يمكن ان نقول انها كانت تضم اماكن لاقامة التجار ، سواء المصريين أو القادمين من الخارج ، وكذلك اماكن لحفظ تجارتهم أى انها تؤدى دور الفنادق والمخازن ، التى تحفظ بها حاجيات التجار .

ويؤيد هذا الذى ذهبنا اليه ، حفريات الفسطاط والتى كشفت عن ابنية تفيدنا فى معرفة تخطيط القيساريات وانها محال تعلوها عقود ، وان هناك احتمال وجود مخازن بتلك الدور المكتشفة كما يمكن اعتبار الأدوار العليا أماكن يقيم فها التجار (١٢٨) .

ولم تكن تخلو مدينة مصرية ، من وجود قيسارية أو أكثر بها ، وما زالت بعض شوارع الحى التجارى فى معظم المدن تحمل نفس الاسم حتى اليوم .

## نظم الأسواق :

تحدثنا عن الأسواق فى مراكز التجارة التى اشرنا اليها وركزنا بصفة خاصة على سوق الفسطاط بصفته السوق الرئيسية فى المركز الرئيسى للتجارة فى مصر وعلى النيل .

على أى حال كانت هذه الأسواق تسير وفق نظم فى البيع والشراء والمعاملات المالية ويتولى المحتسب الاشراف على الأسواق يساعده على ذلك عيونه وغلمانه وأعوانه ومن كان يختارهم من العرفاء من صالح أهل كل مهنة ويشمل عمل المحتسب(١٢٩) :

- حفظ أموال التجار والكيالة والنقلة والحمالين .
- مراقبة المكاييل والموازين وتحقيق كمياتها وسعتها وكذلك مراقبة النقود .
- محاربة التدليس والغش والاحتكار .
- مراعاة الشروط الصحية بالنسبة للمأكولات وغيرها .
- اختبار اصحاب الحرف والصناعات فى أعمالهم وقبل الترخيص لهم بمزاولة المهنة .

---

(١٢٨) الشزرى : نهاية الربة فى طلب الحسبة ص ١٢

(١٢٩) الشيزرى : نفس المصدر ص ٩٥ – ٩٩ – ١٠٠ – ١٠١ ، والمقريزى : الخطط جـ ١ ص ٤٦٢ – ٤٦٣ .

ـــ كان بالأســـواق الصرافون الذين يتولون ، العمليات الماليـــة والتجارية حيث كان لهؤلاء « من الجانبين حوانيت » يجلس فيهـــا الصيارف طوال النهـــار » (١٣٠) كما كان نظـــام السماسرة منتشرا فى الأســـواق الكبرى فى هذه المراكز ، وكذلك فى القـــرى ، ويتضح هذا مما جاء فى أوراق البردى(١٣١) . كما يتحدث أدم متز(١٣٢) عن دور اليهود فى ذلك فيقول « ولقد كان لليهود دور واضح فى العمليات التجارية مما زاد من ثرائهم .

وكان للتجار الكبار وكلاء فى أسواق المدن الكبرى يتولون عمليات البيع والشراء نيابة عن هؤلاء التجـــار ، وقد مارس ذلك ناصر خسرو بنفسه عندما سافر من أسوان الى عيذاب وحصل على خطاب ( توصية ) من تاجر الى وكيله ، ليعطيه مبلغا من المال (١٣٣) ويأخذ منه مستندا ليضاف الى حساب الصديق .

من أجل ذلك النظام وازدياد الحركة التجـــارية والمالية . كانت هناك عدة رسائل للمعاملات منها :

**الســـــفاتج :**

وهى رقاع يكتبها التجار أو الصيارفة أو المشتغلين بالأعمال المالية والتجارية ، بقيمة المبالغ التى يأخذنها وتكون قابلة للصرف فى أى بلـــد لأى من عملائهم أى **انها** تعادل دور البنوك ، فكان التجار يأخذون رقاعا منهم بمـــا لديهم من الأموال ثم يشترون ما يلزمهـــم ويحـــولون ثمنه عليهم(١٣٤) كما كان الولاة يرسلون ما زاد من دخل ولايتهم الى مقر

---

(١٣٠) المقريزى : الخطط جـ٢ ص ٩٧
(١٣١) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٦ ص ٤٢ لوحة ٨
(١٣٢) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٧٧
(١٣٣) ناصر خسرو : سفرنامة ص ٦٠
(١٣٤) ناصر خسرو : سفرنامة ص ٦٠ ، والسفاتج جمع سفتجة ، فارسى معرب ، فسره بعضهم بأنه كتاب يبعثه صاحب المال لوكيله بأن يدفع مالا قرضا يأمن به من خطر الطريق ، أو أن تعطى مالا لرجل له مال فى بلد تريد أن تسـافراليه تتأخذ فيه خطـأ لمن عنده المال فى ذلك البلد ، أن يعطيك مثل مالك الذى دفعته . حمدان عبد المجيد الكبيسى ، أسواق بغداد ، بغداد ١٩٧٩ هامش ١٩٢ ص ٢٦٢

الخلافة فى بغداد بسفاتج ففى سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م أرسل والى مصر سفاتج بمائة سبعة وأربعين ألف دينار (١٣٥) كما أرسل أحمد بن طولون الى المعتمد بالله سفتجة بمائة ألف دينار وذلك سنة ٢٦٨ هـ/٨٨١ م (١٣٦) وكذلك ارسل الأخشيد الى نائبه سفاتج بثلاثين ألف دينار ليسلمها الى الوزير ابن مقلة (١٣٧) ٠ وفى برديه مؤرخة ٣٤٦ هـ / ٩٥٨ م كان هناك ما يثبت استخدام السفاتج بكثرة وجاء فى البردية « يقول عيسى بن الحسن اللبان أنه قبض من البوجميل ٠٠٠ الجهبذ ٠٠٠ ثلثة وعشرين دينار كوسيلة الى أن أكتب له بها سفتجة » (١٣٨) ٠

الصكول : كانت تستعمل كوسيلة من وسائل دفع المال ، والصك أمر بدفع مقدار معين من النقود الى الشخص الوارد اسمه فيه ، وشاع استخدام الصكوك ، بازدياد النشاط التجارى فى القرن الرابع الهجرى ، وكانت الصكوك فى بعض الأحيان تكتب وتصرف على بيت المال أو على التجار والصرافين(١٣٩) الذين كانوا يتقاضون عمولة نظير ذلك تبلغ درهما عن كل دينار(١٤٠) ٠

البنوك : عرف العرب نظام البنوك ، ولقد حد تحريم الربا فى الاسلام من انتشارها على هذه الصورة الربوية ، وأغلب ما عرفته مصر بنوكا خاصة يمتلكها الأفراد ـ خاصة اليهود ويمثلون أصحاب الأموال ، الذين يوظفون أموالهم كلها أو بعضها فى الاعمال المالية أو للاقراض وكانت وظيفة تلك البنوك اساسا هى فتح الاعتماد وأقراض النقود(١٤١) ٠

كما انتشر التعامل بالبورق أو العينة « والبورق » كما يوضحه وكيع(١٤٢) بقوله « البورق أن يحتاج الرجل الى مائة درهم فيجىء

---

(١٣٥) مسكويه : تجارب امم جـ١ ص ١٤٦

(١٣٦) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ٢٨١

(١٣٧) متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٧٣ ٠

(١٣٨) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٣ ص ١٨١ لوحة ١٧ طراز ١٧٦

(١٣٩) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢١٤ ـ ٢١٥ ، القاهرة ١٩٣٨م ٠

(١٤٠) متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٧٤ ٠

(١٤١) متز : الحضارة الاسلامية جـ٢ ص ٣٨٤

(١٤٢) وكيع : أخبار القضاة جـ١ ص ٣٧٢ ، القاهرة ١٩٣٠م البورق :

الى السوق فيشترى متاعا بعشرين ومائة ، فيبيعه بمائة ، فينصرف الى أهله وليس معه الا المائة وكان الياس ابن معاوية يرى البورق » ٠

وكان المقرض فى بعض الأحيان يطلب رهنا اذا كان القرض صغيرا، أما فى حالة القروض الكبيرة فكانت الثقة هى الضمان الأساسى، واذا لم يف المدين ، بدينه فى الوقت المحدد يمكن مد أجل الدفع ، أو يطالب الكفيل بدفع عوض المدين ، أو ان يلجأ صاحب الدين الى الحكومة لترد له دينه بالقوة(١٤٣) ٠

وكانت البنوك ( الخاصة ) تستخدم الحوالات والسفاتج وذلك نظرا لصعوبة استبدال النقود ٠

ومنذ القرن الثانى الهجرى كان بمصر جالية كبيرة قوية التأثير من أهل فارس ، ومنهم أخذ القاضى عبد الرحمن بن عبد الله العمرى مرة ثلاثين رجلا جعلهم من ضمن الشهود وكان هذا المركز مرموقا لا يقبل فيه الا من هم أهل للشهادة(١٤٤) ، وكان أكبر رجال الغنى والثروة بمصر فى ذلك العصر هو أبو بكر محمد بن على المادرائى ، ولكنه لم يكن تاجرا ، وكان ارتفاع ضياعه يبلغ أربعمائة ألف دينار وأصله من أسرة عراقية (١٤٥) ٠

وكانت الحرفة التى اختص بها اليهود فى الشرق أيضا الاتجار بالعملة ويذكر أنه لما فرضت الحكومة على بطريرك الاسكندرية جزية باهظة ،

---

= هو ان يحتاج الشخص الى مبلغ من المال وليكن مثلا مائة دينار ، فيذهب الى السوق ويشترى سلعا بالأجل بمبلغ مائة وعشرين دينارا ، فيبيع هذه السلع بمائة دينار فقط نظرا لحاجته الى المال ، ( وكيع أخبار القضاة ج١ ص ٣٧٢ وهو ما كنا نلاحظه الى وقت قريب ان يشترى احد العاملين من الشركات سلعا بالأجل بمبلغ مائة جنيه ، ونظرا لحاجته الى المال يبيعها بمبلغ ثمانين جنيها فقط ٠

(١٤٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٥ ص ٢٦٣ طبعة ليدن ٠

(١٤٤) الكندى : الولاة والقضاة ص ٤٠٢ والقاضى عبد الرحمن تولى القضاء من قبل الرشيد سنة ١٨٥ هـ ٠

(١٤٥) ابن سعيد : المغرب ص ١٥ ، القاهرة ١٩٥٣ ومتز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٧٧ ٠

أواخر القرن الثالث الهجرى حصل على المال اللازم بأن باع الى اليهود أملاك وجزءا من الكنيسة المعلقة (١٤٦) ٠

وكان أغنى تجار مصر وأجلهم حوالى عام ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م عفان ابن سليمان البزاز فلما مات أخذ الأخشيد من ماله ألف دينار (١٤٧) ٠

واذا كنا قد تحدثنا عن وسائل المعاملات المالية فلابد ان نذكر شيئا عن النقود المستعملة في هذه المراكز التجارية وفى أسواقها ثم نتحدث أيضا عن المكاييل ٠

**النقـــود :**

كانت النقود المستعملة من الذهب ، وقد كانت قاعدة النقد فى مصر قبل الفتح العربى وبعده هى الذهب ٠ الا ان ذلك لم يمنع من استعمال نقود أخرى مساعدة من الفضة والبرونز وغيرها(١٤٨) ٠

والدينار قطعة من الذهب وزنها مثقال ، ولم تكن قيمة الدينار ثابتة فكانت تختلف من عشرة دراهم الى ثلاثة عشر الى خمسة وقد تزيد على ذلك حسب نقاء الذهب من الغش والوزن الشرعى للدينار هو ٤ر٢٥ جراما فى حين كان الوزن الشرعى للدرهم ٢ر٩٧ جـرام أى ان الدرهم ١٠/٧ من الدينار(١٤٩) ٠

والى جانب الدنانير والدراهم ظهر « الفلس » الذى يعلل المقريزى سبب سكه بقوله « انه لما كان فى المبيعات محقرات ، تقل عن أن تباع بدرهم أو جزء منه احتاج الناس من أجل ذلك فى القديم والحديث من الزمان الى شىء يسوى الذهب والفضة ، يكون بازاء تلك المحقرات(١٥٠)

---

(١٤٦) متز : الحضارة الاسلامية جـ٢ ص ٣٧٧

(١٤٧) ابن سعيد : المغرب ص ١٦٥ ومتز : الحضارة الاسلامية جـ٢ ص ٣٨٢

(١٤٨) المقريزى : اغاثة الأمة ص ٦٢ القاهرة ١٩٤٠ م ٠

(١٤٩) البلاذرى : الدينار والدرهم من وحدات السكة الاسلامية وقد اشتق اسمه من اليونانية ويذكر البلاذرى ان كل عشرة أوزان الدراهم سبعة أوزان الدنانير النقود ص ١١ ضمن كتاب النقود العربية وعلم النميات ٠

(١٥٠) المقريزى : اغاثة الأمة ص ٦٦ ـ ٦٧

وقد اثبتت حفريات الفسطاط ، وجود الفلس البرونزى وتحمل أسماء عمال أمويين مثل القاسم عبد الله عامل خراج مصر (١٥١) ٠

ولقد ظلت أسواق مصر تستخدم الدينـار البيزنطى الى ان ضرب الخليفة معاوية بن أبى سـفيان ٤١ ـ ٦٠ هـ / ٦٦١ ـ ٦٧٩ م ، دنانير اسلامية ، عليها صورته متقلدا سيفه(١٥٢) ٠

وظهر الطراز العربى للنقود كاملا على يد الخليفة الاموى عبد الملك ابن مروان ٦٥ ـ ٨٦ هـ ٦٨٥ ـ ٧٠٥ م ، فظهرت فى عهده أول نقود عربية كضرورة اقتصادية ، واستكمالا للوحدة السياسية التى نجح فى الوصول اليها بعد قضائه على الحـركات المناهضة لسلطته ٠ على اية حال لن نخوض فى تاريخ سك العملة ، خاصة فى الفسطاط ومصر ٠ ولكن نحاول ان نقدر قيمة الدينار ، فى تلك الفترة التى نحن بصددها ٠

يمكننا تقدير قيمـة الدينار فى النصف الأول من القـرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى بما يقرب من أربعة وعشرين درهما ٠ ويتضح ذلك من احدى البرديات التى يرجـع تاريخها الى سـنة ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م (١٥٣) وتقول البردية « هذا ما استأجر سعيد بن عيسى استأجر هارون بن يقام استأجره سعيد بن عيسى ، شهرين كاملين على أن يعمـل له عمل الفول وعلى ان يعطيه فى هذين الشهرين سدس دينار لكل شـهر درهمين » ٠

واذا لاحظنا أن سدس دينار من الذهب الخالص كان يسـاوى أربعة دراهم ، وهى الأجرة التى كان يدفعها صاحب الأرض للعامل عن شهرين على أساس أجرة الشـهر الواحد درهمين ، فقد امكننا ان نقف على ان الدينار كان يساوى ٢٤ درهما فى ذلك الوقت(١٥٤) ٠

وقد عمل أحمـد بن طولون على اصلاح العملة ، فضرب دنانيره

---

(١٥١) Lavoix : Catalougue de Monnais Musul mane P. 456.

(١٥٢) المقريزى : النقود ص ٦ ، ضمن كتاب النقود العربية وعلم النميات ، للأب أنستاس الكرملى ، القاهرة ١٩٣ م ٠

(١٥٣) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٢ ص ٩٩ الطراز رقم ١٧٤ لوحة ١٢

(١٥٤) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٢ ص ١٠١

الاحمدية سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م نقية العيار وزائدة الوزن فى الدينار (١٥٥) كما ضرب الاخشيد نقودا باسمه سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م وقد ظل الدينار الذهب يضرب بمصر فترة طويلة ، فقد عثر فى مصر على دنانير اسلامية اعتبارا من سنة ٧٨هـ ، وقد كتب عليها « بسم الله ضرب هذا الدينار سنة ثمان وسبعين ، الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد . محمد رسول الله . ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . لا اله إلا الله وحده لا شريك له (١٥٦) كما وجد كذلك دنانير « دنانير » على يد الأمير عبد الملك بن مروان بالفسطاط أمر عبد الله مروان أمير المؤمنين » وكذلك بنفس النص بالفيوم (١٥٧) وان كان Lane Poole يرى انها نحاسية مبكرة وكذلك « بمصر سنة احدى وثمانين وفيه مما أمر به الأمير الأمين محمد بن أمير المؤمنين بن يحيى » .

وظل الدينار يضرب فى مصر فترة طويلة بنفس العبارات التى سجلت على الدنانير الأموية حتى سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م . حين بدأت الدنانير العباسية فى زمن المأمون (١٥٨) فى سنة ١٩٩هـ/٨١٤ م (١٥٩) . وكان الولاة قد حصلوا منذ عهد هارون الرشيد ١٧٠ ـ ١٩٣ هـ ٧٨٦ / ٨٠٨م على حق كتابه اسمائهم على العملة سواء الدنانير أو الدراهم وقد اكد ذلك المقريزى (١٦٠) وهارون الرشيد أول خليفة ترفع عن مباشرة العيار بنفسه » .

وكانت أول دنانير تحمل اسم والى مصر وتسك فى الفسطاط تلك التى ضربها على بن سليمان بن على العباسى ١٦٩ ـ ١٧١ هـ / ٧٩٧ م وهى تحمل معظم العبارات التى تميزت بها الدنانير الأموية غير أن اسم الوالى يظهر أسفل الكتابة ، ومنذ سنة ٢١١ هـ / ٨٢٦ م ظهرت النقود فى الفسطاط مضروبة باسم عبد الله طاهر قائد جيش المأمون (١٦١) .

---

(١٥٥) ابن الداية : سيرة أحمد بن طولون ص ٣٣ ـ ٣٤ القاهرة ١٩٤١ ، المقريزى النقود ص ١٢ ـ ١٣

(١٥٦) Lavoix Catalougue Des Monnaies p. 69. Paris, 1887.

(١٥٧) Ibid : p.397 - Lane Poole : Catalougue. Arabic coins pp. 114 — 115. Cairo 1887.

(١٥٨) Lavoix : Catalogue des Monnoies p. 799.

(١٥٩) Ibid : p. 215; Lone Poole Arabic Coins p. 68.

(١٦٠) المقريزى : كتاب النقود الاسلامية ص ١٤

(١٦١) عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٥٢ ـ ٥٣ ، القاهرة ١٩٦٤م .

وظلت الدنانير العباسية متداولة فى مصر عند قيام الدولة الطولونية حتى سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م (١٦٢) حيث ضرب أحمد بن طولون دنانيره الأحمدية حيث كان يسعى لاصلاح العملة (١٦٣) واصلاح اقتصاد البلاد ، وتدعيم مركز مصر وقد نقش على العملة :

« لا اله الا الله وحده لا شريك له المفوض الى الله

بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ست وستين ومائتين

لله الأمر من قبل ومن بعد يؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

محمد رسول الله . المعتمد الى الله أحمد بن طولون(١٦٤) .

كما استمر الاخشيديون فى ضرب العملة هى نهاية عهد كافور ٣٥٧هـ - ٩٦٨م(١٦٤) .

**المكاييل :**

كان الرطل وحدة الوزن فى أسواق مراكز التجارة ، وخاصة فى الفسطاط وهو « مائة أربعة وأربعون درهما » وأوقيته أثنا عشر درهما ، ومنه يتفرع القنطار المصرى وهو مائة رطل » (١٦٦)واستعمل كذلك القدح المصرى ، وهو قدح صغير تقديره مائتان واثنان وثلاثون درهما . كل ستة عشر قدحا تسمى ويبة وكل ستة وتسعين قدحا تسمى أردبا(١٦٧) .

ويذكر الكندى أن أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بعث بالمدى(١٦٨) ( نوع من الكيل ، الى مصر ، وأمر المصريين ان يتعاملوا به فأمر ابن رفاعه فطيف بهذا المدى على القبائل ، وأخبرهم أن أمير المؤمنين ، أمر به ، فكل الناس مسلم لذلك حتى أتى به الى المعافر

---

(١٦٢) Lavoix : Catalogue des Monnaies p. 215, Lont Poole : Arabic Coinet p. 68.

(١٦٣) ابن الداية : سيرة أحمد بن طولون ص ٣٣ - ٣٤ ، المقريزى النقود ص ١٢ - ١٣ .

(١٦٤) Lone Poole : Arabic Coins p. 135.

(١٦٥) Lone Poole : Arabic Coins pp. / 143 46.

(١٦٦) القلقشندى : صبح الأعشى جـ٣ ص ٤٤١

(١٦٧) نفس المصدر والصفحة .

(١٦٨) مازال بالصعيد نوع من الكيل يطلق عليه « المد » كل قدحين كيلة .

فعرض عليهم ، فما كان من عبد الرحمن بن ناشزه المعافرى الا كسره بالأحجار قائلا « ان لنا ويبة واردبا قد عرفناهما ولسنا تحتـــاج الى هذا » (١٦٩) وهذا يدل على تمسك المصريين فى ذلك الوقت بما درجوا على استخدامه من مكاييل .

هذه أهم ملامح نظم الأسواق فى مراكز التجارة على نهر النيل وثمة بعض الملحظات منها أن نظام الأسواق كان يتيح للمشترى أن يحصـــل على النوع الجيد من السلعة وبأرخص الأسعار .

وكانت لهذه الاسواق عيوب منها ان المشترى لعدة أصناف متباينة عليه أن يقطع المدينة كلها طولا وعرضا عدة مرات حتى يقضى حاجياته لانه لن يجد فى السوق الواحدة سوى نوع واحد من البضائع(١٧٠) .

وكانت غالبية التجار صادقين فى بيعهم لا يغشون فى سلعتهم(١٧١) كما كانت هناك عدة قواعد ، قوانين تحكم حركة البيع والشراء فى هذه الأسواق مثال ذلك ما ذكره الكندى من أن قاضى الفسطاط توبة بن نمر الحضرمى(١٧٢) كان لا يقرفى البيع « خيار العيب » على اساس حرية المشترى ، قبل الشراء فان لم يكن قد تنبه لعيب فيما اشترى ، فلا يحل له استرجاع ماله ، والتحلل من شرائه ، فيقول القاضى لاحد تجار الرقيق « من اشترى منكم غبيا لانكم تبصرون ما تشترون » (١٧٣) .

هذا وان كان من المعروف فى الفقه الاسلامى ان هناك ثلاث خيارات للمشترى خيار الرؤيا وخيار العيب ، وخيار المذاق الا أن توبة بن نمير القاضى لا يقر خيار العيب على أساس رؤية المشترى ، لما يشترى ، ومن ثم فليس له الحق فى ارجاع ما اشترى واسترداد أمواله بحجة ان بمـــا اشترى غيبـــا .

تلك أهم ملامح نظم الأسواق التى كانت تسود فى مراكز التجـــارة الواقعة على نهرا لنيل .

---

(١٦٩) الكنـــــدى : الولاة والقضاة ص ٧٨ – ٧٩

(١٧٠) Lone Poole : Social lif in Egypt p. 4, London, 1883.

(١٧١) ناصر خسرو : سفرنامة ص ٦٠

(١٧٢) توبـــة بن نمر الحضرمى تولى القضـــاء من سـنة ( ١١٥ / ١٢٠ هـ – ٧٣٣ / ٧٣٧ م ) .

(١٧٣) لككنـــدى : الولاة والقضاة ص ٤٠٢

١٢٠هـ ٧٣٣ – ٧٢٧م

وكما كان لبعض القضاة موقف بالنسبة للتعامل مثل من كان يرى البنورق كما اشرنا(١٧٤) .

فقد وافق القاضى عبد الرحمن بن عبد الله فى سنة ١٨٨هـ - ٨٠٣م على أن تقام حوانيت تكون بأسـفل جامع عبد الله ، وتؤجر وينفق من ايجار هذه الخوانيت على عمارة هذا المسجد والانفاق عليه من ريع هذه الحوانيت(١٧٥) .

## سـوق أسـوان :

وتعتبر حركة التجارة فى أسوان وأسواقها من السـعة والضخامة ، فقد ماجت سوقها الواسعة بالتجار ، الذين ترددوا عليها من كافة البلدان الاسلامية لشراء سلع لشرق الأقصى والنوبة وافريقية .

وقد أسهب المؤرخون والجغرافيون المسلمون فى ذكر تجارة أسوان ، فقد وصفها المقدسى(١٧٦) بأنها « قصبة الصعيد .. بها خيرات وتجارات وهى من الأمهـات » وقال عنها ابن حـوقل(١٧٧) « وهى أكبر مدن الصعيد » كما تحدث عنها اليعقوبى(١٧٨) بقوله « مدينة أسوان العظمى بها تجارات المعادن ، وهى ذات تجـارات مما يأتى من بلاد النـوبة والبجة » وتحدث المقريزى(١٧٩) عن تجارتها فقال « وبها تجـارات وبضائع » كما تحدث ياقوت الحموى(١٨٠) عن هذه التجارة فقـال « المدينة كبيرة للتجارة » .

من كل هذه الأوصـاف التى وصفت بها أسـوان ، نستطيع ان نخلص الى :

- انها كانت مدينة كبيرة للتجارة فى جنوب مصر .
- وبها سوق كبير لتجارة الشرق الأقصى والنوبة وافريقية .

---

(١٧٤) وكيع أخبار القضاة جـ ١ ص ٣٧٢

(١٧٥) الكندى : الولاة والقضاة ص ٤٠٧

(١٧٦) أحسن التقاسيم ص ٢٠١ .

(١٧٧) صورة الأرض ص ١٥٩ .

(١٧٨) البـلدان ص ٣٣٤ .

(١٧٩) الخطط جـ١ ص ١٩٦ .

(١٨٠) الخطط جـ ١ ص ١٩٦ .

(١٨٠) معجم البلدان جـ ١ ص ٢٤٨ .

- وكان لموقعها فى نهاية الطرق البرية والنهرية أثر فى ازدهار اسواقها كما أنها مركز لتبادل كافة العلاقات بين مصر والنوبة والتى حددتها اتفاقية البقط(١٨١) ٠

لهذا كان بأسواق أسوان مختلف السلع الواردة والصادرة من هذه البلاد ومن هذه الأسواق أسواق المعادن ، الذهب والزمرد وغيرها(١٨٢) ٠ كما ازدهرت بها سوق الرقيق حيث كان يجلب من بلاد النوبة ، كما كانت بها أسواق للسلع المختلفة كما ذكر ناصر خسرو (١٨٣) بالاضافة الى أسواق المنتجات الزراعية ، وخاصة التمور التى اشتهرت بها أسوان(١٨٤) ٠

لذلك لم تنقطع حركة البيع والشراء بأسوان طوال العام فهى بذلك مثل الفسطاط والاسكندرية ودمياط ٠٠ وغيرها ، أى أن سوق أسوان « سوق دائمة » حقيقة كانت بها سوق أسبوعية ، ويبدو أن الصفقات التجارية كانت تعقد فيه ، بالاضافة الى التجارة الداخلية وتصريف المنتجات فى ذلك اليوم ٠

ونظرا لاتساع أسواق أسوان وكونها سوق دائمة فيها كافة السلع فلم تترك حركة البيع والشراء فى أسواقها دون رقيب ، فهناك المحتسب ، الذى كان يتابع حركة التجارة بها ويمارس اختصاصاته بالطواف بالسوق للتفتيش على السوق وضبط حركة الاسعار والأوزان والمكاييل ، أو غش السلع فضلا عن سرعة البت فى المخالفات التى ترتبط بالمعاملات التجارية(١٨٥) ٠

---

(١٨١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٩ ٠
(١٨٢) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٤ ٠
(١٨٣) سفر نامة : ص ٤١ ٠
(١٨٤) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٥ - ٢٦ ٠
(١٨٥) المقريزى : الخطط جـ١ ص ٤٧٢ - ٤٦٣ ٠

## المكوس المفروضة على السلع

فرض العرب على التجار والصناع ضرائب كانت تقدر حسب جنسية التاجر وديانته ، فكانت ١٠٪ على أهل الذمة ، ٥ر٢٪ على التجار المسلمين(١٨٦) . وكان مقدار ما يجبى فى مركز التجارة يتوقف على مدى النشاط فى ذلك المركز ، وأسواقه ، فكلما ازداد النشاط ازدادت لذلك حصيلة مركز التجارة .

وكانت الضرائب المفروضة على أهل الذمة نوعين :

- الضريبة التى تفرض على التجار المقيمين بالبلاد الاسلامية وتبلغ ٥ر٪ من قيمة بضائعهم ، وتجبى مرة فى السنة متى تجاوزت قيمة البضائع مائتى درهم .

- الضريبة التى تفرض على التجار القادمين من الخارج وتبلغ عشر قيمة تلك البضائع على مائتى درهم(١٨٧) .

ويعطينا المقدسى صورة لهذه الضرائب على التجارة وذلك فى مدينة تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل فيقول « اما الضرائب فثقيلة بخاصة تنيس ودمياط وعلى ساحل النيل واما الثياب الشطوية ، فلا يمكن القبط أن ينسج شيئا منها الا بعد ما يختم عليها بختم السلطان ، ولا أن تباع الا على يد سماسرة ، قد عقدت عليهم ، وصاحب السلطان يثبت ما يباع فى جريدته ، ثم تحمل الى من يطويها ثم الى من يشدها بالقش ، ثم الى من يشدها فى السفط ، والى من يحزمها ، ،وكل واحد منهم له رسم ، يؤخذه ، ثم على باب الفرضة يؤخذ أيضا شيء وكل واحد يكتب على السفط علامته ، ثم تفتش المراكب عند اقلاعها ، ويؤخذ ، بتنيس على زق الزيت دينار ، ومثل هذا واشباهه ، ثم على شط النيل بالفسطاط ضرائب ثقال ، رأيت بساحل تنيس ضرائبيا جالسا ، قيل قباله هذا الموضع فى كل يوم الف دينار ومثله عدة على ساحل البحر بالصعيد ، وساحل الاسكندرية أيضا مراكب الغرب

---

(١٨٦) أبو يوسف : كتاب الخراج ص ٧٦ ، القاهرة ١٣٠٢ هـ ، يحيى بن آدم : كتاب الخراج ص ١٢٥ ، سنة ١٨٠٥ .

(١٨٧) يحيى بن آدم : كتاب الخراج ص ١٠ ، ١٣٠٠ ، ١٢٦ .

وبالفرما على مراكب الشام ويؤخذ بالقلزم من كل حمل درهم »(١٨٨)٠

كما فرضت ضرائب على أهل الأسواق ، وأخذت هذه الضرائب تزداد زيادة كبيرة فى عهد الاخشيد ، حتى أن المقدسى يذكر أنه قد بلغ من شدة وطأة الضرائب بها ، وكثرة الرسوم أن أهلها شكوا الى البطريق وهو مار بمصر سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م أى أن الواحد منهم يلزم بدفع خمسة دنانير كل عام ، وهو مبلغ لا يقدرون عليه ، كما تستخدم القسوة فى تحصيله منهم(١٨٩) ٠

وكانت المكوس مفروضة منذ أيام عمرو بن العاص فيذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص دعا خالد بن ثابت الفهمى ليجعله على المكس فاستعفاه منه ، فكان شرجبيل بن حسنة على المكس ، وكان مسلمة بن مخلد على الطواحين ، قال عبد الرحمن طواحين البلقس (١٩٠) وكان زريق بن حيان على مكس أيلة فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، وقد كان أهل الورع من السلف يكرهون هذا العمل(١٩١)٠

ومعنى ذلك انه كان هناك وظيفة يتولى شاغلها الاشراف على المكس ٠ وكذلك وظيفة للاشراف على الطواحين ٠ على أن المقريزى ، يذكر ان قيمة المكس فى أيام عمر بن الخطاب كانت من المسلمين ربع العشر ، ومن أهل الذمة نصف العشر ، ومن أهل الحرب العشر ويقال ان عمر بن الخطاب أول من فرض العشر على أهل الحرب(١٩٢) ٠

---

(١٨٨) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٢٣ ٠

(١٨٩) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢١٣ ، متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٧٩ ، ص ٢١٧ ٠

(١٩٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٣١ ، البلقس قرية قديمة من قرى شرق مصر محمد رمزى : القاموس الجغرافى ج ١٠ ص ٥٥ القسم الثانى والمنطقة الشرقية بلبيس والمشتول كانت مشهورة بكثر الطواحين ٠ المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٩٥ ٠

(١٩١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٢٣ ٠

(١٩٢) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٢٢ ( المكس كان ضيعة تعرف بأم دنين ، وانما سميت المقس ، لأن العاشر كان يقعد بها ، وصاحب المكس ، فقيل المكس فغلب فقيل المقس والماكس هو العشار وأهل المكس فى اللغة الجباية ، مكسه يمكسه مكسا ، والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الأسواق ٠٠٠ والمكس انتقاص الثمن ، ومكس درهم أى نقص درهم فى البيع ٠

وقد اختلف فى قيمة ما يؤخذ من أهل الذمة فقبل أيضا يؤخذ منهم العشر فى ما يديرون من تجارة وان اختلفوا فى العام ( ترددوا ) الواحد مرارا الى بلاد المسلمين (١٩٣) وكان المكان الذى يباشر فيه صاحب المكس مهام ميصبه فى زمن الفتح العربى يسمى أم دنين ٠٠ وكانت تقع على النيل فى مكان حديقة الأزبكية الآن تقريبا وكانت تقع شمال الفسطاط وفى الطرف الجنوبى الشرقى من منية الأصبع فى مجرى النيل القديم ٠

وكان هناك مركز تجارى للغلال عرف باسم ميدان المقس أو ميدان الغلة ، كان يحده غربا المكان الذى يلى باب القنطرة مباشرة حتى المقس ، وكان الساحل كله زاخر بالسفن المحملة بالغلال ، ويظهر ان نظام المكس استمر مدة طويلة ، ومهما يكن من شىء فان المكوس التى كانت تجبى على المحاصيل الزراعية ظلت حتى أيام المماليك(١٩٤) ٠

ثم أصبحت كلمه مكس تستعمل استعمالا عاما فى المكوس غير الشرعية والغرامات ، التى يعبر عنها بالمرافق والمعادن(١٩٥) ٠

وكان لمكس يفرض على تجارة القمح ففى بردية يرجع تاريخها الى سنة ٩١هـ/٧١٠م ورد ما نصه ( فانى قد وضعت عنهم مكسة فليبيعوه بالفسطاط وعجل ذلك فانى قد خفت غلا الطعام بالفسطاط وانى اذ وضعت للتجار مكسهم أصابوا ريحا حسنا )(١٩٦) من الواضح انه يقصد بالمكس نوع من الضرائب فرض على التجار الذين كانوا يبيعون سلعهم(١٩٧) ٠٠٠

---

(١٩٣) المقريزى : الخطط جـ٢ ص ١٢١

(١٩٤) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٣ ص ١٠٠

(١٩٥) نفس المصدر والصفحة

(١٩٦) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٣ ص ٨ لوحة ٢ رقم الطراز ٣٣١

(١٩٧) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٣ ص ٩ ( وأما مقدار المكوس التى فرضت فى مصر فى عهد خلافة عمر بن عبد العزيز فقد تناول أبو يوسف الكلام على ذلك فى كتاب الخراج ص ٧٩ وقد فرض على المسلمين دينار واحد عن كل أربعين دينارا ، واتبعت هذه النسبة فى كل مبلغ يبدأ من عشرين دينارا فصاعدا وكان أهل الذمة يدفعون ضعف هذا المبلغ أى دينار واحد من كل عشرين دينارا فصاعدا ، وليس غريبا أن نجد نظام المكس منذ بداية الادارة العربية فى مصر ٠ اذ لاحظنا أن ثمة نظام مماثل تمام المماثلة كان قائما فى العهدين اليونانى والرومانى ، جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٣ ص ٩ ـ ١٠ ) ٠٠

كما لوحظ من بردية يرجع تاريخها الى القرن الثالث الهجرى ( التاسع الميلادى ) وهو عبارة عن تقرير ، عن الضرائب عليه احصاء الحيوانات فى قرى مختلفة من كورة الأشونين ، وقد وضع سجل للحيوانات بعناية كبيرة جدا ، والوثيقة تشير الى وجود تجارة حيوانات داجنة مزدهرة بالبلاد وأن عليها ضرائب(١٩٨) .

---

(١٩٨) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ ٤ ص ١٦٥ – ١٦٦ لوحة ١٧ الظراز رقم ٢٤١ .

# التجارة بين مصر والنوبة

يطلق لفظ « النوبة » على أجزاء وادى النيل الممتدة على جانبى نهر النيل ، بين مدينتى أسوان والخرطوم الحالية ، وان كانت أوطان النوبيين قد انكمشت فى الوقت الحالى ، بحيث تشمل الأراضى الملاصقة لنهر النيل من شمالى أسوان الى بلدة الدبة وكورتى ، وهم يستقلون أحيانا بهذه الجهات ، والنوبة لا يشاركهم فيها أحد ويجاورهم أحيانا جماعات عربية(١٩٩) .

ولقد عرف العرب سكان وادى النيل من أسوان الى جنوب الخرطوم الحالية باسم النوبة ولقد كانت هناك صلات بين النوبيين والعرب ترجع الى ما قبل ظهور الاسلام(٢٠٠) . ولعل التجارة كانت أهم وسائل هذه الاتصالات ، اذ نشطت حركة تجارة العاج والصمغ واللبان والذهب بين الجزيرة العربية من ناحية ، وبين موانى مصر والسودان والحبشة من ناحية أخرى .

وقد اتجهت سياسة المسلمين بعد أن تم فتح مصر الى العمل على تامين حدود مصر من الجنوب ، وضمان سلامة طريق التجارة القديم مع النوبة وافريقية لذلك أرسل عمرو بن العاص بعد فتح مصر مباشرة سنة ٢٠ هـ ـ ٦٤١ م فرقة من الفرسان ( صائفة ) بقيادة نافع بن عبدالقيس لفتح بلاد النوبة ( وفى الحقيقة لاستطلاع هذه البلاد ) والراجح ان عدد المسلمين فىهذه الحملة لم يكن كبيرا ، ولم تكن هذه المحاولة ناجحةولكنها لم تكن فاشلة ، والدليل على ذلك أن نص معاهدة الصلح بين عمر بن العاص والمقوقس ، حوت نصا ذكرت فيه النوبة لأول مرة فى وثيقة عربية « وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا راسا وكذا وكذا فرسا على أن يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة »(٢٠١) .

---

(١٩٩) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ص ٢٨٤ ، القاهرة ١٩٥١ م .

(٢٠٠) محمد عوض محمد : نفس المرجع ص ٢٨٦ .

(٢٠١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك جـ ٤ ص ١٠٩ ، دار المعارف القاهرة ٦٧ ـ ١٩٦٩م ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ١٣ ص ٣٢٤ .

ويتضح من هذا النص أن أهل النوبة قد وافقوا على أن تظل علاقتهم بالمسلمين بنفس الدرجة التى كانت مع مصر قبل الفتح ، وان يسرى عليهم ما يسرى على الروم ، وربما كانت الاشارة هنا الى من كان يقيم فى مصر من النوبيين ، اذ كانت النوبة مملكة قوية مستقلة أثناء فتح العرب لمصر(٢٠٢) وظلت علاقة المسلمين بالنوبة حتى عزل عمرو بن العاص من ولاية مصر فى خلافة عثمان بن عفان ، فانتهز النوبة الفرصة وكثرت سراياهم الى الصعيد فخربوا واحرقوا(٢٠٣) فجرد عليهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح أمير مصر سنة ٣١هـ ٦٥٢ م ، حملة ، فقامت معركة شديدة بين الفريقين وأصيب فيها عدد من المسلمين فى عيونهم ، ولذلك سموا النوبيين « رماة الحدق» (٢٠٤) وكان ذلك فى دمقلة ٠

وقد حصرهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى دمقلة حصارا شديدا ورماهم بالمنجنيق وانتهت هذه المعركة بصلح بين الطرفين ذكر نصوصه المقريزى(٢٠٥) ٠

ان عبد الله صالحهم على هدنة بينهم على انهم لا يغزونهم ولا يغزو النوبة المسلمين ٠ والنوبة يؤدون كل سنة الى المسلمين ثلثمائة وستين رأسا فى كل سنة لفىء المسلمين ولوالى البلد أربعون ووعد المسلمون بأن يؤدوا الى النوبة من القمح كذا وكذا ومن العدس كذا وكذا فى كل سنة وحفظ كل من نزل بلدهم من مسلم أو معاهد ، وحفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتهم ، ولا يلتزم المسلمون بدفع عدو أو مغير عن بلادهم ٠

هذا واعتبر ابن عبد الحكم الذى أورد شروط الهدنة أنه لم يكن لهم عقد ولا صلح ، الا أن ابن عبد الحكم يعود فيذكر نقلا عن بعض المشايخ أنه رأى نصوص الصلح(٢٠٦) والمقريزى يورد نصوص الصلح أو المعاهدة(٢٠٧) ٠

---

(٢٠٢) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ١٨ ٠
(٢٠٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٨ – ١٩٩ ٠
(٢٠٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٨٨ ٠
(٢٠٥) الخطط جـ ١ ص ١٩٩ ٠
(٢٠٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٨٨ – ١٨٩ ٠
(٢٠٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٩ ٠

ويفسر المقـــريزى البقط(٢٠٨) ويحــــدد مكان أخـذه فى قرية جنوب أسوان تسمى القصر وقد كان أول ما تقرر هـذا البقط على النوبة فى أمارة عمرو بن العاص الذى بعث عبد الله بن سـعد بن أبى سرح بعد فتح مصر الى النوبـــة فمكث بهـــا بعض الوقت الى أن أمره عمــرو بالرجـوع(٢٠٩) ٠

على أية حال بعد أن تمت الهدنة بين عبد الله بن سعد بن أبى سرح وبين النوبيين أرسـل اليهم ما وعـدهم به من الحبوب قمحا وشـعيرا وعدسـا وثيابا وخيلا ، ويفصـل المقريزى(٢١٠) بعد ذلك « البقط » ما على المسلمين وما على النوبة ٠

ومما يلفت النظر أن الاتفاقية نصت على ما يلتزم بدفعـه النوبيون على حين لم يلزم المسلمون بدفع شىء لهم ، وأما ما جرى عليه العرف من ارسال كمية من الحبوب والملابس الى النوبة فهو نتيجـة معرفـة بحاجاتهم عند غزو بـلادهم ، ويبدو ان هـــذا الصلح جعـل النوبيين والمسـلمين على قدم المساواة فلا غـالب ولا مغلوب بدليـل ما يدفعـه المسلمون من أشياء مساوية تقريبا لمـا يدفعه النوبيون وقد تزيد وانهـا مصلحة متبادلة(٢١١) وانها معاهدة تجارية ٠

ولكن الواقع أن عـدم النص على الزام المسـلمين بشىء يدل على بعض السيادة للمسلمين على النوبة ، كما أن المعاهدة ضمنت للمسلمين، فتح النوبة للتجارة والسماح لتجـار المسلمين بزيارة بلادهم ٠ وقد علق البلاذرى(٢١٢)على المعـاهدة بقوله « ليس بيننا وبين الأسـاود عهـد ولا ميثاق ، انما هى هدنة بيننا وبينهم » ٠

على أى حـال كانت هـذه الاتفاقية ، بمثابة تبادل تجـارى بين المسلمين والنوبة فالمسلمون يحصـلون على الرقيق ، ويحصـل أهـل

---

(٢٠٨) البقط ما كان يؤخذ من النوبة فى كل عام فى قرية يقـــال لها القصر على بعد خمسة أميال جنوب أسـوان وهى لفظ مصرى معنـاه الضريبة ٠ وربما يدل على لفظ مصرى قديم معنـاه العبد ، والمقريزى يذكر أن البقط ما يقبض من سبى النوبة فى كل عـام ويحمل الى مصر ٠

(٢٠٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٩ ٠

(٢١٠) الخطط جـ ١ ص ١٩٨ ــ ١٩٩ ٠

(٢١١) Ency of Islam Ayt Bakt.

(٢١٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٣٦ ليدن ١٨٦٦ ٠

النوبة ، على المحاصيل والمنتجات المصرية من ثياب وخمر وخلافه من مصر(٢١٣) .

كما أن نصوص المعاهدة نصت على دخول المسلمين بلاد النوبة وكذلك دخول النوبيين لمصر « تدخلون بلادنا مجتازين غير مقيمين وكذا تدخل بلادكم »(٢١٤) وكان هذا ايذانا بفتح باب التجارة بين المسلمين والنوبيين ، ولذلك أخذت قوافل المسلمين التجارية تذهب الى النوبة ، وتعود بالرقيق، وليس أدل على وجود التعامل التجارى بين مصر والنوبة منذ الفتح العربى من أن اتفاقية البقط نظمت ذلك التعامل ، وحددت أصوله ، فقد نصت تلك المعاهدة على حرية المرور التجارى بين الطرفين(٢١٥) . وتعنى المعاهدة أن التجار المسلمين كان باستطاعتهم أن يتوجهوا الى بلاد النوبة والاقامة فيها بصفة مؤقتة لحين انتهاء مهامهم التجارية ، علاوة على تأمين أموالهم وأنفسهم .

ومن المحتمل أن تجار المسلمين من العرب كانوا قد بدأوا يدخلون النوبة قبل ابرام المعاهدة عام ٣١هـ - ٦٥١م وأن المعاهدة ، لم تكن تشرع للمستقبل بقدر ما تفرض حقيقة واقعه(٢١٦) .

وجرى التبادل التجارى بين مصر والنوبة عقب الفتح العربى فى قرية بلاق ، التى كانت بمثابة سوق ، تأتى اليه سفن النوبة وسفن المسلمين من مصر وأسوان(٢١٧) .

والجدير بالذكر أن حدود مصر الجنوبية - عند أسوان - كانت تنتهى فى بلاق وآخر حدود النوبة ، التى تواجه مصر تنتهى فى قرية القصر ، والمسافة بين القريتين تبلغ ميلا واحدا(٢١٨) ، وتبعد بلاق عن أسوان أربعة أميال ويقوم الشلال الأول فاصلا بينهما ، ومنطقة الشلال صعبة مليئة بالصخور ، لا تستطيع المراكب السير فيها الا بالحليه

---

(٢١٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٩ .
(٢١٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٨٩ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٩ .
(٢١٥) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية ص ٥٧ .
(٢١٦) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ص ١٩٢ .
(٢١٧) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ١٩٠ .
(٢١٨) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٨٩ ، الادريسى : صفة المغرب ص ٢٠ - ٢١ .

ودلالة من يخبر بذلك من الصـيادين اللذين يصيدون هنـاك لأن هـذه الجنادل مقطعة وشعاب معترضة النيل(٢١٩) .

ولذلك كان لابد للسفن القادمة من النوبة أن تتوقف عند بـلاق لعدم مقدرتها السير شـمالا . وكذلك سفن المسلمين القادمة من أسـوان لا يمكنها التقدم جنـوبا الا بصعوبة ومن أجل ذلك كانت قرية بلاق هى المكان الملائم الذى حتمته الظروف لتكون سـوقا للتعامل التجارى بين مصر والنوبة فى ذلك الوقت .

على أى حال لم يكتف تجـار النوبة بجلب سلعهم عن طريق نهر النيل بل الى جانبه كانت القوافـل البرية تاتى الى أسـوان وفى ذلك يقول المسـعودى(٢٢٠) « والنوبـة متصلة بتجارتها وقوافلها بمدينـة أسـوان » .

والتجار المسلمون توغلوا داخل بلاد النوبة وساروا بسلعهم حتى منطقة المريس وهى التى تعرف فى المراجـع العربية بخضوعها لحـاكم اسمه (صاحب الجبل ) « وهو الذى اتخذ من قرية المقس الأعلى مقرا له ولم يكن مسموحـا بتجـاوز هـذه المنطقـة ومباشرة نشـاطهم فيهـا»(٢٢١) .

وكان التبادل فى هذه المناطق يتم بطريقتين : الدفع المباشر ( أى النقد ) والمقايضـة .

---

(٢١٩) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٨٩ .

**بـلاق :**

مدينة واقعة فى أول بلاد النوبة على الشـاطىء الشرقى للنيل ، جنوبى أسـوان ومتصلة بهـا بطريق البر ، ولكن المقريزى فى الخطط ج ١ ص ١٩٩ قـال انهـا أجل حصن للمسلمين وهى جزيرة تقرب من الجنادل ( ويقصد شلال أسوان ) يحيط بها المـاء وفيها بلد كبير يسكنه خلق كثير من الناس وبها جامع بمنبر عظيم ونخيل عظيم واليها تنتهى سفن النوبة وسفن المسلمين وبينها وبين أسـوان أربعة أميال .

محمد رمزى : القاموس الجغرافى ج ١ ص ١٧٧ .

(٢٢٠) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٨٩ ، والمسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ١٩٠ ــ ١٩١ .

(٢٢١) الخطط ج ١ ص ١٩٠ .

فى الجزء الأسفل من النوبة كان أسلوب التعامل عن طريق الدفع ، أما فى الجزء الأعلى فكان عن طريق المقايضة وفى ذلك يقول المقريزى(٢٢٢) « ولا يجوزها دينار ولا درهم ، اذ كانوا لا يتبايعون بذلك دون الجنادل مع المسلمين ، وما فوق ذلك لا بيع بينهم ولا شراء وانما هى معاوضة بالرقيق والمواشى والحبال والحديد والحبوب » .
على أن العلاقة التجارية بين مصر الاسلامية ومملكة النوبة فى مصر فى عهد الولاة ظلت مستمرة ، رغم بعض المحاولات العدائية وبالرغم من أن النوبيين نقضوا اتفاقية البقط مرارا . الا أن ذلك لم يؤثر على النشاط التجارى ، ولم يمنع التجار المسلمين من دخول بلادهم لمزاولة نشاطهم التجارى وربما يرجع ذلك الى أن النشاط التجارى يغلب عليه الطابع السلمى والى حاجة النوبيين الى التجارة الواردة اليهم من مصر الاسلامية وخاصة ما يتعلق منها بالغذاء والكساء .

وقد ذهب البعض من الباحثين الى أن تجارة مصر مع النوبة لم تكن بأيدى المسلمين وانما كان تجار النوبة هم الذين يفدون بتجارتهم لأسوان(٢٢٣) .

ولكن غالى البعض فى ذلك وأضاف أن المصريين نادرا ما يتوجهون الى بلاد النوبة لهدف التجارة(٢٢٤) .

والواقع ان التجار المسلمين كثيرا ما قاموا بالتردد على النوبة لجلب السلع من هناك ، يؤيد ذلك ما رواه ناصر خسرو من انه شاهد بنفسه تجار أسوان يذهبون الى بلاد النوبة « ويبيعون الخرز والأمشاط والمرجان ويجلبون منها الرقيق» (٢٢٥)ويضيف الأدريسى أن « بمدينة بلاق يجتمع تجار النوبة والحبشةوتجار أرض مصر يسافرون اليها »(٢٢٦) .

---

(٢٢٢) نفس المصدر والصفحة .
(٢٢٣) سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ص ٢٨٠ ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
(٢٢٤) آدم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٩٧ .
(٢٢٥) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٤١ .
(٢٢٦) الأدريسى : صفة المغرب ص ٢٠ .

كما أن تجار النوبة كانوا يقومون بدور الوساطة فى نقل تجارة الحبشة وافريقيا الى مصر وأن دورهم كان دور الوسطاء فى تصريف هذه التجارة ٠

وقد ذكر المقريزى كما وضحنا فى المكوس على السلع أن أسوان كانت من أهم المراكز التى تجبى فيها الرسوم والمكوس على السلع المارة بها(٢٢٧) ٠

وبذلك يمكن عند الحديث عن أهم السلع المتبادلة بين مصر والنوبة فى ذلك الوقت أن نقول أن مصر كانت تستورد من بلاد النوبة الرقيق ، وقد فتحت معاهدة البقط الباب على مصراعيه أمام تجار الرقيق (٢٢٨) ٠ وقد انتشرت هذه التجارة فى مصر منذ الفتح العربى لمصر ، وابن عبد الحكم يذكر وجود سوق بالفسطاط بدار البركة يباع فيه الرقيق(٢٢٩) ٠

وذكر المقريزى انهم صالحوا على أن يدفعوا للمسلمين ثلثمائة رأس لفىء المسلمين ، ولأمير مصر أربعون رأسا ٠ وفى نظير ذلك ( يدفع اليهم من مصر ) ألف أردب قمحا ولرسلهم ثلثمائة أردب ، ومن الشعير كذلك ، ومن الخمر ألف اقتيز ولرسله ثلثمائة وفرسين من نتاج خيل الأمارة ، ومن أصناف الثياب ، مائة ثوب ، ومن القباطى أربعة أثواب للمتملك ولرسله ثلاثة ، ومن البقطرية ثمانية أثواب ، ومن المعلمة خمسة أثواب ، وجبة مجملة للملك ، ومن قمص أبى بقطر عشرة أثواب ومن أخاص عشرة أثواب وهى ثياب غلاظ(٢٣٠) ٠

---

(٢٢٧) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠٨ ، ابن جبير : الرحلة ص ٦١ – ٦٣ ٠

(٢٢٨) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٩٩ ٠

(٢٢٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩٢ ٠

(٢٣٠) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٩٩ ٠

القباطى : هو الاسم الذى أطلقه العرب على النسيج المصرى الذى عرفه الأوربيون فيما بعد باسم ( التبسترى Tapestry ) ، وقد ظل هذا اللفظ ( القباطى ) مستعملا فى المراجع العربية طوال الفترة التى سادت فيها هذه الطريقة الفنية فى زخرفة المنسوجات الي العصر الفاطمى ، ولما ظهرت طرق فنية أخرى غير هذه الطريقة

ومن هــذا يتضح ان المحاصــيل كانت أهم ما تقوم مصر بتوريده الى بلاد النوبة وكذلك المنسوجات بالاضافة الى ما ذكره ناصر خسرو من بيعهم الخرز والأمشاط والمرجــان(٢٣١) ٠

كما أن مصر كانت تستورد العاج « أنيــاب لفيل » وجـلود البقر والطيور(٢٣٢) والبخور وأنواع التطيب التى كان لها أسـواق بمدينة الفسطاط ، كما ان المواشى والحبــال والحديد والحبوب هى من ضمن السلع المتبادلة بين البلدين(٢٣٣) ٠

---

=

اختفى لفظ قبــاطى ٠ واذا تتبعنــا نشــأة هـــذا النوع من النسيج ( القباطى ) تبين لنا أنه وجد فى مصر منذ العصر الفرعونى واسـتمر خـلال عصورها التاريخية دون انقطاع وفى تطور مستمر الى العصر القبطى ، فالعصر الاسـلامى ، بل الى الآن فانه مستعمل فى صـناعة الأكلمة ٠ وعلى ذلك يمكننا القول بأن نسيج القباطى مصرى النشـــأة والفكرة والوسيلة ٠٠ ومن ثم فقد حق للعرب اطلاق كلمة ( قباطى ) عليه ، اذ أن كلمة ( قبط ) معناها مصر باللغة الاغريقية ٠

ولم تقتصر صناعة القباطى على مصر فحسب بل انتشر فى معظم بلاد الشرق الأوسط ثم أقبلت ايران وتركيــا منذ القرن الســادس عشر الميلاد على انتاج منسوجات القباطى عندما أخذت أوروبا تنتجــه تحت اسماء أخرى مستعارة هى ( جوبلان ) و ( أويبسون ) ٠

الدكتورة/سـعاد ماهر : مشهد الامام على فى النجف وبابــه من الهدايا ص ٢١٠ ، القاهرة ١٩٦٩ م ٠

(٢٣١) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٤١ ٠

(٢٣٢) نفس المصـدر ص ٦٠ ٠

(٢٣٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٩٠ ٠

## الفصل الثالث

## النيل والنظم المالية

- الارتباط بين منسوب النيل والجباية ·
- موقف الولاة من جباية الخراج ( لينهم أو تشددهم ) ·
- الأراضى التى تبور والتى تزرع ·
- تحصيل الجزية والخراج ·
- تربية الحيوانات والضريبة عليها ·
- موقف الولاة من بواقى الخراج ·
- عناية الولاة بالأرض والترع والجسور ·

# النيـل والنظم الماليـة

ارتبطت الحياة الاقتصادية ـ بما فيها الناحية المـالية ـ فى مصر بالنيل ، ففى زيادتـه العاديـة التى تروى الأرض ، وهى كمـا قـال المسعودى ، سبع عشرة ذراعا(١) • تنتظم الحيـاة الزراعية وما يتبع ذلك من ازدهار لباقى النواحى ، فمصر منذ ذلك العهد وحتى اليوم تعتمد أساسـا على الزراعـة ، بل أن منتجاتهـا المصنعـة ، وهى المنسـوجات ، هى أنجح الصـناعات فى مصر الاسـلامية ، تقوم على محاصيل زراعية ، وحتى اليوم تقوم أساسا الصناعات الناجحة ، على هـذه المحاصـيل كالكتان والقطن والصـوف من الحيوانات المرباة على تلك المحاصيل الزراعية ، وحتى الصباغة اللازمة لهذه المنسوجات كانت تعتمد فى ذلك الوقت على زراعة محصول « النيلة » •

فاذا فاض النيـل وعمت مياهـه جميع الأرض أزدهرت الحيـاة الاقتصادية ، وتمكن المصريون من دفع ما عليهم من التزامات ، من جزيـة أو خراج ، أو ضرائب أخرى أما اذا حدث عكس هـذا ساءت الأحوال الاقتصادية وبالتالى تسوء الأحوال المـالية المرتبطة بالنيل •

**الارتباط بين منسوب النيل والجباية :**

للارتباط الوثيق بين فيضـان نهر النيل والحياة الاقتصادية يمكن أن نتابع حالة فيضـان نهر النيـل فى كل سـنة منذ الفتح العربى ، ونستطيع منها أن نتابع حالة الجباية ، ففى كفاية الميـاه أو قلتها تكون كفاية الجباية أو قصـورها •

وسنعتمد فى ذلك على قـوائم الفيضـان الهامة التى أوردهـا أبو المحاسن فى كتابة النجوم الزاهرة ففى هـذه الفترة التى نتناولها من سـنة ٢٠ ـ ٣٥٨ هـ / ٦٤٠ ـ ٩٦٨ م (٢) كانت السـنوات التى أوفى فيهـا نهر النيل وكانت كميـة المياه اللازمة لرى البلاد متوفرة ،

---

(١) المسـعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٦٣ ، ابن الكنـدى : فضائل مصر ص ٦٠ •

(٢) اعتمدنا فى ذلك على القوائم التى أوردها أبو المحاسـن فى كتابـه النجوم الزاهرة •

بلغ عدد هـذه السـنوات مائتين وأربعين سـنة وتراوح منسـوب ميـاه الفيضان فيها من ست عشرة ذراعا الى ثمانى عشرة ذراعا .

والسـنوات التى كان فيها فيضان النيـل مرتفعا عن ثمانى عشرة ذراعا ، بلغت سبعا وعشرين سنة .

وتقاصر النيل فى هـذه الفترة عن الوفـاء ، احدى وتسعين سنة ، كانت نسبة مياه الفيضان اقل من ست عشرة ذراعا .

وفى خـلال الفترة من الفتح العربى ٢٠ هـ / ٦٤٠ م الى نهايـة الأمويين فى مصر ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م .

تقاصر النيل فى هـذه الفترة عن ست عشرة ذراعا ، ثلاثا وعشرين مرة ، وزاد عن ثمانى عشرة ذراعا خمس عشرة مرة وأوفى فى السنوات الباقيـة .

وفى العصر العبـاسى من سـنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م الى سـنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م تقاصر فيضان النيل عن ست عشر ذراعا ثمانيا وسـتين مرة ، وزاد عن ثمـانى عشرة ذراعـا ، اثنتى عشرة مرة . بمـا فى ذلك فترة الطولونيين والاخشيديين ) .

وفى عصر الطولونيين من ٢٥٤ ـ ٢٩٢هـ/٨٦٨ ـ ٩٠٤م .

أوفى النيل سـتا وثلاثين سـنة .

وتقاصر خمس سـنوات فقط .

ولم يزد عن ثمانى عشرة ذراعا خلال هـذه الفترة .

وفى عصر الأخشيديين من ٣٢٣ ـ ٣٥٨ هـ / ٩٣٤ ـ ٩٦٨ م .

أوفى النيل احدى وعشرين سنة .

وتقاصر احـدى عشرة سنة .

وبدأت جباية الخراج والجزية منذ عهد عمرو بن العاص فبلغت فى عهـده اثنى عشر ألف ألف دينـار ، وهو أول من جبى خراجهـا فى الاسـلام(٣) .

---

(٣) ابن عبد الحـكم : فتوح مصر ص ١٦١ ، وابن الكنـدى فضائل مصر ص ٥٤ ـ ٥٥ .

وقد كانت حالة فيضان نهر النيل فى عهده ، فى ولايته الأولى على مصر من ٢٠ – ٢٥ هـ / ٦٤٠ – ٦٤٥ م ، وفى ولايته الثانية ٣٨ – ٤٢ هـ / ٦٥٨ – ٧٦١ م . بلغت حالة الفيضان فيها جميعا حد الوفاء ، وهو ست عشرة ذراعا ، وبلغت الحد الأمثل المطلوب وهو سبع عشرة ذراعا ، أربع مرات ، وزاد الفيضان عن ثمانى عشرة ذراعا ، ثلاث مرات ، وذلك حوالى العشر سنوات التى قضاها فى الولاية على مصر .

كما كان عمرو بن العاص أول الولاة الذين اهتموا بأحوال النهر . وبالرى ، وهو الذى حفر خليج أمير المؤمنين ، وهو الذى عقد مع المقوقس الصلح الذى نظم طرق الجباية وكميتها ووضح من نص هذا الصلح ارتباطا فيضان نهر النيل الوثيق بالنظم المالية . وهو الصلح الذى أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر الذى نص على ما يأتى « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم(٤) لا يدخل عليهم شىء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوب وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم ، خمسين ألف ألف ، وعليهم ما جنى لصوتهم فان أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم الجزاء بقدرهم ، وذمتنا ممن أبى برئية ، وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك .. عليهم ما عليهم أثلاثا فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم »(٥) .

ومعنى ذلك أن قيمة الجزية(٦) كانت تتوقف على مقدار ارتفاع

---

(٤) يقصد ببرهم أراضيهم الزراعية ، ويقصد ببحرهم نهر النيل ، يقول المسعودى « وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره » مروج الذهب جـ ١ ص ٢٥٦ طبعة كتاب التحرير .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ١٠٩ .

(٦) المقصود بالجزية الذى ورد فى الصلح أنه يعنى الجزيه والخراج معا أى جزية الروءوس والضريبة العقارية ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٨ .

أو انخفاض مـاء النيل(٧) فى كل عـام ، كما أنها تدفع على ثلاثـة أقساط فى السنة ٠

وهكذا من أحوال الفيضان ومن نشـاط عمرو بن العاص وعنايته بالبلاد ، لاغرو اذن أن يجبى خراج مصر اثنى عشر ألف ألف دينـار كما يذكر ابن عبد الحكم(٨) وذلك بعد أن تم الاتفاق على فرض دينارين على جميع القبط ما عـدا الشيوخ والأطفال والنساء ، وقد تم احصاء القبط فبلغ عددهم « أكثر من ستة الآف ألف نفس » ٠

ومع هـذا الخراج العظيم الذى جمعـه عمرو بن العـاص الا أن الخليفة عمر بن الخطاب كتب اليه « أن يسأل المقوقس عن مصر من أين تأتى عمارتها وخرابهـا ، فسأله عمرو فقـال له المقوقس ، تأتى عمارتها وخرابها من وجوه خمسة ، أن يستخرج خراجها فى ابـان واحد عند فراغ أهلهـا من عصر كرومهم ، تحفر فى كل سـنة خلجهـا ، وتسد ترعها وجسورها ، ولا يقبل محل أهلها ، يزيد البغى ، فـاذا فعل هـذا عمرت مصر ، وان عمل فيها بخلافه خربت»(٩) ٠

والحقيقة انه عندما أتبع الولاة هذه النصائح ، عمرت البلاد وازداد خراجهـا ، الا أن هذه النصـائح لم تتبع ويرجع ذلك الى كثرة تغيير الولاة ، وخاصة فى العصر العباسى ٠ كما أدت الفتن التى أعقبت مقتل الخليفـة عثمان بن عفـان ، الى اهمال الاصلاحـات وكثرة الفتن وتغير الولاة ٠

كما أدت رغبة الخلفاء فى الحصول على أكبر قدر من المال ، دون النظر الى أحوال الولاية الى عدم تنفيذ تلك النصائح وبالتـالى عدم عمـارة البـلاد ٠

---

(٧) فى مصر ارتبط تقدير الضريبة بصفة أساسـية بحالة النيل فى كل عام ولذا وجب الاهتمام بمقاييس النيل كان ذلك قبل الفتح العربى واستمر بعد الفتح العربى مع اجراء تعديل جوهرى فى أطوال المقاييس محمد أمين صالح : النظم المـالية فى مصر والشام فى صـدر الاسـلام ص ١٣٦ ، القاهرة ١٩٧١ م ٠

(٨) فتوح مصر وأخبارها ص ١٦١ ٠

(٩) نفس المصـدر ص ١٦١ ، ابن الكنـدى : فضـائل مصر ص ٥٧ ، بتلر فتح العرب لمصر ص ٣٩٦ ٠

ويعلل ذلك المقريزى(١٠) بقوله « لأن الملوك ( يقصـد الولاة والحكام ) لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق من كلف عمـارة الأرض ، فانها تحتـاج أن ينفق عليها ما بين ربع متحصـلاتها الى ثلثه » والواقع ان هذا التعليل قاصر ، لأنه يشمل ناحية أو سببا واحدا فقط ، وهو الانفـاق ، ولم يتعداها الى تعليل السبب الحقيقى لقلة الانفـاق على عمارة البلاد ٠

على أى حال فبرغم الجباية التى جباها عمرو بن العاص الا أن الخليفة عمر بن الخطـاب أرسل اليه يستحثه على تحصيل كمية أكبر من الخراج وان الخراج كان فى عهد الفراعنـة أكثر منه فى عهد عمرو ، فقد رد عليه عمرو بن العاص بقوله « ولعمرى للخراج يومئذ أوفر وأكثر والأرض أعمر لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب فى عمـارة أرضهم منا منذ كان الاسـلام ، وذكر أن النهر يخرج الدر فحلبتها حلبا ، فقطع ذلك درها »(١١) وعلى أية حال فبعد أن تم الفتح العربى لمصر أستقرت الأمور لعمرو بن العاص ، فقد وجد نظـام الجباية ، كما خلفه الرومان فأقر القبط على هذا النظام ٠ وكان هـذا النظام ، يتم ربطـه حسب أحـوال القرى ، فـاذا عمرت وزاد سـكانها زيد عليهم ، وان خربت ونقص سكانها انقص ما عليها من خراج٠ وكان كبار رجال القرية ورئيس القرية يجتمعون ويدرسـون أحـوال قراهم ثم يتم وضـع النظام الذى تقسم على أساسه جباية القرية وزراعتها(١٢) ، ثم تجمع أموال القرى فى عواصم الكور(١٣) ٠ وبذلك تنتظم البلاد كلها ، على نظام كامل

---

(١٠) المقريزى الخطط ج ١ ص ٥٨ ٠

(١١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ١٥٩ ٠

(١٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ، المقريزى : الخطط ج ١ ص ٧٦ والسـيوطى : حسـن المحـاضرة ج ١ ص ٧١ ، محمد أمين صالح : النظم الاقتصادية فى مصر والشام ص ١٣٩ ٠

(١٣) الكورة : كانت الوحـدة الادارية السياسية قائمة فى عصر البطالمـة فالرومان على Nome وهى كلمة يونانية أطلقت للدلالة على الكلمـة المصريـة هسبو Hospo ومعناها القسـم ، وليس لهـذه الوحة من مشابه فى عصرنا الحـاضر لأنها تدل على وحدة ادارية أصغر من المحافظة وأكبر من مساحـة المركز ، وينقسـم النوم الى عدة قرى يطلقون على الوحدة منها كلمـة كوما Coma وكان يشرف على ادارة النوم حاكم يعرف بالنومارك يجمع الضرائب ويشرف على الادارة العامة =

لتوزيع الأراضى لزراعتها وعلى توزيع الخراج والجزية(١٤) .

وهكذا وضع عمرو بن العاص نظام الجباية الذى سارت عليه البلاد بعد ذلك . وكان يبعث بالمتحصل الى مقر الخلافة بعد حبس ما كان يحتاج اليه من انفاق(١٥) . وكانت مصر تحتاج لحفر خلجاتها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها ، مائة ألف وعشرين ألف معهم الطور والمساحى والأداة ، يتعقبون ذلك ، لا يدعون ذلك صيفا أو شتاءا(١٦) .

وفى ولاية عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، الذى ولاه عثمان بن عفان بعد عزل عمرو بن العاص من ولاية مصر سنة ٢٥ هـ / ٦٤٥ م بلغ خراج مصر أربعة عشر ألف دينار ، وهذا ما جعل الخليفة عثمان بن عفان يقول لعمرو بن العاص « درت اللقحة ، فقال عمرو وأضررتم بالفصيل فأدبرت يومئذ »(١٧) .

---

=
ولما جاء العرب أطلقوا كلمة كورة على النوم ، وكانت الكور تكبر وتصغر بحسب ظروف الزمان والمكان وتفاوت الحضارة والعمران ، وكانت مصر مقسمة الى تمانين كورة فى فترة عصر الولاة محمد رمزى : القاموس الجغرافى ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(١٤) هذا النظام فى توزيع الضرائب مأخوذ من الدولة البيزنطية اذ كان يعهد لأعضاء البلديات بتقدير ما تدفعه كل من القرى الواقعة فى محيط بلدهم وأخيرا يقوم موظفوا القرية بتقدير المبلغ الذى يخص كل وحدة ضريبية فى نواحيهم ، والفرق انه فى العهد البيزنطى كان جملة الضريبة يحددها الامبراطور فيما يعرف بالتفويض الالهى الذى يوزع على الولايات ثم يوزعها حكام الولاية الى أعضاء البلديات ، اما فى العهد العربى فكان تقدير الضريبة يبدأ من القاعدة ويتجمع منتهاه الى الوالى أو عامل الخراج ، محمد أمين صالح . النظام الاقتصادى فى مصر والشام ص ١٣٩ هامش ٢ .

(١٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٥١ .

(١٦) نفس المصدر : ص ١٥١ والطور والمساحى والاداة أدوات تستخدم فى اقامة الجسور والطرق ومازالوا فى الصعيد يطلقون اسم الطور على الفوءوس ، ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(١٧) ابن الكندى : المصدر السابق ص ٥٤ ـ ٥٥ ، المقريزى الخطط جـ ١ ص ٩٧ .

والحقيقة أن هذه الزيادة فى الجباية فى عصر عبد الله بن أبى سرح ترجع الى أنه أفاد من الاصلاحات التى قام بها عمرو بن العاص فى مصر مدة ولايته ، والتى أثمرت فى ولايته ( أى ابن أبى سرح ) .

كما أن حالة الفيضان فى عهدة ساعدت على قيام زراعة تحقق انتاجا يفى بالخراج والجزية ، ففى خلال السنوات التى ولى فيها مصر من ٢٥ هـ ـ ٣٥ هـ / ٦٤٥ م ـ ٦٥٥ م . كانت حالة الفيضان كالآتى :

لم تتقاصر مياه الفيضان فى عهده الا ثلاث مرات هى سنوات ٣٠هـ/٦٥٠م ، ٣١هـ/٦٥١م ، ٣٣هـ/٦٥٣م .

ولم يزد منسوب المياه عن الحد الأعلى ( حد الاغراق ) الا مرة واحدة هى سنة ٢٨ هـ / ٦٤٨ م . وأوفى النيل فى باقى سنوات ولايته .

وبذلك كانت معظم السنوات التى تولى فيها ولاية مصر مستقرة ، مما ساعد على انتظام الحياة الاقتصادية فى عهده وبالتالى تحقيق الرقم الذى حققه فى جباية الخراج فى ولايته وهو أربعة عشر ألف ألف دينار(١٨) .

وبالاضافة الى ما ذكرنا ومما ساعد على هذه الجباية الكبيرة فيما يبدو أن عبد الله بن أبى سرح لم يهتم بالانفاق على شئون البلاد والرى بصفة خاصة ، ولم يعطها العناية الواجبة ، مما جعل جباية الخراج بعد ذلك لا تحقق الرقم الذى وصلت اليه فى عهده .

ثم توالى ، الولاة على حكم مصر بعد ذلك ، ولكنها لم تحقق ما حققته من جباية فى عهد عمرو بن العاص ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، ويرجع ذلك الى وقوع البلاد فى أتون الفتن التى طحنت الخلافة الاسلامية ، فلم يستقر معه الولاة فى حكمها من ناحية ، وأدى ذلك الى عدم العناية بنواحى الرى وشئون البلاد من ناحية أخرى .

---

(١٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة من سنة ٢٥ الى سنة ٣٢ هـ. ابن الكندى : المصدر السابق ص ٥٤ ـ ٥٥ المقريزى : الخطط ج ١ ص ٩٧ .

هذا الى أن النيل لم يتقاصر خلال فترة الاضطرابات هذه الأمرتين هى سنة ٥٢ هـ / ٦٧٢ م وسنة ٥٨ هـ / ٦٧٧ م فى ولاية مسلمة بن مخلد ٤٨ ـ ٦٢ هـ / ٦٦٨ ـ ٦٨١ م حيث بلغ فى السنة الأولى ثلاث عشرة ذراعا وعشرين أصبعا وفى السنة الثانية خمس عشرة ذراعا واحدى عشرة أصبعا(١٩) .

واستقرت أحوال مصر باستقرار أحوال الخلافة ، فتولى أمرها عبد العزيز بن مروان سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م الى سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م(٢٠) وانتظمت أحوال الولاية وعاد اليها الاستقرار بل انها أصبحت تمثل ولاية لها قدر كبير من الاستقلال .

وساعد استقرار النيل على استقرار أحوالها الاقتصادية فكانت حالة فيضان النيل فى عهده على الوجه التالى :

سنوات أوفى فيها النيل احدى عشرة مرة هى السنوات :

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥هـ .

سنوات لم يصل فيضان النيل فيها الى حد الوفاء وهى تسع سنوات :

٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٣ هـ .

سنوات زاد فيها فيضان النيل عن ثمانى عشرة ذراعا وهى سنة واحد :

سنة ٧٩ هـ(٢١) .

ولسياسة عبد العزيز بن مروان ، وباستقرار أحوال الفيضان فى عهده الى حد ما ، ويتخلص البلاد من الفتن ومن كثرة تغيير الولاة ، استطاع عبد العزيز أن يستثمر ذلك وأن يكون ولاية تكاد تكون مستقلة عن الخلافة ، وذلك لاهتمامه بأحوالها فقد أنشأ حلوان ومقياسا للنيل بها(٢٢)وأهتم بغرس الحدائق وغيرها مما يتصل

---

(١٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة السنوات من ٣٥ هـ ـ ٦٥ هـ
(٢٠) الكندى : الولاة والقضاة ص ٥٠ ـ ٥٩ .
(٢١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة السنوات ٦٥ ـ ٨٦ .
(٢٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ١٦ .

باعمـــال انشـاء القنــاطر ( أنشـأ قنطرة بالحمراء القصـــوى ) فى سنة ٦٩ هـ - ٦٨٨ م(٢٣) والقياسر والحمامات وغيرها .

ثم أعقب عبد العزيز بن مروان فى ولاية مصر ،عبد الله بن عبد الملك ٨٦ - ٩٠ هـ - ٧٠٥ م - ٧٠٨ م . وقد حدث فى عهده أول غـلاء وشدة فى مصر منذ الفتح العربى وذلك سنة ٨٨ هـ - ٧٠٦ م ويقول الكندى فى ذلك(٢٤) « فى ولايته غلت الأسـعار ، ونزعت فتشاءم به المصريون وهى أول شدة رأوها وزعموا أنه ارتشى » .

ولو تتبعنا حالة فيضان نهر النيل فى عهده نرى أن النيل تقاصر فى أول سنة من ولايته وهى سنة ٨٦ هـ فبلغ منسـوبه ثلاث عشرة ذراعـا وثمانى أصبعا ، ثم بلغ الوفـاء فى سنوات حكمه الباقية(٢٥) .

ولكن يبدو أن عبد الله بن عبد الملك قد أهمل نواحى الرى ولم يقم بشئونها ، مما جعل البلاد تتعرض للغـلاء والشدة ، فلم يتقاصر فيضان النيل فى عهده الا السـنة الأولى فقط التى نقص فيها الفيضان ثلاث أذرع عن حد الوفـاء ويعتبر هـذا نقصـا كبيرا ، ولكى الثـلاث سـنوات الأخرى ، كان النيل فيها وافيا .

وهكذا من الممكن أن نتتبع حـالة الفيضـان ، ونخلص منهـا الى معرفة الحالة الاقتصـادية للبلاد ، وتأثير فيضـان نهر النيل عليهـا ولو تتبعنا حالة الغـلاء والشدة التى أوردتها المراجع العربية(٢٦) نرى ارتباطا وثيقا بينها وبين فيضـان نهر النيل بفيضة وغيضة فمثلا حدث

---

(٢٣) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١١٣ ، ابن دقماق : الانتصار جـ ٤ ص ١٢٠ ، على حسنى الخربوطلى : مصر العربيـة الاسـلامية ص ٤٥ ، القاهرة ١٩٦٣ .

(٢٤) الولاة والقضاة ص ٥٩ وقد هجـا الشـاعر ابن أبى زمزمة عبد الله ابن عبد الملك بشعر فقال

اذا صـار عبد الله بمصر خارجا . فلا رجعت تلك البغال الخوارج
أتى مصر والمكيـال واف مغربل . فما سار حتى سـار والمد فالج

(٢٥) الكندى : الولاة والقضاة ص ٥٩ .

(٢٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة السنوات ٨٦ - ٩٠ .

غلاء أيام عبد الله بن سعد(٢٧) وكانت حالة الفيضان التى سجلها المقياس منخفضة فلم يصل منسوب مياه الفيضان فى تلك السنة ٢٣ هـ - ٦٤٥ م الا ست عشرة ذراعا وست أصابع وهو منسوب أقل من العام الذى سبقه ومن العام اللاحق . ولم يصل إلى الحد الأمثل للرى وهو سبع عشرة ذراعا(٢٨) .

وفى عهد عبد العزيز بن مروان لم يوف النيل سنة ٧٦ هـ ، ٧٧ هـ ٦٩٥ م ، ٦٩٦ م ، فكان الوباء الذى أعقبه الغلاء سنة ٧٨ هـ - ٦٩٧ م وفى سنة ٨٦ هـ - ٧٠٥ م وهى السنة التى توفى فيها عبد العزيز بن مروان أثر تفشى وباء الطاعون(٢٩) ، فكان فيضان النيل متقاصرا فلم يبلغ منسوب الفيضان الا ثلاث عشرة ذراعا وثمانى عشرة أصبعا فى تلك السنة .

وكذلك كان الغلاء فى ولاية عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ ٧٠٦ م وذلك لتقاصر النيل فى بداية ولايته سنة ٨٦ هـ - ٧٠٥م فبلغ ثلاث عشرة ذراعا وثمانى عشرة أصبعا ، ولم يبلغ الحد اللازم لرى البلاد وهو سبع عشرة ذراعا خلال السنوات الباقية من عهده(٣٠) .

وفى سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م وقع وباء شديد فى عهد محمد بن عبد الملك مما أرغمه على الفرار الى الصعيد(٣١) ، وذلك عقب نقص الفيضان فى السنة السابقة على الوباء سنة ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م حيث بلغ منسوب الفيضان خمس عشرة ذراعا واحدى وعشرين أصبعا ولم يبلغ حد الوفاء .

---

(٢٧) الكندى : الولاة والقضاة ، أبو المحاسن النعوم الزاهرة ، والمقريزى أغاثة الأمة والخطط ، والسيوطى وحسن المحاضرة ، وساويرس بن المقفع سير القديس البطاركة .

(٢٨) ساويرس ابن المقفع : سير الآباء البطاركة ص ١٠٣ . ٧ ـ المسعودى تروج الذهب جـ ١ ص ١٦٣ .

(٢٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٠٩ ، والسيوطى: حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٦٥ - ١٦٦ والخلفاء ص ٣٢٠ .

(٣٠) الكندى : الولاة والقضاة ض ٥٩ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢١٠ - ٢١١ .

(٣١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٧٢ .

وفى سنة ١٠٨ هـ / ٧٢٦ م وصل منسوب الفيضان الى خمس عشرة ذراعا وأربع أصابع فاستسقى حفص بن الوليد بالناس(٣٢) ٠

ووقع كذلك وبـاء وغلاء فى ولاية أبى عون عبد الملك بن يزيد فى سـنة ١٣٣هـ/٧٥١م(٣٣) وذلك بسبب بلوغ الفيضان حدا عاليا فـاق الحد اللازم للرى مما استتبع غرق كثير من البلاد وبلغ منسـوب ميـاه الفيضان فى تلك السنة ثمانى عشرة ذراعا وتسع أصابع ٠

ثم تقاصر النيل فى أيام الأخشيدين السنوات :

٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م ، ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م ، ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م ٠ ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م ٠

مما سبب الغلاء وسوء الحالة الاقتصادية ٠

ويذكر المؤرخون(٣٢) صراحة أن من أسـباب هذا الغلاء أن النيل نقصت مياهه ، فارتفعت الأسعار وأصبحت السـلعة التى كانت تبـاع بدينـار واحد أصبحت بثلاثة دنـانير ، ونقص الخبز ، ثم زاد الغـلاء فى هذه السنوات ، حتى بلغ القمح كل ويبتين بدينار ، كثرت الفتن ، ونهبت الضياع والغلات ، وماج الناس فى مصر بسبب السعر(٣٥) ٠

وهكذا يتضح مدى تأثير حالة فيضان نهـر النيل على حالة البلاد الاقتصادية ، وبالتالى ينعكس هذا على النظم المالية وقدرة الناس على الوفاء بما عليهم من خراج وجزية وأنواع الضرائب الأخرى ٠

وعلى أية حال فلم يكن بلوغ فيضان نهر النيل حد الوفـاء وهو ست عشرة ذراعا كافيا وخاصـة فى نهـاية فترتنا هـذه ٠ لرى كافة الأراضى ٠

فلما بدأت البلاد تحتاج الى منسوب أكثر من ست عشرة ذراعـا لريها فى نهايـة عصرنا ٠ وكذلك كثر تغير الولاة وكثرت الاضطرابـات أدى ذلك الى قلة العناية بالنهر وضبطه وكرى نراعه واقامة جسوره ،

---

(٣٢) الكندى : نفس المصـدر ص ٨٢ ٠

(٣٣) الكندى : نفس المصـدر ص ١٠١ ٠

(٣٤) النجوم : الزاهرة جـ ٣ ، والمقريزى ، اغاثة الأمة بكشف الغمـة ٠

(٣٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٣٢٦ ٠

مما جعل جباية الخراج تقل حتى « جبيت فى أيام بنى أمية وبنى العباس دون الثلاثة آلاف ألف دينار ، غير ولاية أمير المؤمنين هشام فانه جباها ابن الحبحاب أربعة آلاف ألف دينار وولاية ابن طولون ، فانهم بالغوا فى عمارتها فجباها أبو الجبش خمارويه أربعة آلاف ألف دينار »(٣٦) ٠

يتضح مما سبق أن انخفاض الخراج يرجع الى عدة أسباب :

ـ اضطرابات فيضان النهر فى بعض الأحيان ٠

ـ اضطراب أحوال البلاد وقلة استقرار الولاة مما جعلهم يهملون العناية بمشروعات الرى(٣٧) ٠

ـ ويقول المقريزى(٣٨)« وانحط خراج مصر بعدهما ( يعنى عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى سرح )لنمو الفساد مع الزمان وسريان الخراب فى أكثر الأرض ووقوع الحروب » ٠

ـ كما يذكر المقريزى(٣٩) سببا آخر « لأن الملوك ( يقصد الولاة والحكام ) لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق من كلف عمارة الأرض ، فانها تحتاج أن ينفق عليها ما بين ربع متحصلاتها الى ثلثه » ٠

ـ ونضيف الى الأسباب السابقة ، سببا آخر وهو نمو الحركة الاسلامية الصاعدة والتحول الى الاسلام(٤٠) ويتضح ذلك من مراسلات عمر بن عبد العزيز مع حيان بن شريح والتى طلب فيها عمر بن عبد العزيز وضع الجزية عمن أسلم وكان رد حيان عليه بأن الاسلام قد أضر بالجزية ، فأمره عمر بن عبد العزيز بوضع الجزية عن من أسلم ، فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا »(٤١) ٠

---

(٣٦) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٥٤ ـ ٥٥ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٩٧ ٠
(٣٧) على حسنى الخربوطلى : مصر العربية الاسلامية ص ٤٥ ٠
(٣٨) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٩٧ ٠
(٣٩) نفس المصدر ص ٩٨ ٠
(٤٠) على حسنى الخربوطلى : مصر العربية الاسلامية ص ٦٥ ٠
(٤١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧٨ ٠

ـ أضف الى ذلك جشع بعض الخلفاء فى طلب الأموال فلما « ولى الخراج أسامة بن زيد لأمير المؤمنين سليمان ، فكتب اليه أن أحلب الدر حتى ينقطع ، وأحلب الدم حتى ينصرم » وأسامة هذا هو الذى بنى مقياسا للنيل بالروضة سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م وقيل انه كسر فيه الف أوقية(٤٢) .

## موقف الولاة من جباية الخراج :

عند وصول مياة الفيضان الى ست عشرة ذراعا وجب تحصيل الخراج كاملا وفى ذلك يقول المسعودى(٤٣) « فاذا انتهت الزيادة الى ست عشرة ذراعا ففيه تمام الخراج وخصب للأرض وريع للبلد عام » .

وعند هذا الحد يبدأ الولاة فى جباية الخراج والجزية حتى يستطيعوا الوفاء بما عليهم تجاه الخلافة من ناحية وتجاه ولايتهم من ناحية أخرى .

وكان الولاة يتشددون فى جمع الخراج ، ويحرصون على أن يكون تحصيل ذلك كاملا . ومن ضمن النصائح التى قدمها المقوقس لعمرو بن العاص عندما سأله عن عمارة مصر ، أن يستخرج خراجها فى وقت واحد ، وأن يرفع هذا الخراج فى وقت واحد أيضا وان لايقبل مماطلة أهلها(٤٤) .

لذلك حرص الولاة ابتداء من عمرو بن العاص وعبد الله بن ابى سعد ، على تحصيل الجباية فى موعدها .

ومن الأمثلة على حرص الولاة على تحصيل الجباية كاملة ، ما أوضحته أوراق البردى عن حرص الوالى قرة بن شريك الذى ولى مصر ٩٠ ـ ٩٥ هـ / ٧٠٨ ـ ٧١٣ م .

ففى بردية يرجع تاريخها الى سنة ٩٠ ـ ٩١ هـ ( ٧٠٨ ـ ٧١٠ م ) نجد الوالى قرة بن شريك يرسل متشددا فى طلب الخراج فيقول« فاذا

---

(٤٢) المقريزى : نفس المرجع جـ ١ ص ٥٨ ، ابن الكندى ، فضائل مصر ص ٥٥ ـ ٥٦ .

(٤٣) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٦٣ .

(٤٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦١ ، ابن الكندى : فضائل مصر ص ٥٧ .

ويتلر : فتح العرب لمصر ص ٣٩٦ .

جاك كتابى هـذا فخذ فى جمع المـال ، فان أهل الأرض قد حموا منذ أشهر ، ثم عجـل الى بما اجتمـع عندك من المـال بالأول فالأول ، ولا أعرفنـك ما حسبتنا بما قبلك ، فان أهـل الأرض قد فرغـوا من الحرثة ، وعلموا ما عليهم وصلحت أقراطهم لبيع ما زادوا منها »(٤٥).

وفى بردية أخرى مؤرخة ٩١ هـ / ٧١٠ م ، نجد قرة بن شريك يرسل الى عاملة مهددا لتقصيره فى أداء واجباته وخاصـة فى جمع أموال الخراج التى ، ورد ذكرها فى البداية بكلمـة « أبواب » ويعطيه تعليمات بالحضور الى دار الامارة ومعه أوراقه « ثم أقدم على بكل كتـاب ترى أنى سائل عنه من عمل أرضك »(٤٦) .

وفى بردية أخرى من نفس الفترة ٩٠ ـ ٩١ هـ / ٧٠٨ ـ ٧١٠ م يشير الكاتب المرسـل الى أقساط الجزية التى لم تكن قد تجوز عنهـا لبيت المـال الرئيسى ، وفى هذه البردية يطلب قرة من عامله ألا برسل مستقبلا ، الا نقودا كاملة الوزن ، ويمنحه العفو عن تقصيره الأخير فى الدفع ، وينذره بأشـد العقوبة ، حيث حان الأجل منذ شهرين ( فى دفع الخراج ) ويخبره أن ذلك قد بلغه وأهل كورته « قد كتبت اليك قبل كتـابى هـذا آمرك أن تعجل الينـا بما قد جمعت من جزيـة كورتك »(٤٧) .

كما نلاحظ من أوراق البردى العديد من أوامر الدفع التى أرسـلها الوالى قرة بن شريك(٤٨) .

وهكذا نرى ان الولاة ـ ويمثلهما أصـدق تمثيل قرة بن شريك ، حيث عثرنا على برديـات من عصره كانوا يحرصـون على تحصـيل الخراج والجزية فى موعدها دون مماطلة ، مادام النيل قد وصل فيضانه الى الحد الذى يجب عنده دفع الخراج .

ولاشك أن معظم الولاة قد حرصوا على جباية الخراج ولولا ذلك لـما استطاع عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبى سرح من تحصيل مبالغ الخراج التى جبيت فى عهدهما .

---

(٤٥) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ ٣ ص ١٢ لوحة رقم١ طراز رقم ٣٣٨ .

(٤٦) جروهمان : نفس المصدر جـ ٣ ص٣ ـ ٥ الطراز رقم٣٤١ .

(٤٧) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ ٣ ص ١٤ ـ ١٦ طراز رقم ٤٣٢ .

(٤٨) جروهمان : نفس المصدر جـ ٣ ص ٤٨ ـ ٥٦ .

على أية حــال فقد كان من مصلحة أهـــل الكورة ، ان يدفعوا ضرائبهم عن رغبـــة ولا يتركونهم حتى يصبح من العســـير أن يدفعوا ما عليهم مرة واحدة(٤٩) ٠

كما كان أصحاب الكور فى انحـاء مصر يتصلون بعامـل الخراج وبالوالى لتأدية الضرائب الواجبـة على الكور الخاضعة لاشرافهم وعلى القرى التابعة لها تحت اشراف رؤساء لقرى وذوى النفوذ فيهـا ويتضح ذلك من احدى البرديات التى تبين أن الوالى قرة بن شريك أرســـل الى صاحب كورة اشقوه تعليمات خاصـة بجباية الضرائب(٥٠) ، ويامره بجمع رؤساء كل قرية وذوى النفوذ فيها كى يختاروا رجالا أمنـاء أذكياء ليكلفهم بتقدير ما على كل قرية ٠ من الضرائب بقدر استطاعتهم ، وبعد الانتهاء منمه متهم يقدمون نتيجة عملهم ، ويكتبون أسـماء والقـاب الانتهـاء من متهم يقدمون نتيجـة عملهم ، ويكتبون أسـماء والقاب قرية حملت أكثر مما تحتمل من الضرائب أو أقل فانه سيعاقب هـؤلاء الذين قاموا بتقدير الضرائب وصاحب الكورة أيضـا أشد العقاب(٥١)٠

ويقول الكندى فى رواية عن يحيى بن عثمان البكرى « دخلت الى مصر ( يعنى يحيى ) وأنـا مقل فزرعت زرعا ، فانكسر على ( تراكم ) خراجـه بأنه لحققنى آفـــة فيه ، وطولبت بذلك الخراج ، وتشـدد على فيه »(٥٢) ٠

وهكذا نلاحظ أن الولاة ، كانوا يتشدون ويحرصـون على جباية الخراج والجزية ، حتى يتمكنوا من القيام بأعباء الولاية وعمارتها ٠ بالاضافة الى مطالب الخلافة وأعبائها ٠

وبلاشك فان ذلك مرتبط بحالة فيضان نهر النيل ، كما بينا ففى تمام الفيضان تمام للجباية وتحقيق الجباية اللازمة ٠

---

(٤٩) جروهمان : أوراق البردى جـ ٣ ص ١٤ ٠
(٥٠) نفس المرجع جـ ٣ ص ٣ ـ ٥ ، ١٤ ـ ١٦ ، ٤٨ ـ ٥٦ ٠
(٥١) ســيدة كاشــف : مصر فى عصر الـولاة ص ٤٣ ـ ٤٤ ، محمد أمين صالح : النظم الاقتصادية فى مصر ص ١٣٨ ٠
(٥٢) الكندى : الولاة والقضاة ص ٤١٦ ٠

## الأرض التى تبور والتى تزرع :

وكان الخراج يجبى على أساس السنة الشمسية وهو النظـام الذى سارت عليه الزراعة فى مصر منذ عهد الفراعنة فاذا مضى من الزمـان ثلاثون حولوا السنة(٥٣) وراكوا البـلاد كلها وعدلوها تعديلا جديدا فزيد فيما يحتمل الزيادة ، من غير ضمان البلاد ونقص فيما يحتـاج الى التنقيص .

وقد عمـل روك للأرض ( أى اعـادة مساحتها ) فى هذا العصر الذى ندرسـه مرتين ، ريئسيتين وان كانت هنـاك بعض المظـاهر لروك الأرض مرات أخرى .

الأولى فى خلافة هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى وولاية الوليد ابـن رفاعـة الفهمى عـلى مصـر ١٠٩ – ١١٧هـ/٧٢٧ – ٧٣٥م . وعامل الخراج عبد الله بن الحبحاب . وكانت مساحة البلاد كلها ثلاثة ملايين فـدان تقريبا وكان ذلك سنة ١١٠ هـ / ٧٢٩ م(٥٤) .

---

(٥٣) تحويل السـنة معناه تحويل السـنين القمرية الى شمسـية فاذا جمع الخراج على حسب السنين القمرية فكأننا نجمع الخـراج فى مدى ٣٢ سنة شمسية ثلاثة وثلاثين مرة وهـذا ضد طبيعة الأشـياء ، وعلى هذا يسقط لكل اثنتين وثلاثين سنة قمرية سـنة ، وسـمى ذلك الازدلاق ، لأن كل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنين وثلاثون سنة شمسية بالتقريب ( خطط المقريزى ج ١ ص ٢٧٣ ) . ولكن يبدو أن ما ذكره المقريزى حول روك البلاد كل ثلاثين سنة لم ينفذ .

(٥٤) ابن عبد الحـكم : فتـوح مصر ص ١٥٦ ، المقريـزى : الخطط ج ١ ص ٩٨ ولم يحدد ابن عبد الحكم من الذى راك البلاد عبد الملك بن رفاعـة أم أخوه الوليد والاثنـان توليـا مصر فقد ذكر « لمـا تولى ابن رفاعة مصر خرج ليحصى عدة أهلهـا وينظر فى تعديل الخراج عليهم ، فأقام فى ذلك ستة أشهر بالصعيد حتى بلغ أسـوان ومعـه جمـاعة من الأعـوان والكتـاب يكفونه ذلك بجد وتشـمير ، وثلاثة أشهر بأسفل الأرض ، فأحصـوا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية فلم يحص فيها فى أصغر قرية منها أقل من خمسمائة جمجمـة من الرجال الذين يفرض عليهم الجزية » فى حين أن المقريزى الذى ينقل عنه ذكر أن الوليد هو صاحب هذا الروك .

على أن الكندى(٥٥) يذكر أنه فى خلافة هارون الرشيد حرج أهل الحوف على الليث بن الفضل والى مصر فى سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م وذلك لأنه بعث بمساح يمسحون الأرض فانتقضوا من القصبة أصابع ، وربما لم يكن هذا روكا شاملا للأرض وانما قياس منطقة الزراعة فى الحوف فقط .

والثانية : فى خلافة المعتز بالله الخليفة العباسى ، وامارة أحمد بن طولون ، وعامل الخراج أحمد بن مدبر ، وكانت مساحة مصر حوالى مليونين ونصف مليون فدان تقريبا كما يفهم من أبو المحاسن(٥٦) والمقريزى(٥٧) وكان ذلك سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م .

ويذكر المقريزى أنه عثر على أوراق قديمة بخط ابن عيسى بقطرين شفا الكاتب القبطى متولى خراج مصر للدولة الاخشيدية تشتمل على ذكر كور مصر وقراها الى سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م ، يذكر فيها أن عدد قرى مصر بالصعيد وأسفل الأرض ٢٣٩٥ قرية بالصعيد ٩٥٦ قرية ، وبأسفل الأرض ١٤٣٩ قرية(٥٨) . وربما يعتبر هذا روكا ثالثا .

ولم نعلم الا هذا الرقم عن عدد قرى مصر وما ذكره ابن عبد الحكم(٥٩) من أن عددها عشرة آلاف قرية فى هذا العصر ، ويجرى الروك ( المساحة ) بين الفترة والأخرى لمعرفة الأراضى التى تبور والتى تزرع حتى يمكن تقدير الخراج الواجب عليها ..

كما كانت الأراضى الزراعية تمسح وتقدر . هذه المساحات بربط الخراج عليها ، ففى بردية ترجع الى القرن الثالث الهجرى ( التاسع الميلادي ) وتشمل تقرير مساح(٦٠) وانه كان هناك موظفون يعرفون باسم الأدلاء ، وكان لهؤلاء منطقة معينة للعمل ، ذات صلة بالمساحة ،

---

(٥٥) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٤٠ .

(٥٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٤٧ .

(٥٧) الخطط جـ ١ ص ٩٩ .

(٥٨) نفس المصدر والصفحة وذلك فى حكم أنوجورين الأخشيد ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م وياقوت؛ معجم البلدان جـ ٨ ص ٥٤٨ – ٥٤٩ .

(٥٩) فتوح مصر ص ١٥٦ على أن يلاحظ الحذر فى ذكر اعداد القرى .

(٦٠) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ ٤ ص ١٩١ لوحة ٢١ طراز رقم ٢٥٥ ، ص ١٩٥ طراز رقم ٢٨٤ .

فهم يقومون بكتابة سجلات أملاك الأراضى ، وتقدير قيمة الاملاك ، لتحديد قيمة الضرائب المفروضة عليها مع وصف تفصيلى للانواع المختلفة من الاراضى الصالحة للزراعة واسماء المستأجرين ، وشهادات ممهورة بامضائه لاثبات صحة ما ورد فيها(٦١) .

ونلاحظ مما ورد ذكره فى أحد الوثائق أن المستأجر كان يؤدى ما عليه من الخراج عن الأرض البور ، وكان بيت المال يتشدد فى مطالبة المزارعين بأداء الضريبة المفروضة على هذا النوع من الاراضى ليحول بذلك دون اهماله وعدم زراعته(٦٢) .

وتشير بردية مؤرخة سنة ٢٥٣ هـ / ٨٧٦ م الى أن مستأجر الأرض يقوم بدفع خراج ( تكاليف) الماء ، وكذلك خراج الأرض التى يقوم باستئجارها ، واذا زادت القيمة عن الكمية المؤجرة فعليه أيضا خراجها « فازرع على بركة الله وعونه فما تزيدت فحساب ذلك وما يورت فعليك خراجه لماء وخراج سنة ثلاث وخمسين ومائتين »(٦٣) .

كما أن هناك بردية يرجع تاريخها الى سنة ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م وهى عبارة عن ايصال بدفع ضريبة المراعى والكلاء جاء فيه « ادى زيد راعى نصر . عما يلزمه من خراج المراعى » (٦٤) .

لكن أوراق البردى تثبت ان القرط لم يكن يدفع عنه ضرائب ، وربما يكون لذلك علاقة بذلك الاصلاح الذى أدخله ابن مدبر والذى حدد الأراضى التى خصصت للمروج والمراعى(٦٥) .

---

(٦١) جروهمان : المصدر السابق ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٠٥ .
(٦٢) جروهمان : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٥ .
(٦٣) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٢ ص ٤٢ ـ ٤٣ لوحة ٦ طراز ١٧٦
(٦٤) نفس المصدر جـ٣ ص ١٧١ ـ ١٧٢ الطراز رقم ٢١٩
(٦٥) نفس المصدر جـ٤ ص ٦٨

## تحصيل الجزية والخراج :

ذكر ابن عبد الحكم(٦٦) أن الجزية بلغت فى بداية الفتح العربى اثنى عشر ألف ألف دينار فى عهد عمرو بن العاص ، وارتفعت فى عهد عبد الله بن أبى سرح الى أربعة عشر ألف ألف دينار ثم أخذت فى الانخفاض بعد ذلك ، وقد بينا أن حالة الفيضان فى عهدهما كانت مواتية . ويرجع انخفاض الخراج بعدهما الى سوء حالة الفيضان بالاضافة الى ما اعترى الدولة من فتن واضطرابات الى جانب قصر مدة الولاة وقصورهم فى العناية بمشروعات الرى وصيانتها .

والجزيه تشبه الخراج فى أن كلا منهما يجبى فى أوقات معينة كل سنة . ولكنهما يختلفان فى أن الجزية موضوعة على الرؤوس وتسقط بالاسلام ، وأما الخراج فهو على الأرض ولا يسقط باسلام المالك(٦٧) .

ولقد اثبتت أوراق البردى(٦٨) عدم مساواة الذميين فى دفع الجزية وأثبتت أن الجزية كانت تتناسب مع ثروة الشخص(٦٩)فيؤخذ من الموسر ثمانية وأربعين درهما ومن المتوسط أربعة وعشرين درهما ، ومن دون المتوسط أثنى عشر درهما ، وكان مقدار هذه الضريبة فى البلاد التى تستعمل فيها العملة الذهبية أربعة دنانير ، وديناريين ، ودينار على التوالى ، ويجمع الفقهاء على تناسب الجزية مع الثروة(٧٠) .

وكانت معاملة أراضى مصر هى نفس المعاملة للأراضى التى فتحت صلحا ، سواء فتحت كذلك أم فتحت عنوة ، ويؤيد البلاذرى ما ذهبنا اليه فى رواية له عن عبد الله بن عمرو بن العاص(٧١) .

---

(٦٦) فتوح مصر وأخبارها ص ٧٠ ، ابن الكندى : فضائل مصر ص ٥٤ — ٥٥

(٦٧) محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ١٠٩ ، القاهرة ١٩٦٥م .

(٦٨) جروهمان : أوراق البردى ج٣ ص١٣٥ — ١٣٦ ، ج٤ ص١١٣

(٦٩) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٣٩ .

(٧٠) أبو يوسف : الخراج ص ٦٩ ، يحيى بن آدم : الخراج ص ٥١ محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية فى الشرق ص١٠٩

(٧١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣١٤ — ٣١٥ ، طبعة ليدن

ولقد فرض العرب على اراضى المصريين ضريبة عقارية تعرف بالخراج ، والأراضى الخراجية هى فى الأصل ، الاراضى التى يمتلكها أهل الذمة ، وفرض عليها الخراج بعد الفتح ، وقد فرض هذا الخراج على الأرض وليس على من فى حيازته الأرض وهذا يعتبر فى نظر المشرع نوعا من التعويض فى مقابل تامين الفاتحين لأهل البلاد المفتوحة على أرواحهم وأموالهم وحرية امتلاكهم الأرض ، التى كان يجب أن تتحول شرعا الى حوزة المسلمين ، ويعتبر فرض المسلمين هذا الخراج فى مقابل الكراء ، وكان على المستأجر ان يقوم تبعا لهذا النظام بدفع الايجار ، كما كان عليه أيضا أن يقوم بدفع الخراج المفروض على الأرض على دفعات متفق عليها خلال السنة الخراجية(٧٢) .

وقد ثبت من أوراق البردى العربية أن الخراج كان يجبى نقدا وعينا ، فقد ورد فى بردية مؤرخة ٩١هـ/٧١٠م يطلب فيها الوالى قرة بن شريك من أهل قرية الجزية والخراج فيقول « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب قرة بن شريك لأهل شبرا يسيرو (٧٣)من كورة أشقوة انه أصابكم من جزية سنة ثمان وثمانين ، مائة دينار وأربعة دنانير وثلثى دينار عددا ، ومن ضريبة الطعام أحد عشر أردب قمح وثلث أردب » (٧٤) .

يتبين مما ذكرنا أن الجزية كانت تدفع نقدا بينما كان الخراج يدفع عينا ، ونقدا أحيانا وكان يطلق على الضريبة التى تدفع عينا فى أوراق البردى اسم ضريبة الطعام ، كما هو واضح من البردية السابقة . وكان القمح أهم ما يجبى من ضريبة الطعام ، كما كانت هذه الضريبة تشمل أحيانا غير الغلال ، الزيت والعسل وأنواع الأطعمة الأخرى(٧٥) .

---

(٧٢) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٢ ص ٣٤ ـ ٣٦ .

(٧٣) شبرا بسيرو : هى شبرا الخيمة الحالية وهى مدينة مصرية قديمة ، اسما المصرى القديم سبرو وهى محرفة عن جبرو وهى كلمة قبطية معناها الكوم أو التل محمد رمزى القاموس الجغرافى جـ٢ ص ١٢ ـ ١٣

(٧٤) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٣ ص ١٥ ، ١٣٥ ـ ١٣٦ جـ٤ ص ١١٣

(٧٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢١٥ ،

والخراج كان يجبى فى مصر على أســـاس مساحة الأراضى التى يمتلكها الشخص ويراعى فى ذلك حالة فيضـــان نهر النيل فى كل عام ، لأن المـــال متحصل من نجـــاح الزراعة ، وقد وضح ذلك من نص الصلح الذى أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر(٧٦) .

ومما كتب الماوردى(٧٧) نتبين العلاقة الوثيقة بين الأرض والخراج من زيادة أو نقصان اذ قال « أحدهما ما يختص بالأرض من جودة يزكو بها زرعهـــا ، أو رداءة يقل بها ريعها ، والثـــانى ما يختص بالزرع من اختلاف أنواعه من الحبوب والثمار فمنها ما يكثر ثمنه ، فيكون الخراج بحســـبه ، والثالث ما يختص بالسـقى والشرب لأن ما التـزم المؤنـة فى سقيه بالتواضح(٧٨) والدوالى لا يحتمل من الخراج ما يحتمله سقى السيح والأمطار ومن الناس من اعتبر رابعا وهو قربها من البلـــدان والأسواق ، وتعدها لزيادة أثمانها ونقصانها ، وهذا انما يعتبر فى ما يكون خراجه ورقـــا ، ولا يعتبر فيما يكون حبـــا . وتلك الشروط فى الحب والورق »(٧٩) .

على أية حال عندما يصل منسوب مياه الفيضان الى ســت عشرة ذراعا وهو حد الوفاء وجب الخراج(٨٠) . ولكن اذا زاد فيضان النهـــر ووصل الى سبع عشرة ذراعا كان أكثر فائدة حيث تروى جميع الأراضى . ولكن اذا زاد عن السبع عشرة « ويبلغ ثمـــانى عشرة وغلقها ( اتمهـــا ) استبحر من أرض مصر الربع وفى ذلك ضرر بالغ لبعض الضياع لما دكرنا من وجه الاستبحار وغير ذلك(٨١) .

---

(٧٦) الطبرى : تاريخ الطبرى جـ ٤ ص ١٠٩

(٧٧) الاحكام السلطانية ص ١٤٢ ــ ١٤٣

(٧٨) نضح البعير الماء : حمله من بئر أو نهر لسقى الزرع .

(٧٩) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٤٢ ــ ١٤٣ ، والداليـة الناعورة يديرها الماء ، والأرض تسقى بدلو أو ناعورة ، والسيح المـاء الجارى ، والحب تعنى الغلال ، والورق هنا بمعنى النقود .

(٨٠) المسعودى : مروج الذهب جـ١ ص ١٦٣ ، ابن الكنـــدى : فضائل مصر ص ٦٠ ، وابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٧٦ .

(٨١) نفس المرجع والصفحة .

وهكذا تتضح علاقة النيل بالخراج والحياة الاقتصادية في مصر .
وقد اشارت قوائم فيضـان النيل التى أوردها ابو المحـاسن في حوليتـه الشهيرة النجوم الزاهرة(٨١) ، أن خلال فترتنا هذه :

ــ أوفى النيل مائتين وأربعين سنة .

ــ وارتفع فيضانه عن ثمانى عشرة ذراعا سبعا وعشرين سنة .

ــ وتقاصر فيها عن حـد الوفاء وهو سـت عشرة ذراعا ، احدى وتسعين مرة وبهذا كانت غالبية السنوات ، تعنى وصول الفيضان الى الحد الذى يساعد على قيام الزراعة بمتطلباتها من الرى ، وبالتـالى تحصـيل الخراج بالكامل خلال هذه السنوات التى أوفى فيها النيل .

ومن الثابت من أوراق البردى أن الخراج كان ينبغى ان يدفع بعد الانتهاء من الحصاد(٨٢) فقد ورد فى احدى البرديات « على أن تؤدى خراجك مع نجوم السلطان » (٨٣)ويعتبر التعبير ( نجم ) بطريقـة دفع الخراج على أقساط خلال السنة الخراجية نفسها(٨٤) .

ويذكر ابن حوقل(٨٥) أن الخراج يحصـل ابتداء من شهر أمشـير على أقساط تنتهى فى شهر مسرى حيث يتم تحصيل الخراج بالكامل .

**نظـــام قبــالة الأرض :**

كان هناك مزاد يقام فى جامع عمرو بن العاص فى القـرون الأولى للهجرة ، ويقوم فيه متولى الخراج بحضـور هذا المزاد فى وقت محدد من السنة ، تتهيأ فيه قبالة الأرض وقد حضر الناس من القرى والمدن . ويقوم رجـل ينـادى على البـلاد صفقات ، وكتيـاب الخراج بين يدى متولى الخراج يكتبون ما تنتهى اليه مبالغ الكور ، والصفقات على

---

(٨١) السنوات من ٢٠هـ الى ٣٥٨هـ .
(٨٢) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٢ ص ٣١ .
(٨٣) نفس المصدر السابق ص ٣٣ ــ ٣٤ طراز رقم ١٦٨ لوحـة رقم ٥
(٨٤) نفس المصدر السابق ص ٣٤ ــ ٣٦
(٨٥) صورة الأرض ص ١٣٧ ، محمد أمين صالح : النظم الاقتصادية فى مصر والشام ص ١٤٩ ــ ١٥٠ .

من يتقبلها بالأربع سـنين لأجل الظمأ والاستبحار والفيضان المنخفض والآخـر المرتفـع ) وغـير ذلك(٨٨) اذا تم ذلك يقـوم متقبـل الأرض بوظيفته من ناحتين :

ــ أن يتقبل ( أى يستأجر ) قطعة أرض من الدولة .

ــ وأن يقوم فى الوقت نفسه بجمع الضرائب المفروضة على الناحية التى تقع فيها الأرض المقبلة(٨٩) .

وقـد ورد فى بردية من القـرن الثالث الهجـرى ( التاسـع الميلادى ) (٩٠) « هذا كتاب من محمـد بن عيسى مولى أمير المؤمنين متيـل البقط والمقبـوض لفـلان بن .. أن مولى أمـير المؤمـنين أطال الله بقاهما ، وهما من سكان مدينة أشمون ، أنك سألتنى وطلبت أن اكريك ثلاثين فدانا من البقط المعروف بسقط من الضيعة » .

كما ورد فى بردتين أخرين ترجعان الى سنة ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م وسنة ٣١٢/٩٢٤م ، كملة « قبالع » (٩١) .

وكلمة قبالة ، التى تعادل ايجار ، وهى على وجه العموم تعنى عقدا يسمح بمقتضاه لشـخص باستغلال أرض ، نظير دفع ضريبـة أو تعويض .. الخ ، أى عقـد كراء والقيام بتسليم الأرض وتسليمها الى شخص آخر بعقد الكراء أو الايجار بقصد زراعتها ، وربما كانت أرض القبالة وهى كما يتضح من هذه الكلمة ، لا تكاد تؤدى أى معنى آخر غير ايجار الأرض نفسها(٩٢) .

وهذا يؤيد ما أورده المقـريزى(٩٣) وكان المتقبل يقـوم أيضـا بالأضـافة الى عمله السابق بالنسبة الى الأراضى « بزراعتهـا واصـلاح جسورها وسائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن ينتدبه لذلك ويحمـل

---

(٨٨) المقريزى : الخطط جا ص ٨١

(٨٩) جروهمان : أوراق ابردى العربية ج٢ ص ٣٧ ــ ٣٨

(٩٠) نفس المصدر السابق ص ٣٧ لوحة ٤ طراز ٩١٤ ومحمد بن عيسى كان عاملا خراج مصر من رجب ٢٤٢ الى ربيع ٢٥٤هـ .

(٩١) جروهمان : أوراق البردى العربية ج٣ ص ١٧١ لوحة ٢٠ طراز ٢١٩ ج٢ ص ٥٤ لوحة ٨ ، ٩ .

(٩٢) الخطط جا ص ٨١

ما عليه من خراج فى ابانه اقساط ويحسب له مبلغ قبالته وضمانه لتلك الأراضى وما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجها ، بضرائب مقدرة فى ديوان الخراج » (٩٤) ٠

وقد تم العثور فى البردية السابقة لأول مرة على التعبير « متقبل البقط والمقبوض » ٠ ومعناها الايجار ، وليس معناها فقط كراء قطعة أرض بل كراء قطعة أرض واستغلالها(٩٤) ٠

وقد أمدنا المقريزى (٩٥)بمعلومات طريفة عن المستأجرين ، وقد أوضح البلوى (٩٦) أن أحمد بن طولون حرم على المتقبلين أن يعقدوا مع المزارعين الذين يستأجرون منهم الأراضى عقودا فى غير مصلحة المزارعين ، وهو أشبه بقانون حماية المستأجرين فى هذا العصر ٠

كما أن صيغة « نقد بيت المال » الشائعة الاستعمال فى ايصالات الضرائب وفى غيرها من أوراق البردى ، تشير الى هذه الحقيقة ، وهى تسديد قيمة الايجارات ، لبيت المال ، انما كانت الضرائب تؤدى على أساس المعيار الرسمى لوزن العملة المودعة ببيت المال(٩٧) ٠

وفى بردية يرجع تاريخها الى النصف الثانى من القرن الثالث للهجرة ( التاسع الميلادى ) (٩٨) نجد ما يلقى ضوءا على الادارة المالية بالتفصيل وهو عبارة عن الجباية المفروضة على عدد معين من الأشخاص كانوا يقيمون بأحدى القرى ، ويرجح أن يكون الموظف الذى بعث من عاصمة كورة الفيوم الى السلطات المحلية للقرية قد أضاف أسماء دافعى الضرائب فى هذا الكشف الذى تشمله البردية ٠ وحدد لهم ما يخصهم من هذه الضرائب بنسبة دخل كل منهم ، ونصيبه من الجباية المطلوبة منه(٩٩) ٠

---

(٩٣) المقريزى : الخطط جـ ص ٨١
(٩٤) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٢ ص ٣٨
(٩٥) الخطط جـ٢ ص ٢٦٧ ــ ٢٦٨
(٩٦) سيرة احمد بن طولون ص ٧٥
(٩٧) جروهمان : نفس المصدر جـ٣ ص ٤٤
(٩٨) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٤ ص ٧٥ طراز ٢٢٠
(٩٩) نفس المصدر والصفحة

وقد وضح من هذه البردية وجود ضرائب ( نخل ـ مراعى ـ مصائد ) التى نتج عنها دفع مبالغ . كما نجد اضافة تحديد نجوم الضريبة الى الأسماء التى سبق أن أودعت بسجلات عاصمة الكورة . ونلاحظ هنا أن صاحب الكورة لا يحدد الا الضريبة الاجمالية المستحقة على كل قرية دون اضافة أى تخصيص للنجوم المتعلقة بكل فرد من أهالى هذه القرية ، ومعنى هذا أن مبلغ القرية لم يكن يدفع كله مرة واحدة وانما كان يؤدى على نجوم ( أقساط ) مختلفة(١٠٠) .

**تربية الحيوانات والضريبة عليها :**

فى بردية(١٠٠) مؤرخة ١٤٨هـ ( ٧٦٥ ـ ٧٦٦م ) نجد ايصال بدفع صدقة حيوانات جاء فيه « قبضنا شاة صدقة أربعين شاة لسنة سبع وأربعين ومائة » .

وفى بردية أخرى من القرن الثالث الهجرى ( التاسع الميلادى ) تشمل تقرير عامل الضرائب يتضمن احصاء الحيوان فى قرى مختلفة من كورة الأشمونين . وهذه البردية تشمل ـ على ما يتضح ـ على تقرير قدمه أحد عمال الخراج ويتضمن احصاء الحيوان فى قسم معين من كورة الأشمونين وربما كان هذا التقرير موجها الى مدير ديوان خراج الكورة(١٠١) .

وليس من شك فى الطابع الرسمى للوثيقة ، اذ لها علاقة واضحة بالضرائب ، وقد وضع سجل الحيوان بعناية كبيرة جدا ، وبناء على الكتب الذى بدأ به الكاتب هذا النص ، قد رتب هذا السجل ترتيبا يقوم على وصف تخطيط المواقع ( طبوغرافيا ) وعدد الحيوان كبير جدا بصفة عامة(١٠٢) .

وهو يشير الى تجارة حيوانات داجنة مزدهرة فى البلاد ، وليس من الواضح لنا هل كان تسجيل الحيوان قد قام على أساس اقرارات قام

---

(١٠٠) نفس المصدر السابق ص ٧٦

(١٠٠) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٣ ص ١٧٥ طراز رقم ١٣٨ لوحة ١٧

(١٠١) نفس المصدر السابق جـ٤ ص ١٦٥ لوحة ١٧ الطراز ٢٤١

(١٠٢) نفس المصدر ص ١٦٦

بتقديمها أصحاب القطعان الى ديوان الخراج المحلى ، أو أن ذلك قد قام على أساس تفتيش فعلى قام به الموظف • وعلى أية حال فان احصاء الحيوان لأغراض خاصة بالضرائب نظام قديم جدا فى مصر • وكذلك بقيت من العهد العربى مجموعة من الوثائق على شكل سجلات من أنواع مختلفة تتعلق بعد الماشية(١٠٣) •

فقد ورد كشف رعاة فيه أصحاب القطعان وعدد الماشية التى يرعونها ، وكذلك كشف ماشية مرتب بحسب وصف تخطيط المواقع ( طبوغرافيا ) كما أن هناك سجلات البقر التى أحصيت فى إقطاعية معينة مع أوصافها ، على حسب ألوانها ، وكذلك كشف خاص بأشخاص مع بيان عدد الحيوانات التى بحوزتهم لخراج سنة ٢٧٥هـ/٨٨٨م وذلك فى مجموعة المخطوطات العربية بجامعة اكسفورد ومجموعة أوراق البردى للأرشيدوق رينر بفيينا(١٠٤) •

واذا كانت النصوص سالفة الذكر تشير بصورة ما الى فرض الضرائب ، فمن الواضح أنه ورد فى مجموعة أوراق البردى بالمتحف البريطانى رسالة خاصة تتعلق باحصاء الماشية ، التى تتصل بضريبة المراعى لسنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م - كما أنه يوجد بمجموعة أوراق البردى للأشيدوق رينر بفيينا كشف خاص بدافعى الضرائب من الأقباط مع بيان عدد الماشية التى بحوزتهم(١٠٥) •

كما ورد فى بردية يرجع تاريخها الى القرن الثالث للهجرة(١٠٦) ( التاسع الميلادى ) أحصاء للحيوانات فى قرى مختلفة من كورة الأشمونين وكذلك ورد فى بردية أخرى من نفس التاريخ(١٠٧)كشف خاص بملاك وأصحاب قطعان •

---

(١٠٣) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٤ ص ١٦٦
(١٠٤) نفس المصدر والصفحة
(١٠٥) نفس المصدر السابق ص ١٦٧
(١٠٦) نفس المصدر والصفحة •
(١٠٧) نفس المصدر ص ١٧٣ لوحة ١٨ - ١٩ الطراز ٤١١ •

ومما يدعو الى الأسف أننا لا نعرف نوع الضريبة المدفوعة مما سبق ذكره من حيوانات(١٠٨) ٠

هذا ما أوردته أوراق البردى ، والحقيقة ان العناية بالحيوانات وضحت منذ بداية الفتح العربى لمصر ، فكان عمرو بن العاص يحرص على متابعة تربية خيول أصحابه والعناية بها ، عقب عودتها من المرابع ( المراعى ) (١٠٩) وكذلك كان عبد العزيز بن مروان يعتنى بالحيوانات وكان يحرص على ان تكون سلالتها نقيـــة وقوية وقد اتخذ « الفحلة » لتحقيق هذا الغرض(١١٠) ٠

وتتضح كثرة تربية الحيوانات فى الفترة الأولى من بداية الحـــكم العربى من المأدبة التى أقيمت للوالى عبد الله بن عبد الملك ٨٦هـ/٩٠هـ بالجيزة وكثرت الذبائح فيها من الحيوانات(١١١) ٠

كما وضـــح فى العصر الطولونى الاهتمام بتربيـــة الحيـوانات بمختلف أنواعها فكان أحمد بن طولون يهتم بتربية الحمام « الهدادى » وهو حمام مدرب على الانتقال من مرحلة الى مرحلة ، فيقطع المسافات البعيدة ، وكذلك أهتم بأنواع الحمام الزاجل(١١٢) ٠ الذى كانت تربيته منتشرة فى عهد ابن طولون ، وكان يستخدم فى نقل الرســائل ، وكان موجودا لدى غالبية الأسر الغنية(١١٣) ٠

كما نلاحظ من نفقات مطابخ الطولونيين ومآدبهم أن هناك تربية للحيوانات ، وأن الثروة الحيوانية كبيرة ، ولولا ذلك لما وفت بما تحتاجه هـذه الولائم والمـآدب(١١٤) ٠ وشـهد ذلك العصر أيضا تجـارة دواب رائجــة(١١٥) ٠

---

(١٠٨) نفس المصدر ص ١٨١ الطراز ٣٨٥

(١٠٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٤١

(١١٠) نفس المصدر ص ١٤٥

(١١١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٦٢

(١١٢) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ١٩٤ ، وابن سعيد : المغرب ص ٩٧

(١١٣) البلوى : نفس المرجع ص ٢٨٠

(١١٤) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ١٩٧ ــ ٢٠٤

(١١٥) ابن الداية : المكافأة ص ٣٢ ٠ القاهرة ١٩٤١م

ومن هذا يتضح مدى الاهتمام والعناية بالحيوانات فى هذه الفترة ، وهذه الثروة الحيوانية التى قامت على الزراعة حول ضفاف النهر وعلى مياهه . وواضح من أوراق البردى أن هناك ضرائب فرضت على هذه الثروة الحيوانية ، وكانت تضيف دخلا آخر بالنسبة لديوان الخراج وعنصرا لاثراء الناحية المالية .

المراعى :

على أن هناك تأثيرا آخر لنهر النيل على الضرائب فى مصر ، وأعنى تأثيره على المراعى والكلا وما يربى عليه من ثروة ، حيوانية ، وبما يفرض على المراعى والكلأ من ضرائب .

ففى بردية مؤرخة سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م نجد أيصال دفع ضرائب ونصه(١١٦) ( بسم الله الرحمن الرحيم . أدى زيد راعى نصر .. عما يلزمة من خراج المراعى عن المدينة قبالة محمد بن فضل ستة دنانير ونصف وثلث ثمن ، داخل بيت المال ) .

وفى بردية مؤرخة ٢٧٠هـ – ٨٨٣ – ٨٨٤م نجد أيصال دفع ضرائب المراعى (١١٧) .

وفى بردية يرجع تاريخها الى القرن الثالث الهجرى ( التاسع الميلادى ) تشتمل على كشف بأسماء الذين يدفعون ضريبة المراعى(١١٨)

وكان يفرض على أحراش النخيل والكروم والخضر ضرائب تختلف عن الضرائب التى تفرض على الأراضى المنزرعة قمحا أو شعيرا كما ورد خراج الأقراط فى أوراق البردى مجموعة الأرشيدوق رينر وفيها ما نصه « خراج الخضر والأقراط » (١١٩) .

---

(١١٦) جروهمان : أوراق البردى العربية جـ٣ ص ١٧١ لوحة ٢٠ الطراز ٢١٩

(١١٧) نفس المصدر جـ٤ ص ٨١

(١١٨) نفس المصدر جـ٣ ص ٢٢٦ الطراز ٣٥١

(١١٩) جروهمان : نفس المصدر السابق جـ٤ ص ١٠٣

## الاصلاحات التى ادخلها ابن مدبر :

واذا كان ما وصلنا من أوراق البردى اعتبارا من القرن الثالث الهجرى ( التاسع الميلادى ) قد اشار الى أن هناك ضرائب على القرط والمراعى ، فربما يكون لذلك علاقة بذلك الاصلاح الذى أدخله ابن مدبر والذى حدد الأراضى التى خصصت للمروج والمراعى(١٢٠) ٠

وكان ابن مدبر الذى ولى الخراج من ٢٥٠هـ/٨٥٤م قد ابتدع ضرائب لم تكن موجودة قبله « أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين ٠٠ ابتدع فى مصر بدعا صارت مستمرة من بعده ، لا تنقض فأحاط بالنظرون وحجر عليه ، بعد ماكان مباحا لجميع الناس ، وقرر على الكلأ الذى ترعاه البهائم مالا سماه المراعى وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصائد الى غير ذلك ، فانقسم حينئذ مال مصر الى خراجى وهلالى ، وكان الهلالى يعرف فى زمنه وما بعده بالمرافق والمعاون » (١٢١) ٠

هذا ما أورده البلوى والمقريزى عن ابن مدبر وكيف أنه فرض على المراعى والكلأ وعلى المصائد والأسماك ـ وهى متخرجة كلها من مياه النهر ـ الضرائب ، وهذا ارتباط لا شك فيه بين النهر والنظم المالية ٠

وقد أسقط أحمد بن طولون ما ابتدعه أحمد بن مدبر(١٢٢) وربما كان ذلك بعد تحسن أحوال مصر بعد أن وطد أحمد بن طولون نفوذه وعثر على كنوز الذهب ٠ على أن النظم التى ابتدعها ابن مدبر كانت تحقق دخلا بمصر يزيد عن مائة ألف دينار(١٢٣) أسقطها كلها أحمد بن طولون بعد أن استتب له حكم مصر ٠

---

(١٢٠) جروهمان : أوراق البردى العربية حـ ٤ ص ٦٨ ٠

(١٢١) البلوى : سيرة ابن طولون ص ٤٣ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٠٣ ـ ١٠٧ ، ١٠٩ ، جـ ٢ ص ٢٩٧ ٠

(١٢٢) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ٧٤ ٠

(١٢٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ١٠٤ ٠

## موقف الولاة من بواقى الخراج :

كان الولاة يحرصون ـ كما بينا ـ على جباية الخراج كاملا . ولكن مع هذا كانت تتبقى مبالغ لم يتمكن الولاة من تحصيلها ، ويقال لهذا المتأخر « البواقى » وعنه يقول المقريزى (١٢٤) : « وكانت الولاة تتشدد فى المطالبة به وتسامح به مرة ». .

ومن الثابت من أوراق البردى أن هناك بواقى للخراج كما يقول المقريزى . وذلك لعدم الوفاء بقيمة الخراج والجزية كاملة ، ولم يكن واضحا السبب الذى جعل هؤلاء يتأخرون ولا يقومون بدفع ما عليهم (١٢٥) . ويتضح وجود « البواقى » أيضا مما ذكره البلوى (١٢٦) من أن أحمد بن طولون كانت له بقية كبيرة من خراج البلاد على بعض المتقبلين .

وكان موقف الولاة من هذه البواقى يختلف من وال الى آخر ، وحسب أحوال الناس وأحوال فيضان نهر النيل . ونرى مثلا لتشدد الولاة فى مراسلات قرة بن شريك وتشدده فى تحصيل كل أنواع الجباية والحرص على ذلك بما لا يدع مجالا للشك فى متابعته الدقيقة لجباية البلاد (١٢٧) . على أن من الولاة من كان يتسامح فى هذه البواقى ولاشك أن لحالة نهر النيل والزراعة التى تقوم على فيضانه بالغ الأثر فى التشدد أو التسامح لموقف الولاة .

## نقص الفيضان والجباية :

ونرى الارتباط الوثيق بين النيل وبين النظام المالى عندما ينقص النيل عن حد الوفاء .

وقد ذكر المقريزى ما يتبع فى هذه الحالة ، وأعطانا وصفا لطريقة جمع الضرائب فى حالة نقص الفيضان ما نصه « وكان مع ذلك اذا انحط ماء النيل عن الأراضى ، وتعلقت نواحى مصر بأصناف الزراعات ،

---

(١٢٤) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٨١ .

(١٢٥) جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٤ ص ٧٥ .

(١٢٦) سيرة أحمد بن طولون ص ٢٧٩ .

(١٢٧) جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٣ ص ٥٠٣ ، ص ج ١ ، ١٥ ، ١٦ .

ندب من الحضرة من فيه نباهة وخرج معه عدول يوثق بهم ، وكانت لهم معـــرفة بعلم الخراج ، وكثيرا ما كان هذا الكاتب من النصـــارى الأقبـاط . ويخرج الى كل ناحية من ذكرنا ، فيحررون مساحة ما شمله الرى من الأراضى مما لعله بار أو شرق(١٢٨) . فاذا مضى من الســـنة القبطية أربعة أشـــهر ندب من الأجنـاد من عرف بالحماســـة وقوة البطش ، وعين معه من الكتاب العدول من قد اشتهر بالأمانة ، وكاتب من نصارى القبط ، غير من خرج عند المساحة ، وساروا الى كل ناحية كذلك ، فاســتخرج مباشرو كل بلـــد ثلث مـا وجب مـــن مـــال الخراج »(١٢٩) .

وهكذا كان يستعان بالكتـــاب من القبط فى القيـــام بعملية مسح الأراضى ، واعادة تقديرها حسب حالة الفيضـان وبذلك ارتبط تقدير الخراج والضرائب بالفيضان ، فاذا كان ناقصـا أو زائدا ، كانت اعادة التقدير ، وبالتالى حصول البلاد على أموالها المعتادة أو تقل ـ تبعـا لحالة النهر المبارك ـ كمية الجباية .

## عناية الولاة المتعاقبين بالأرض والترع والجسور :

وضحت عنـــاية الولاة بالأرض والترع والجســور منـذ قـدوم عمرو بن العاص الى مصر واستقرار الأمر له فيها فقـد قام بحفر خليج أمير المؤمنين(١٣٠) كما قـام بعمل أكثر من مقياس للنيل بأســوان ودندرة وانصنا(١٣١) .

وأهتم عبد العزيز بن مروان بالأرض والترع والجسور ، فقد قـام بانشاء مقياس للنيل بحلوان التى اتخذها مقرا له(١٣٢) فى ولايتـه على

---

(١٢٨) شرق اشـتقاقها من شرقت الشـمس ، والأرض شرقت فى السنة التى لا يوفى نيلها بارزة لا يسترها المـاء ( البغدادى : الافـادة والاعتبار ) ص ٤٤ .

(١٢٩) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٨٦ .

(١٣٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ١٦٢ ـ ١٦٦ .

(١٣١) المقريـزى : الخطط جـ ١ ص ٥٦ ـ ٥٧ ، السـيوطى كوكب الروضة مخطوط ص ٧٤ .

(١٣٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ١٨٥ ، محمد أمين صالح : النظم الاقتصادية فى مصر ص ١٩٠ .

مصر ٦٥ ـ ٨٦هـ/٦٨٥ ـ ٧١٥م هو أول مقياس تجمع المصادر العربية على انشائه(١٣٣) ٠

كما كان من اهتمامه بالنيل أن قام بانشاء قنطرة على ساحل الحمراء القصوى ليتوصل منها الى جنان ( بساتين ) الزهرى(١٣٤) ٠ كما غرس عبد العزيز بن مروان نخل عمير بن مدرك فى الجيزة والذى عرف بجنان عمير(١٣٥) كما قام قرة بن شريك باحياء بركة الحبش وغرس بها القصب(١٣٦) ، ونظرا لأهمية القنطرة التى بناها عبد العزيز بن مروان فقد قام تكين أمير مصر سنة ٣١٩هـ/٩٣٠م ، وكذلك الأخشيد سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م بتعلية هذه القنطرة ٠ وكانت تفتح عند وفاء النيل فى زمن الولاة(١٣٧) ٠

وهكذا كانت اهتمامات الولاة منذ أول العصر العربى بكل ما يتعلق بنهر النيل فقد أنشأ عامل الخراج اسامة بن زيد التنوخى مقياسا سنة ٩٢هـ/٧١١م (١٣٨)وهذا هو الوالى الوليد بن رفاعة الفهمى ١٠٩ ـ ١١٧هـ/٧٢٧ ـ ٧٣٥م فى خلافة هشام بن عبد الملك وعامل الخراج عبد الله بن الحبحاب يقوم بعمل روك « مساحة » وحصر أراضى البلاد التى تزرع وتلك البور وكان ذلك سنة ١١٠هـ/٧٢٩م(١٣٩) ٠

وقام الخليفة المأمون عند زيارته لمصر بانشاء جسر جديد على النيل بين الفسطاط والجيزة عبر جزيرة الروضة(١٤٠) ٠ كما أقام

---

(١٣٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦ ، السعودى : المروج جـ ١ ص ١٦٤ ، السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٢٢٠ ٠

(١٣٤) ابن دقماق : الانتصار جـ ٤ ص ١٢٠ ، المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١١٣

(١٣٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص١٠٣ ، محمد أمين صالح : المرجع السابق والصفحة ٠

(١٣٦) الكندى : الولاة والقضاة ص ٦٥ ، محمد أمين صالح : نفس المرجع والصفحة ٠

(١٣٧) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ١٤٦ ٠

(١٣٨) ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ١٢٩ ٠

(١٣٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٥٦ ، المقريزى الخطط جـ ١ ص ٩٨ ٠

(١٤٠) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٩٢ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٥٩ ، جـ ٢ ص ١٧٠ ٠

مقياسا بجزيرة الروضة ولكنه لم يتمه ويبدو أنه كان محاولة لترميم مقياس أسامة بن زيد التنوخى(١٤١) . وقام الحارث بن مسكين اثناء توليه القضاء من قبل الواثق بالله سنة ٢٣٩هـ/٨٩٣م بتطهير خليج الاسكندرية ، الذى كان ممتلئا بالطمى حتى كاد يسده وبذلك تتوقف الزراعة عليه وكذلك الملاحة فيه(١٤٢) . كما بنى المتوكل سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م مقياسا بالروضة وهو الذى ظل يعمل عليه حتى نهاية عصر المماليك(١٤٣) .

كما قام أحمد بن طولون بعدة اصلاحات للنهوض بالنواحى الاقتصادية والمالية للبلاد فقام سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م بتطهير خليج الاسكندرية مرة اخرى(١٤٤) كما قام بعمل روك آخر للاراضى الزراعيه وتمت مساحة الأرض وبلغت مساحة الأرض المنزرعة مليونين ونصف المليون(١٤٥) . وكان من جملة عنايته بالزراعة والأراضى وضبط النهر ما قام به من عمل مقياس بجزيرة الروضة يستعمل عند كثرة المياه وترادف الرياح(١٤٦) كما قام باصلاح المقياس الذى أنشأه المتوكل سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م(١٤٧)كما ينسب اليه السيوطى بناء مقياس آخر للنيل بقوص(١٤٨) . وهكذا تتجلى عناية أحمد بن طولون بضبط النهر والعناية بالأراضى والزراعة ، حتى يصلح اقتصاد ولايته .

كما جرت فى عصر الولاة عدة محاولات لتعلية قنطرة اللاهون ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل(١٤٩) ومن كل هذا تتجلى عناية

---

(١٤١) الكندى : الولاة والقضاء ص ١٩٢ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢١٦ .

(١٤٢) الكندى : الولاة والقضاة ص ٤٦٩ .

(١٤٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٧٥ - ٧٦ ، المقريزى: الخطط جـ ١ ص ٥٧ ابن دقماق : الانتصار جـ ٥ ص ١١٤ .

(١٤٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٦٧١ .

(١٤٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٤٧ ، المقريزى . الخطط جـ ١ ص ٩٩ .

(١٤٦) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٦٤ .

(١٤٧) ابن مماتى : قانون الدواوين ص ٧٥ - ٧٦ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٥٧ .

(١٤٨) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٧٦ .

(١٤٩) النابلسى الصفدى : تاريخ الفيوم ص ١٠ - ١٢ .

الولاة المتعاقبين بالأرض والترع والجسور ، وكافة وسائل ضبط النهر ، لتحقيق اصلاحاتهم التى تعود على ولايتهم بالرخاء وعلى اقتصادهم بالاستقرار . وضح ذلك منذ بداية الفتح وحتى نهاية الفترة التى نبحثها، وتحققت لهؤلاء الذين يهتمون بالرى والزراعة والجسور والترع ، حالة من الاستقرار والرخاء ووفرة الجباية .

وهكذا كانت العلاقة بين نهر النيل،وبين الخراج علاقة تلازم(١٥٠) اذا انتظم الأول كان الثانى مثمرا مؤتيا ثماره ، واذا اضطرب الأول كان هذا انعكاسا على الثانى ،واذا أعطى الأول حقه من العمل واصلاح القنوات وتطهيرها ومد الجسور ، وسد السدود كان ذلك مدعاة لوفرة الخراج وزيادته وقيام الناس بالسداد دون المماطلة فيه .

---

(١٥٠) محمد أمين صالح : النظم الاقتصادية فى مصر والشام ص ١٣٦ .

# الفصـــل الرابـــع

## النيـل والحيـاة الاجتماعيـة

★ احتفالات المدينـة بوفـاء النيل ٠

★ الاحتفالات المرتبطـة بنهر النيـل ٠

★ اثر النيـل فى تكوين المجتمع المصرى ٠

★ اثر النيـل فى الادب والشـعر ٠

## احتفالات المدينة بوفاء النيل

النيل أصل كل خير فى مصر ولولاه لما كانت شيئا مذكورا هذه حقيقة لاشك فيها ، ولذلك قدسه قدماء المصريين وألهوه ثم عبدوه وقربوا له القرابين(١) فلما جاءت دولة الاسلام احتفظت له بمكانته من الاجلال والاحترام ، ولكن لا على سبيل التاليه والعبادة كما كان على عهد الفراعنة .

فكانت جميع العهود الاسلامية منذ مجىء عمرو بن العاص تحتفل احتفالا باهرا فى كل عام بالفيضان ، وكان ذلك منذ أعاد عمرو بن العاص احتفار الخليج ( خليج أمير المؤمنين(٢) ) فكانت البلاد تحتفل بيوم الوفاء احتفالا رسميا وشرعيا ، كان رونقه متابعا لحالة الدولة من اليسر والرخاء أو البؤس والشقاء ، ومناسبا لمكانتها السياسية بين الأمم(٣) .

وتشير المصادر الى إن المسلمين ، قد ابقوا على احتفال القبط بأعيادهم الدينية ، بل اشتركوا معهم فى الجوانب الاجتماعية والترفيهية من تلك الأعياد . وكان وفاء النيل من الأعياد الهامة ، التى احتفل بها المصريين ، لما لهذا النهر الفياض المبارك من تأثير وخطر كبير فى حياة مصر والمصريين ، على مختلف عصورهم ومختلف أديانهم ومعتقداتهم .

وكان بلوغ النيل ستة عشر ذراعا بشيرا بوفاء النهر(٤)وايذانا ببدء ذلك المهرجان القومى الضخم احتفالا بهذه المناسبة ، التى يشارك الجميع فى احيائها باعتبارها عيدا قوميا مصريا يهتم الجميع ابتداء بالوالى وانتهاء بالعامة من المسلمين والأقباط واليهود(٥) .

وكانت تحيط باحتفالات وفاء نهر النيل وكسر الخليج ، مظاهر من الفرحة والاغتباط والابتهاج(٦) .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ١٥٠ .
(٢) نفس المصدر ص ١٦٦ .
(٣) أحمد زكى باشا : مهرجان وفاء النيل ص ٣٢٥ المقتطف ديسمبر ١٩٢٣ .
(٤) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٦٣ .
(٥) على حسنى الخربوطلى : مصر العربية الاسلامية ص ٥٤ .
(٦) ابن رستة : الاعلاق النفسية ص ١١٦ ، أحمد زكى باشا : مهرجان وفاء النيل ص ٣٢٩ .

ولقد كان متولو المقياس ـ منذ ابتداء موسم الفيضان يعنون بمراقبه زيادة النيل بصورة يومية(٧) حتى يقفوا على مقدار زيادته اولا باول ، ويقومون بابلاغ الوالى بهذه الزيادة لما لها من اهمية فى حياة البلاد . ويترقب أولو الامر اليوم الذى يتم فيه وفاء نهر النيل ( ويبلغ حد الوفاء ) ، لان عند ذلك الحد ، يجب خراج الميلاد بالتمام والكمال بل لقد كانوا يترقبون هذه الزيادة فى الصعيد ، ويقومون بارسال من يزف البشرى ، فيتهيا اهل الفسطاط لانتظار بلوغ الوفاء(٨) . وقد أجمع الكتاب(٩) ـ كما ذكرنا ـ على ان بلوغ نهر النيل ستة عشر ذراعا هو حد الوفاء ، ويعرف بماء السلطان ، وعند ذلك يبدأ الاحتفال بوفاء النيل(١٠) .

ويجب أن نلاحظ ان هذا التقليد وهو الاحتفال بالوفاء » بعد بلوغ نهر النيل ستة عشر ذراعا ، ظل ساريا ، بالرغم من أن هذه الزيادة أصبحت بنهاية عصر الولاة لا تفى بحاجات البلاد من الرى وهذا هو المسعودى ـ المعاصر لتلك الفترة ـ يشير الى أن أتم الزيادات هى سبعة عشر ذراعا(١١) .

كما أن هذا الاحتفال امتداد لاحتفالات قديمة ، اختلفت مظاهرها من عصر الى آخر وظلت بصورة وأخرى حتى عهد قريب . ويشير المقريزى الى وفاء النيل بقوله(١٢) « ويتحصل لأهل مصر بوفاء النيل ستة عشر ذراعا فرح عظيم ، فان ذلك كان قانون الرى القديم ، واستمر ذلك الى يومنا هذا » وهو القرن التاسع الهجرى كما أنه لم يكن هناك تاريخ محدد يصل فيه فيضان نهر النيل الى حد

---

(٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٥٥ .

(٨) نفس المصدر والصفحة .

(٩) المسعودى : المروج جـ١ ص ١٦٣ ، ابن الكندى : فضائل مصر ص ٦٠ .

ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(١٠) مع ذلك ذكر ياقوت ان كسر الخليج يكون اذا بلغ الماء خمسة عشر ذراعا وزاد من السادس عشر أصبعا واحدا ، معجم البلدان حـ ٤ ص ٨٦٥ ـ ٨٦٦ ( طبعة ليبزج ١٨٦٦ ) .

(١١) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٦٣ ، الخطط جـ ١ ص ٦١ .

(١٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٦١ ، محمد أمين صالح : النظم الاقتصادية فى مصر والشام ص ١٣٨ .

الوفـاء . وانما يتوقف الاحتفال بالوفـاء ، وتمام نهر النيل لهـذا الحد وهو وصول مياه الفيضان .. وعند وصول الفيضان الى حد الستة عشر ذراعا ، يعتبر هـذا الوفاء هو وفاء النيل ، وبذلك اختلف تاريخ يوم الوفاء من سنة الى أخرى .

وكما كان للاحتفال بوفـاء النيل تقليد قديم سـابق على الفتح العربى(١٣) فلما فتح العرب مصر ، احتفظوا بهذا التقليد ، بعد ادخال التعديل الذى يوافق الدين الجديد(١٤) .

وقد أختلفت طريقة الاحتفال بوفاء النيل فى العصر العـربى من وقت الى آخر ، وتنوعت من البساطة الى الفخامة والعظمة ففى أعقاب الفتح الاسلامى لمصر ، كان الاحتفال يتمشى مع بساطة الدين الاسلامى والعادات والتقاليد العربية ، ويعطنا ابن رستة صورة لهذا الاحتفـال فيقول(١٥) « وقد اتخذت علامات تعرف بها زيادة المـاء ونقصانه ، ووكل به جماعة يتعهدونه ( أى زيادة المـاء فى المقياس ) ويثبتونه ، فـاذا زاد نظروا الى بعض تلك العلامات فوقفوا على مقدار الزيـادة ، لأن الزيادة فى الخراج على حسب الزيادة فى المـاء . فيصـير هؤلاء الموكلون الى المسجد الجامع ، بأيديهم الرياحين ويقفون على حلقة حلقة يرمون بما معهم من الرياحين اليهم وينادون ان الله عز وجل قد زاد فى النيل كذا وكذا فيستبشر الناس ويكثرون حمد الله والشكر له » .

وكان هذا شأن الاحتفال فى بداية العصر الاسلامى ، ولكنه أخذ يتطور فيذكر المسـعودى انه كانت توقد القناديل فى ليـلة الوفاء من كل سنة ، ويتخذون اشـارة عظيمة كبيرة تنصب حولها القناديل وتعلق بالحبال وتوضح بمركب وتسير فى النيل يمينا وشـمالا وتزف بالطبول ، فى ليلة يعم فيها الفرح والابتهاج(١٦) .

---

(١٣) يذكر المؤرخون العرب أن يوم الوفـاء هو يوم الزينـة وعد فيه فرعون موسى بالاجتمـاع وقد ربط بعض مفسرى القرآن بين قـوله تعالى اخبارا عن فرعون ( قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر النـاس ضحى ) وذلك لأن الاحتفال بالوفاء يكون ضحى ( النويرى : نهـاية الأرب جـ ١ ص ٢٦٤ ) المقريزى الخطط جـ ١ ص ٦٠ .
(١٤) جمال الدين الشيال : مقالة الاحتفال بوفاء النيل فى مصر الاسلامية ، مجلة الثقافة العدد ١٣٠ سبتمبر ١٩٤١ .
(١٥) ابن رستة : الاعـلاق النفسية ص ١١٦ .
(١٦) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٦٣ — ١٦٤ .

ولاشك أن النيل وشواطئه كانت من الأماكن المعروفة للاحتفال بعيد وفاء النيل وقد كان فى احدى هذه الاحتفالات على النيل ألفا مشعل وقد حضر الناس منهم فى الذواريق ( نوع من المراكب ) ومثلهم فى الدور الدانية وسائر الشطوط(١٧) . وهكذا تقام الاحتفالات على شواطىء النيل ومنتزهاته وفوق صفحته ... ورغم عدم اشارة المصادر فى هذه الفترة الى تفاصيل الاحتفالات ، الا أن كسر السدود والخروج لها فى العصرين الفاطمى والمملوكى ، والاحتفالات التى كان يخرج لها الخلفاء والسلاطين ، لم تكن الا امتدادا للاحتفالات فى عصرنا هذا ، وهم الذين توارثوها بدورهم عن العصور السابقة .

واذا تعرضت البلاد لنقص الفيضان ، اشترك المسلمون والاقباط واليهود فى صورة صلاة مشتركة .. فيشتركون جميعا فى صلاة الاستسقاء . اليهود وعلى رؤسهم التوراة والنصارى على رؤسهم الاناجيل ويخرج الاطفال من المكاتب وعلى رؤسهم الألواح ويذكر ساويرس ابن المقفع (١٨) ان القبط ( حاملين الصليب والأنجيل المقدس ووقفنا على شقة البحر قبل طلوع الشمس وصلى أبى وانبا مينا ولم يزل الجميع يصلون من أجل النيل ) ، وحتى يفيض على الأرض المصرية ، وذلك عندما نقصت مياهه فى ولاية أبى عون ١٣٢ - ١٣٦هـ/٧٣٩ - ٧٥٣م ، وكذلك خرج المسلمون مع القبط للاستسقاء فى ولاية حفص ابن الوليد الثانية ، حين اشتد القحط بمصر فخرج الناس للاستسقاء والدعاء (١٩) ، كل حسب الطريقة التى ترسمها عقيدته .

وهكذا كان الاحتفال بوفاء النيل فى مدينة الفسطاط ، ولا شك انه كان كذلك فى كافة المدن المصرية .. احتفالا بسيطا أول الأمر ، ولكنه تدرج من البساطة حيث كانوا يحتفلون فى حلقات بالمسجد تنثر فيها الرياحين على هذه الحلقات ، الى احتفال ضخم يقام على صفحة النهر الخالد ويخرج له أولو الأمر . كما أن الاحتفال بكسر السدود والمظهر الفخم فى عصر الفاطميين والمماليك لم يكن الانتاج هذه الفترة . وان كانوا فيما بعد أضفوا عليها مهابة وفخامة تتناسب فى هذه العصور من كون مصر مقرا للخلافة .

---

(١٧) نفس المصدر والصفحة .
(١٨) ساويرس بن المقفع : سير الآباء القديسيين ص١٩٨ - ١٩٩ .
(١٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٩١ .

## الاحتفالات المرتبطة بنهر النيل

بعد أن رأينا اهتمام المصريين بنهر النيل وفيضانه ، وارتباطه بحياتهم ، كان من الطبيعي أن يقيموا الأعياد المختلفة في مواسم مختلفة من السنة ، بعضها لاعتقادهم انها تجلب فيضانا مناسبا ، والبعض الآخر لمناسبات مختلفة ، تقام على ضفاف النهر فالسكان كانوا جميعا يشتركون في مظاهر اجتماعية عامة يحيونها جميعا ويحتفلون بها جميعا ، وهى الأعياد والمواسم والحفلات وضروب اللهو في البلاد .

وقد كان المصريون المسلمون يحتفلون بمجيع الأعياد النصرانية ، طوال العام وكانت معظم هذه الأعياد تتجلى فيها عادات أقدم من ذلك(٢٠) وغالبية هذه الأعياد والاحتفالات كانت تقام على ضفاف وعلى النهر الخالد وصفحته . واشتركوا ( المسلمين ) في الجانب الاجتماعي المسلمى لتلك الأعياد(٢١) وتشير المصادر(٢٢) الى أن المسلمين قد أبقوا على احتفال القبط بأعيادهم بل انهم شاركوا فيها ، وكانت غالبية تلك الاحتفالات تقام على ضفاف النهر أو فوق صفحته ، أو فى المتنزهات المحيطة به ، والأديرة العامرة بزهورها ومناطق اللهو بها .

### عروس النيل :

روى ابن عبد الحكم(٢٣) ان عمرو بن العاص عند فتح مصر أتاه أهلها وقالوا له « أيها الأمير أن لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما ذاك قالوا انه اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر ( بؤنة ) عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى هذا النيل ، فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فاقاموا بؤنة وأبيب ومسرى لا يجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء

---

(٢٠) منز : الحضارة الاسلامية ص ٢٧٦ .

(٢١) نفس المرجع والصفحة ، على حسنى الخربوطلى : الاسلام وأهل الذمة ص ١٦٨ .

(٢٢) المسعودى : مروج الذهب ١٦٠ ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٦٨ ـ ٦٩ ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ص ٣٦١ ، البيرونى : الآثار الباقية ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(٢٣) فتوح مصر وأخبارها ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

فلما رأى ذلك عمرو ، كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر قد أصبت أن الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة فالقها فى داخل النيل اذا أتاك كتابى ، فلما قدم الكتاب الى عمرو فتح البطاقة فاذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل أهل مصر ، أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وان كان الله الواحد القهار الذى يجريك فنسال الله الواحد القهار أن يجريك ، فالقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل ، فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا فى ليلة وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر » .

ولقد ثار جدل حول هذه الرواية وهل هى صحيحة أم انها مختلفة ونوجز هنا القول فنقول : فى مقال النيل كتب كرامرر Kramers يؤيد هذه القصة ويرى ان لها أصولا يمكن تتبعها الى عهود قديمة جدا وأنه بعد ابطال عمر بن الخطاب لهذه العادة ظل المصريون يلقون فى النيل دمية تمثل عروسا فى عيد الصليب(٢٤) .

ويقول على مبارك فى الخطط التوفيقية(٢٥) « ذكر المؤرخون انه كان للمصريين عوائد كثيرة عند الوفاء فمن ضمنها تغريق بنت بكر ... وبقيت هذه العادة الى زمن قسطنطين الذى أمر بابطالها وأصدر أوامره بذلك الا تعاد ، ومع ذلك يظهر أن هذه العادة غلبت على أوامر القيصر لأن مؤرخى العرب قالوا بأن هذه العادة ظلت جارية حتى منعها عمرو » .

على أية حال فلن نطيل فى مناقشة هذه القصة ، فمعظم المؤرخين المحدثين(٢٦) - ونحن معهم - يرفضون هذه القصة وانه لا يعقل الا تقضى المسيحية على مثل هذه العادة ان وجدت فى عهد الفراعنة وقد ثبت أيضا أن الفراعنة لم يتبعوا هذه العادة وهى القاء فتاة مزينة على قيد الحياة فى النيل(٢٧) .

---

(٢٤) Krmers Al Nil Ency of Islam.

(٢٥) جـ ١٨ ص ٣٠ .

(٢٦) بتلر : فتح العرب لمصر ص ٣٧٩ - ٣٨٥ ، جمال الشيال : مقالة الاحتفال بوفاء النيل فى مصر الاسلامية مجلة الثقافة العدد ١٤٠ لسنة ١٩٤١ . سيدة كاشف : مصر فى مجر الاسلام ص ١٧٥ .

(٢٧) نفس المرجع والصفحة .

غير ان بتلر يذكر ان لهذه القصة اساسا فى الحقيقة كما يبدو ، فقد كان من عادة أهل السودان فى أقصى أنحائه الجنوبية — ان ترمى قبائل الهمج فى النهر بفتاة عذراء فى زينة الزفاف — ، ولعل عادة كهـذه كانت متبعة فى بعض جهـات الهمج فى بـلاد النوبة التى فتحها الاسـلام فى أول الامـر (٢٨) .

ومسألة عروس النيل معروفة منذ القدم ولكن المؤرخين الاسلاميين اعتبروها حقيقة لا مجازا ، ولقد كان المصريون فى العصر القديم يزوجون تماثيل النيـل بتماثل عروسـة(٢٩) وهذا رمز لمـا يرى المصريون ان يقدموه من واجب كهدية للنيل . ويبدوا ان رمى عروس فى النيل عادة لم تكن موجودة فى العصر الفرعونى وانه لا يعقل الا تكون المسيحية قـد ابطلتهـا .

**عيـد الغطـاس :**

**من الاعياد التى تقوم على شاطىء نهر النيل وترتبط به « عيـد** الغطاس » ويرتبط بالعقيدة المسيحية ، الا انه كان يقام على شاطىء نهر النيل أحتفالات كبيرة ومن تقاليدها ان من يغطس فى ماء النيل فى هذه الليلة آمن من المرض (٣٠) .

ولقد كان من الرسوم القديمة بمصر ان يركب متولى الشرطـة السفلانية ليلة الغطاس ، فى موكب كبير (٣١) وتوقد بين يديه الشموع الموكبية والمشـاعل ، فيطوف الشـوارع وينادى فى النـاس الا يختلط المسلمون بالنصارى فى تلك الليلة والا ينكدوا عليهم عيدهم وذلك أن النصارى كانوا فى سحر تلك الليلة يخرجون الى شاطىء النيل ويغطسون

---

(٢٨) بتلر : فتح العرب لمصر ص ٣٧٩ — ٣٨٥ .
(٢٩) Wiet : Precis. t. H P 144 .
(٣٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٦٤ ،
ترتون : اهل الذمة فى الاسلام ص ١١٥ ، القاهرة ١٩٦٧ ويعتقد المسيحيون انه فى يوم الغطاس عمد يحيى بن زكريا المعروف باسم يوحنا المعمدان المسيح ، أى غسله فى مياه نهر الاردن حيث اتصل به روح القدس فصار المسيحيون يغطسون اولادهم فى ذكرى هذا اليوم — رغم برودة الجـو فى ذلك الوقت — فيذكر القلقشـندى ان المصريين يقـولون غطستم صيفتم ونورزتم ، شتيتم ، صبح الاعشى جـ ٢ ص ٤٢٦ .
(٣١) متز : الحضارة الاسـلامية جـ ٢ ص ٢٨٣ .

فيه وكان رسم الملكانيـــة أن يخرجوا من كنيســـة ميكائيل التى بقصر النيل فى جمع وفير ، بالقراءة الملحنة ( والصلبان المشهورة ) ويصلوا ويحطب الأسقف المرأس عليهم باللغة العربية ، ويدعوا للسلطان ، وكان لاهل مصر وأهل الملل والمذاهب بهذا العيد من الطيبة والفرح ما لا يكون لهم فى غيره من أيام السنة وأعيادها » (٣٢) ٠

ولا شك أن هذا العيد من الأعياد القديمة السابقة على فتح العرب لمصر وكان يقام ولا يزال (٣٣) ليلة الحادى عشر من طوبة ، وأول من أشار الى هذا الاحتفال فى المراجع العربية هو المســـعودى (٣٤) اذ يقول « ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام فيها وهى ليلة احدى عشر مضى من طوبة وستة من كانون الثانى ، ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر والأخشيد محمد طغج فى داره المعروفة بالمختارة فى الجزيرة الراكبة للنيل ، والنيل يطيف بها ، وقـد أمر فاسرج من جانب الجزيرة ، وجانب الفسطاط ألف مشـعل ، غير ما اسرج أهل مصر من المشاعل والشمع ، وقد حضر النيل فى تلك الليلة مئات الألوف من الناس المسلمين والنصارى ، منهم فى الزواريق ومنهم فى الدور الدانية من النيل ، ومنهم على الشطوط لا يتناكرون الحضور ويحضرون كل ما يمكنهم اظهاره من المأكل والمشارب والملابس ، والآت الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف ، وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ، ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم فى النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ومبرىء للداء » ٠ ولكن ربما كان المقصود بهذه الليلة هى الوفاء وليس الغطاس ٠

وهكذا كان يشارك المسلمون فى الاحتفال على ضفاف نهـر النيـل وعلى صفحته بهذا العيد القبطى ، وكان صاحب الشرطة بالفسطاط يقوم بتنظيم هذا الاحتفال والاشراف عليه ، نظرا لضخامته ، فهذا ابن سعيد يقول « أنه كان لأهل الملل والمذاهب فى هـذا العيد من الطيبة والفرح ما لا يكون فى غيره من أيام السنة وأعيادها (٣٥) ٠ وكانت العادة فى هذا العيد أيضا أن يضاء ســـوق الشماعين باضاءة كبيرة ، وان تفتـح

---

(٣٢) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ٠

(٣٣) مازال حتى اليـوم يحتفل بليلة الغطاس ويحسب عليهـــا الفلاحون موعد عوده الدفىء والمحاصيل ٠

(٣٤) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ٠

(٣٥) يحيى بن سعيد : تاريخ يحيى ص ١٩٦ ـ ١٩٧ ٠
المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٦٤ ٠

حوانيته الى ما بعد منتصف الليل ، حيث يقصد هذا السوق كثير من الناس (٣٦) .

## عيد الشهيد :

ومن الاعياد التى كانت تقام على ساحل النيل عيد الشهيد ، فقد كان الأقباط يحتفلون بعيد الشهيد ، حيث كانوا يلقون فى النيل تابوتا من الخشب فيه اصبع من أصابع أسلافهم ويزعمون أن النيل لا يزيد فى كل سنة ألا بهذا الأصبع ، وكان اجتماع الناس فى هذا العيد عند ساحل النيل ، وكان يرحل اليه عالم عظيم للفجور واللهو والفسق « وتصرف أموال لا تحصى ويتجاهر بما لا يحتمل من المعاصى والفسق « كما أنه » لا يبقى مغنى ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ولا بغى ولامخنث ولا ماجن ولا خليع ولا فاتك ولا فاسق الا ويخرج لهذا العيد وكان يباع فيه من الخمر خاصة بما ينيف على مائة ألف درهم » (٣٧) وكان ذلك العيد يقام فى اليوم الثانى من بشبس(٣٨) وكان حافلا كما بينا بالملاهى واللعب واللهو .

ولاشك أن هذا العيد كان أيضا من الاحتفالات المتوارثة من قبل الفتح العربى لمصر ، فلا يعقل أن يكون محدثا بعده ، وان كان ابن عبد الحكم لم يشر اليه وكذلك المسعودى الذى وصف عيد الغطاس وصفا دقيقا (٣٩) ، الا أن على مبارك (٤٠) يقول « أنه يظن أن عيد الشهيد هو العادة التى أبطلها عمرو بن العاص أيام فتح مصر بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » وهو يرى بهذه الاشارة أن عيد الشهيد هو تطور للاحتفال بعروس النيل .

ويذهب ابن فضل الله العمرى الى ما ذهب اليه المقريزى فيقول « أنه اذا كان أوان تحرك النيل يخرج تابوت يقال أن فيه أصبح الشهيد ، ويرمى به البحر ( يقصد نهر النيل ) وذلك لوقت معلوم يسمونه عيد الشهيد ، ويكون الذى يرميه بعض أعزاء كبراء القبط ، عادة كنت

---

(٣٦) المقريزى : جـ ٢ ص ٩٦ .

(٣٧) نفس المصدر جـ ١ ص ٦٨ – ٦٩

(٣٨) نفس المصدر ص ٦٨ .

(٣٩) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٦٣ – ١٦٤ .

(٤٠) الخطط التوفيقية جـ ١٩ ص ٣١ .

اسمعها لا تتغير ، ويظن القبط أن رمى الاصبع سبب الزيادة وانما هو بمشيئة الله وقدرته (٤١) ٠

ونحن لا نذهب الى علاقة عيد الشهيد بتطور الاحتفال بعروس النيل الذى ألغاه عمرو بن العاص ، ونرى أن هذا العيد عيد قبطى متوارث وربما كانت له أصول فرعونية ، ولكنه تطور الى مهرجان يقام على ضفاف النهر ، كما يقول المقريزى (٤٢) ٠

**عيد النيروز :**

وكان عامة المصريين من مسلمين وأقباط يشتركون فى احتفالهم على ضفاف النهر وشواطئه ، بعيد النيروز (٤٣) وهو أول السنة القبطية « وفيه تشعل النيران وترش المياه » ولا شك أن هذا العيد كان يقام حول ضفاف النهر ، وكانت المياه المستخدمة فى الرش من مياه نهر النيل ٠

ومن عادة العامة ( مسلمين وأقباط ) بمصر فى ذلك العيد أن بنتحبوا يختاروا ) رجلا يسمونه أمير النيروز ، فيطلى وجهه بالدقيق ، ويركب فى الشوارع على حمار وعليه ثوب أحمر أو أصفر ، ويسير مع جمع كبير ويتسلط على الناس فى طلب رسم رتبه ، وفى يده دفتر مثل دفتر المحتسب ، فمن لم يدفع الرسم يرش بالماء ممزوجا بالأقذار ، وكان الناس يضرب بعضهم بعضا بالجلود والانطاع ، الفقراء فى الشوارع ، والأغنياء فى دورهم ، ورجال الشرطة لا يعترضون على ذلك وان خرج أحد من بيته ، لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته ، فاما أن يفتدى نفسه واما أن يفضح وكان يرش الناس الماء فى الحارات ويحيى فى

---

(٤١) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ص ٣٦١ ٠

(٤٢) الخطط جـ ١ ص ٦٨ ــ ٦٩ ٠

(٤٣) يذكر البيرونى : الآثار التاقية ص ٢١٦ ــ ٢١٧ طبعة سخاو عن أصل النيروز أنه يرجع الى سليمان بن داود لما فقد خاتمه ، ذهب عنه ملكه ثم رد اليه بعد أربعين يوما ، عاد اليه ملكه واتته الملوك ، وعكفت عليه الطيور فقالت الفرس « نوروزامد » أى جاء اليوم الجديد فسمى هذا اليوم النوروز ، وأمر سليمان الريح فحملته ورآه خطاف فقال أيها الملك أن لى عشا فيه بيضا فاعدل لا تحطمها ، فعدل سليمان ، ولما نزل على الارض ثانية حمل الخطاف فى منقارة ماء فرشه بين الملك وأهداه رجل جواد كذلك ، أصل رش الماء والهدايا فى النوروز ٠

الدور أهل الخسارات ، وكان التلاميذ فى مكاتبهم يهجمون على معلمهم وكثيرا ما يرمونه فى البئر حتى يفتدى نفسه ..... » .

كما يضيف القلقشندى (٤٤) أنهم « يظهرون فيه من الفرح والسرور وايقاد النيران وصب الامواه ، اضعف ما يفعله ويشاركهم فيه العوام من المسلمين .. الا أن أهل مصر يزيدون فيه التصافح بالانطاع وبما يحمله ترك الاحتشام على أن يتجرأوا على الرجل المطاع ، ولولا أن ولاة الأمر يردعونهم ويمنعونهم من ذلك لمنعوا الطريق من السالك وهم مع ذلك من ظفروا به لا يتركونه الا بما يرضيهم » .

وفى ولاية أبى القاسم ابن الأخشيد أمر بمنع صب الماء وذلك فى سنة ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م (٤٥) وفى سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٧ م أمر الفاطميون بأبطال هذا العيد ، ولكن لم يحدث شىء من ذلك (٤٦) اذ احتفل به فى العام التالى بصورة أكبر .

## احد الشعانين :

من الأعياد التى كانت تقام فى المنتزهات والحدائق ويشارك عامة المسلمين القبط الاحتفال بها أيضا هو عيد « أحد الشعانين » وهو عيد قديم من أعياد الأشجار خاصة الزيتون وكان القبط يسمونه « عيد أحد السعف » وكان من عاداتهم أن يقطعوا قلوب النخل وسعفه (٤٧) وأغصان الزيتون (٤٨) وتزين الكنائس فى هذا العيد بهذه الأغصان من الزيتون،

---

(٤٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٢٦ .

(٤٥) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٩٤ .

(٤٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٦٩ ، ص ٤٩٣ ، ويذكر ادم متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٨٩ أن هذه العادة تشبه عيد الكرنفال شبها واضحا ، لأن أيام الكبس التى تنتهى بها السنة القديمة عند الجميع يكون فيها الأمير من الغوغاء ، وهى تسير مع النيروز وتتمشى مع القمر متنقلة فى التقويم القديم .

(٤٧) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٦٤ ويذكر القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٢ ص ٢٤٥ أن كلمة شعانين تعنى التسبيح وأنه يكون فى سابع أحد من صومهم وهو يوم ركوب المسيح لليعفور « الحمار » فى القدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه .

(٤٨) متز : الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٧٨ ، مجلة الشرق جـ ٨ سنة ١٩٥٥ ص ٢٤٢ .

وبقلوب النخل ( شعف النخيل فى قلب السعف ويكون أبيض اللـون ) ، كما توزع هذه الأغصان وقلوب السعف ، والسعف على الناس على سبيل التبرك ويعلقونهـا على الدور ويمسكونها بأيديهم فى الطرقات (٤٩) ومازالت الاحتفالات بهذا العيد كما هى وبنفس الصورة الى يومنا هذا .

**عيـد الصليب :**

وقد كان لهذا العيد أيضا موسم عظيم ، يخرج الناس فيه الى بنى وائل بظاهر الفسطاط ، وعلى ساحل النيل « ويتظاهرون فى ذلك اليوم بالمنكرات من أنواع المحرمات ويمر لهم فيه ما يجاوز الحد » (٥٠) . وكان هذا العيد يقام فى السابع عشر من توت (٥١) وكان يشارك فيه المسلمون والمسيحيون فى اللهو واللعب .

**الاحتفـال بفتح الخليج :**

لا شك أن فتح الخليج الذى تطور الى احتفال مهيب فى العصرين الفاطمى والمملوكى ، كانت بدايته فى عصر الولاة وقد كان على النيل فى جزئه الأدنى سدان من تراب فى القرن الرابع الهجرى ـ ولا شك أن ذلك كان منذ أول الفتح ـ أحدهما بعين شمس وكان سـدا بالحفاء والتراب وكان يقام قبل زيادة النيل ، فاذا أقبل الماء رده السد ، وعلى المـاء يسقى ما وراء السد من الضياع ، وكان هذا السد على فم خليج أمـير المؤمنين ، وكان يفتح يوم عيـد الصليب ، والسد الآخر وكان بنـاء وهو يقع بسردوس أسـفل عين شمس ، ويبين بفتحه النقصـان فى النيـل (٥٢) .

ولا شك أنه كان احتفال بهذه المناسبة منذ الفتح العربى ، وحتى تطور الاحتفال بهذا العيد ، وعلى أية حال لابد أنه كان فى هذه الفترة بسيطا ولكنه تطور الى الضخامة والفخامة فيما بعد .

احتفالات أخرى على شـاطىء النهر :

**رؤيـة هلال رمضـان :**

كان الناس يخرجون على شاطىء النيل لاستطلاع هلال شهر رمضان حتى يمكن تحديد موعد الصوم ، ففى أيام القاضى ابن لهيعة اختلف فى

---

(٤٩) نفس المرجع والصفحة .

(٥٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٦٦ .

(٥١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٢٨ .

(٥٢) متز : الحضـارة الاسلامية جـ ٢ ص ٣٣٦ .

رؤيه هلال رمضان ، فبعث الأمير موسى بن على بن رباح ١٥٦ — ١٦١ هـ / ٧٧٢ — ٧٧٧ م الى ابى لهيعه أن يتحرى رؤية الهلال .

فاستن ابن لهيعه سنة جديدة ، وهى الخروج لرؤية الهلال على شط النيل مع نفر من أهل المسجد ، فيخرجون الى شاطىء النيل ويعبرون الجسر الى الجيزة ، ويطلبون رؤية الهلال فى جنان ابن أبى حبش التى كانت على شاطىء النيل (٥٣) .

## السباق على النيل :

ومن هذه الاحتفالات ، سباق الخيل ، وكانوا يسمونه « يوم الرهان » ففى ذلك اليوم يذكر الكندى (٥٤) أن القبائل كانت تخرج جيادها فى يوم يسمى « يوم الرهان » وقد أخرجت فى احدى هذه الأيام « مرادا فرسا لها يوم الرهان ، وكانوا يفخرون به ويسمونه الزعفران ، وأخرجت يحصب فرسا لها يسمى الجناح ، وجعل كل فريق منهم لصاحبه أيهم سبق ، وأيهم المسبوق له وجعل غايتها من جنان قيس بن حبش الى منية المتولى(٥٥) .

وهكذا كان يقام على شاطىء نهر النيل وفى المنتزهات المحيطة به سباق للخيول العربية ، التى حرص العرب الاوائل على الاهتمام بها وتربيتها ، وكانت شواطىء النيل من الأماكن التى تتدرب عليها وتربى هذه الخيول التى مازالت تحظى بشهرة واسعة الى وقتنا هذا .

## صلاة الاستسقاء :

ويمكن أن نطلق على هذه الصلاة ، «احتفال من أجل النيل»، وكان يجرى على ضفافه ، وتشترك فيه كل عناصر الأمة مسلمين ونصارى ويهود . وكانت هذه الصلاة تقام اذا ما نقص النيل فى موعد الفيضان وأحس الناس بالخطر على حياتهم ، وبلادهم ، فيخرج الناس حفاة وعلى رؤسهم المصاحف ، واليهود وعلى رؤسهم التوراة والنصارى وعلى رؤسهم الأناجيل ، ويخرج الأطفال من المكاتب وعلى رؤسهم الالواح ، ويذكر ساويرس بن المقفع (٥٦) أن المسلمين والقبط صلوا من أجل

---

(٥٣) الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٧ .

(٥٤) نفس المصدر السابق ص ٤٠٢ .

(٥٥) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٥٦) ساويرس بن المقفع : سير الاباء البطاركة ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

النيل عندما نقصت مياهه فى ولاية أبى عون على مصر ١٣٢ ــ ١٣٦هـ/ ٧٤٩ ــ ٧٥٣ م ، وكذلك خـرج المسلمون مع القبط للاستسقاء فى ولاية حفص بن الوليد الثانية حين أشتد القحط بمصر ، فخرج حفص مع الناس للاستسقاء ودعى الله وصلى (٥٧) وكان ذلك على شاطىء النيل ٠

كما تذكر ا ٠ ل تبشر (٥٨) ما رواه يوحنا شماس خائيل من أنه يوم عيد الصليب اجتمع قساوسة الجيزة وجمهور من سكان الفسطاط ، ومن رجال وشيوخ وأطفال وساروا فى احتفال كبير ، وفى أيديهم الأناجيل والمجامر يفوح منها البخور ، ودخلوا جميعا كنيسة مار بطرس الواقعة على شاطىء النيل ، فلم تسعهم الكنيسة على سعتها ، فظل أكثر الناس وقوفا خارجها ، ثم حضر البطريرك ، ورفع الصليب ، بيمينه وفى كل يد من القسس صليبا وساروا حتى وصلوا الى شاطىء النيل ، وكان ذلك قبل طلوع الشمس وأخذ جمهور الحـاضرين يردد فى الفضـاء بالقبطية « كيريلايصون » أى يارب ارحم » واستمرت الصـلاة حتى الثالثة ، وحين استيقظ المسلمون واليهود ، كان الله قد استجاب لدعائهم وزاد النيل وعجب الوالى واندهش لما حدث » ٠

**أماكن الاحتفـالات والأعيـاد :**

كان شاطىء النيل وصفحته هى المسرح الأساسى للاحتفالات المقامة فى غالبيتها (٥٩) فعلى ضفاف النهر وعلى صفحته ، وفى منتزهاته كانت تقام معظم هذه الاحتفالات فيخرج المصريون جميعا مسلمين وأقبـاط ويهود الى ساحته للاحتفال بأى من هذه المناسبات والأعياد التى ذكرناها ٠

وكانت المنتزهات من الأماكن التى يقصدها الناس للاحتفال مثال ذلك « جنان بن أبى حبش وجنان قيس بن حبش (٦٠) وغيرهـا من المنزهات والبساتين والضياع فى الفسطاط والجيزة ، وهى الأماكن التى كان يقصدها المصريون للاحتفالات المختلفة (٦١) ٠

---

(٥٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٩١ ٠
(٥٨) تبشر ٠٠ : تاريخ الأمة القبطية جـ ٢ ص ٢٩٣ ــ ٢٠٤ القاهرة ١٩٠٠ ــ ١٩٠٦ م ٠
(٥٩) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٦٣ ــ ١٦٤ ٠
ساويرس بن المقفع : سير الآباء القديسين ص ١٩٩ ــ ٢٠٠ ٠
(٦٠) الكنـدى : الولاة والقضـاة ص ٣٧ ، ص ١٠٢ ٠
(٦١) ابن رسته : الاعلاق النفيسـة ص ١١٦ ٠

وكانت الأديرة من الأماكن الهامة التى كانت تحــوى المنتزهات المليئة بالورود والرياحين والأشــجار ، وهى أماكن هادئة فسيحة كان يقصـــدها اللاهون ، وكانتا من الأماكن ، التى يخرج اليها الناس فى المناسبات والاحتفالات ومن هذه الأديرة « دير نهيا » ودير عيسى وديــر مرحنا ودير القصير ... وغيرها .

( دير نهيا ) وقد وصفه ابن فضل الله العمرى وهو الدير القريب من الجيزة حيث كان يخرج اليه كثير من أهل الفسطاط بقـــوله « من اطيبها موضعا برهبانه وسكانه وله فى النيل منظر عجيب لأن الماء يحيط به من جميـــع جهاته ، ويزيد فى حسن منتزهاته ، فاذا انصرف المـــاء أظهرت أرضه غرائب النوار وعجائب الزهور المشرقة الأنوار ، وله خليج ينساب انسياب أرقم وعليه شطوط كأنها بالديباج ترقم » (٦٢) .

( دير مرحنا ) على شاطىء بركة الحبش ، قريب من البحر(٦٣) والى جانبه بساتين يقرب من هذا الدير بئر تعرف ببئر نجاتى عليهـــا جميزة تجتمع الناس اليها ويشربون عندها فهذا الموضع من مواضــــع اللعب ومواطن اللهو والطرب « نزهة فى أيام النيل وزيادته وامتـــلاء البركة ، حسن المنظر نزه البقاع وكذلك فى أيام الزرع والنوار ، ولا يكاد يخلو من المتطرحين والمتنزهين » وقد ذكره الشعراء لما له من حســـن ومتنزهـــات .

وكان ابن البصرى ، وهو أحد شعراء الأخشيدين يذهب الى هــذا الدير فكان اذا سار ، مع أقوام من اخوانه قال لهم صفوا لى موضعكم حتى الحق بم وكان مليحا كثير المنادمة » (٦٤) .

وقد وصف دير مرحنا بقوله :

يا حـــامل الكأس أدرها واسقنى
فقد ذعر الشــوق فؤادا ما انذعر

اما تـــرى البركة مــــا أحسنها
اذا تداعى الطير فيها فصفر(٦٥)

---

(٦٢) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ص ٣٠٠
(٦٣) الشابستى : الديارات ... ص ١٩٧ ــ ١٨٨ بغداد ١٩٥١م .
(٦٤) نفس المصدر ص ١٨٨ .
(٦٥) نفس المصدر والصفحة .

وكانت هناك أديرة أخرى مثل دير عيسى بدمنهور والدير الأبيض بالقرب من سوهاج ... وغيرهـا

وكان الشعراء وغيرهم ، من أصحاب اللهو يذهبون الى الأديرة ، مثل دير القصير ودير نهيا ، ودير مارحنا ويصفون نزهتهم بها ولهوهم وقد ذكر أحد الشعراء الأخشيديين وهو أبو هريرة بن أبى العصام :

كم لى بدير القصـــير من قصف
من كل ذى صـــبوة وطـــرف

وكانت هذه الأديرة ببساتينها الفسيحة وقاعات شرابها الباردة ، ومصايد الغزلان فيها بجانب الأهرام ، وبساتين المقس وملعب دير مرحنا، واحسنها كلها دير القصير وكان على جبل المقطم وكان له منظر جميل . وقد أمر أبو الحبش خمارويه بن أحمد بن طولون أن تبنى له على دير القصير طبقة لها أربع طاقات على الجهات الأربع(٦٦) . على أية حال كانت الأديرة مقصد المصريين على اختلاف أديانهم للتمتع بحدائقها(٦٧).

---

(٦٦) متز : الحضـارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٦٧) على حسنى الخربوطلى : الاسلام وأهل الذمة ص ١٧١ ، القـــاهرة ١٩٦٩ م .

## أثـر النيـل فى تكوين المجتمع المصرى

كان لنهر النيل فى انسيابه فى سهولة ويسر ، حاملا معـه الخصب والنماء الى أرض مصر ، وفى مواعيد ثابتة ، غاية الأثر فى تكوين المجتمع المصرى . فالوطن المصرى يدين بوجوده الى النيل ، وترتبط حضارتـه ومعيشة أهله وطرق حياتهم ومؤثراتهم ، وتقاليدهم بالنظام الذى فرضه جريان النهر ، وفيضانه المنتظم فى كل عام ، فاذا كانت مصر هبة النيل كما يقول « هيرودوت » واذا كان النيل قد وهب مصر وأديا أخضر وسط صحراء قاحلة ، يفيض بالخير والثروة فان النيل ايضا قد رسم معالم الحضارة الأولى فى واديه ، وعلم المصريين على مر عصورهم النظـام وطبعهم بالوحدة وجعلهم يمعنون الفكر فى تنظيم جريه وفيضـانه كل عـام .

وقد استمدت والشخصية المصريةأصالها ، من أصالة الحياة فى مصر وطبعتها بتلك العوامل المحددة ، بطابعها الفذ وأبرز ما يتسم به تكوين المجتمع المصرى سمتان : وحدة الشعور ، والأخرى الأصالة الدينية ، وما من سمة من هاتين الا تتصل بعامل من تلك العـوامل التى فرضت نفسها على البيئة والتاريخ فى مصر فالنيل .... النهر المؤمن « وهو من انهار الجنة والله خلق نيل مصر معادلا لانهار الدنيا ومياهها »(٦٨).

فوحدة الشعور لا شك وليدة تلك العزلة انتى ضربت استارها على الوادى لاحقاب طوال كما هى وليدة التشابه والاتساق الذى يسير عليه النهر فى جريه وفيضانه وتلك الصور المتكررة للارض فى زرعها وحصادها وكان النيل « بتقدير وتدبير » (٦٩) .

والأصالة الدينية وليدة الاستقرار والتأمل لطبيعة الوادى ، ووحدة الشعور التى تربط المصريين بعضهم الى بعض ، كما تربط حاضرهم بماضيهم هى وليدة البيئة ، فالنهر بفيضه الزاخر ، الذى يكتسح القرى والسدود ، ويغمر الأرض والزروع ، ويدعو القوم الى السهر عليه وحماية أرضهم وأنفسهم من طغيانه ، تدفعهم روح الجماعة بكل ما فيها من حوافز الحرص على الحياة ، والشعور الواحد بما يتعرضون له من خطر ما لم

---

(٦٨) ابن الكندى : فضـائل مصر ص ٥٩ .

(٦٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٦ .

يروضوا النهر على هواهم ولمنفعتهم (٧٠) واذا كان القول الشائع ان مصر هبة النيل فالحقيقة ان مصر هبة المصريين الذين أقاموا كل شيء في مصر ٠ ان مصر أرض شكلتها الطبيعة وشكلها الانسان شيئا له ذاتية وأهمية ، وهي وطن مجتمع من بني البشر تربطهم بعضهم ببعض روابط مادية ، انها وطن مجتمع مغاير لمجتمعات بشرية أخرى (٧١) ٠

ان مصر هبة المصريين ـ وهل يمكن أن تكون الأمر غير ذلك ؟ ان النيل منبع حياتنا وان مصر ما هي الا الأراضي الواقعة على ضفتي النهر ، وأنه ليس لها من حدود الا المدى الذي تصل اليه مياه النهر « والزرع ما بين الجبلين من أول مصر الى أخرها مما يبلغه الماء (٧٢) ».

ومع ذلك فان المصريين هم الذين خلقوا مصر ولنتأمل النيل مجتازا آلاف الأميال من خط الستواء الى البحر المتوسط ، هل نجد على طول مجراه الا مصرا واحدة متحضرة على مدى العصور ، مترابطة على العصور٠ان هبات النيل كهبات الطبيعة سواء بسواء طائشة عمياء ، اذا ما تركت دون ضبط ، فانها تدمر كل شيء ، وتخلف خلفها المستنقعات ، والانسان وحده هو الذي يستطيع أن يجعل من هذه الهبة نعمة لا نقمة ، وقد كان ذلك ما عمله الانسان في مصر ، فمصر هبة المصريين ٠ ولذلك قامت الحياة في مصر على عاملين : نظام اجتماعي ثابت يقوم على ضبط النيل ، وانسانية نمت في جو خالص وتطورت حتى أيامنا هذه (٧٣) ونقطة البدء في تقدم مصر ٠ تكمن في مواطن الجماعات المصرية الأولى ٠ والتي أصبحت في عصرنا الذي نتحدث عنه « كور » وهو الاصطلاح اليوناني الذي استمر طوال عصر الولاة ٠ وان الجماعات في الكور كانت تربطها بعضها الى بعض صلات ومصالح بدأت واستمرت متميزة بعضها عن بعض عقيدة ومصالح ٠

وان مصر كانت ثمرة اتحاد هذه الكور ، فغلب عليها بعد الاتحاد صفة كونها اقساما ادارية ، ومهما كان الأصل والمنشأ فان نصيب الكور في تكوين المجتمع المصري أمر بالغ الأهمية (٧٤) ٠

---

(٧٠) حسين فوزي النجار : المقومات التاريخية للشخصية المصرية المجلة العدد ١٢ ديسمبر ١٩٥٧ ٠

(٧١) محمد شفيق غربال : تكوين مصر ص ٣ ، القاهرة ١٩٥٧ ٠

(٧٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦ ٠

(٧٣) شفيق غربال : تكوين مصر ص ٥ ٠

(٧٤) شفيق غربال : تكوين مصر ص ٢٣ ٠

وكانت ضرورة الزراعة وضرورة السيطرة على النهر هذه الضروريات جعلت المصريين ، لابد أن يضعوا النهر كله تحت اشراف موحد مركزى وهذا أدى الى الحط من قدرة الفرد والزامه بألا يخرج عن عمله المتكرر. ووجود سيطرة مركزية ، وحصر السلطان فى قلة متسلطة كانت الجماعات تشقى وتكدح فى توفير وسائل الراحة لها .

وترجع هــذه الامور الى عوامل طبيعية مستقرة فى أسس الحياة فى مصر ، وهى عوامل تعمل بانتظام ، وتواصل عملها عاما بعد عام ، دون تغيير جوهرى فيها أو دون تغير ملحوظ فتوالى الفصـــول واختلافها والحرارة والرطوبة ، واتجاه الريح وسرعتها وفيضان النهر وانخفاضه ، كل هذه الظواهر الطبيعية ، تجرى فى نسق متكامل منتظم الحـــركة « وليس فى الدنيا نهر يزيد بترتيب غير نيل مصر » (٧٥) لا يتغير فى عام عن عام آخر بل هو مستمر مستقر . كما أن ما يحدث من التغيرات يخضع لنظام دورى رتيب وبيئة هذا شانها لابد وأن يجرى كدح الانسان وكده فيها على سنن منتظمة . ولابد أن يكون ثابتا متواصلا وان يجرى على نسق تصنعه سلطة عليا واحدة ، اذ أن أى اختلال فى هذا النظام يعقبه دمار وكوارث ، وهذا عمرو بن العاص يستشير المقوقس فى خـير وسيلة لحكم البلاد ، فأشار عليه ـ بأن يستخرج حراج مصر فى أوان واحد ـ أن يدفع خراجها فى أوان واحد ـ تحفر خلجها فى كل عام ـ ان تصلح جسورها وتسد ترعها ـ الا يختار عاملها ظالمـا ليلى أمر الناس ، وهذا فى صورة مستمرة ومتوالية ومستقرة (٧٦) . ومن هذا يتضح أهمية وجود نظام حتى يستطيع أن ينهض بهذه الأعباء ، فكانت الحكومة المركزية فى مصر الاسلامية ، على رأس النظام حتى يحقق خير وسيلة لحيــاة البـــلاد .

ومصر التى بناها المصريون على مر العصور تتقاضى من بناتها ثمن بقائها ، وتفرض عليهم نوعا من الحياة التى يحبونها فقد بلغ من سيطرة مصر على ساستها وقادتها وقـادة أمرها ورسم خطط ادارتها واستغلال مواردها ، واذا استعرضنا معظم الولاة ، نجد أن الأعمــال هى هى لم تتغير الا فى الاسماء والأعوام . ولكن عندما يعتنى بها حاكموها تعطى

---

(٧٥) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٦٣ .
(٧٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦١ .
بتلر : فتح العرب لمصر ص ٣٩٦ .
شفيق غربال : المرجع السابق والصفحة .

ثمار هذا الاهتمام كما حدث فى عهد الطولونيين وازدياد الرخاء فى عصرهم (٧٧) .

لقد جعل مؤسسو مصر منها ضيعة ، وكان من الضرورى من أجل استغلالها ان يخضعوا سكانها للحكم المطلق فيجنون بذلك ثمرة تنظيمهم لموارد المياه وموارد التربة ، فلا تضيع من المـــاء قطرة ولا يبقى من الأرض شيء غير مزروع(٧٨) .

وظلت مصر وحضارتها ، حضارة مجتمع ريف خلال الآلاف من تاريخها حتى اليوم . ولقد كان لمصر مراكز حضـارية وكان لهذه المراكز مكانة فى حياة البـــلاد ، مثل الفسطاط والجيزة والاسكندرية وتنيس ودمياط ورشيد والقلزم وعيذاب والبهنسا وأخميم والفيوم والاشمونيين .... الخ الا أن الحضارة مع ذلك كانت حضارة الريف وسكان الريف ولم تكن حضارة المراكز الحضارية . كانت هناك قرى كبيرة وكما ذكرنا قامت بما تقوم به المدينة اذ كانت مراكز الادارة المحلية وفيها كان السوق والمواسم وغيرها . حقيقة كانت فى المدن الكبرى كالفسطاط أسواق كبيرة، وكان فى الجيزة سوق شهير يوم الأحد (٧٩) ألا أن ذلك لم يقم بما قامت به القرى الكبيرة .

وفى أثناء الفيضان كانت القرى تحاط بالماء ، ولا يصـــل اليها الا بالمراكب كما يقول المسعودى ويذكر هذه القرى فيقول « وكورها نيف وثمانين كورة ليس منها كورة الا وفيهـــا طريفة أو غريبة لا تكون فى غيرها »(٨٠) . وهذا ساعد على تنوع منتجات مصر وساعد النيل على ربط هذه الكور والبلاد وأثر عليها تأثيرا كبيرا « تؤتى هذه الكور والمدن فى الماء ويحمل ما يكون بها من الطعام والأمتعة الى فسطاطها » (٨١) .

---

(٧٧) حسن أحمد محمود : حضـارة مصر الاســـلامية العصر الطولونى ص ٢٢٦ ــ ٢٣٥ ، القاهرة ١٩٦٠ م .

(٧٨) شفيق غربال : تكوين مصر ص ٣٦ .

(٧٩) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٠٥ .

محمد محمود ادريس : الحياة الزراعية فى مصر ص ١١٢ .

شفيق غربال : المرجع السـابق والصفحة .

(٨٠) المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ١٦٢ وابن حوقل : صورة الأرض ص ١٣٧ .

(٨١) ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ١١٦ ، النويرى : نهـاية الارب ج ١ ص ٢٦٤ .

وقد أسقط العرب من ديوان العطاء فى مصر وفقدوا امتيازاتهم العسكرية والسياسية والاقتصادية وبدأوا فى النزوح الى الريف للاستقرار فيه والاختلاط بالمصريين ، فنشأت الحركة الاسلامية النامية فيها(٨٢) . وكان من خير أراضى مصر بعد نزول العرب بأريافها واستيطانهم وأهاليهم فيها » (٨٣) كما كان الكثيرون يستغلون الأراضى الزراعية فى الريف فيستأجرونها أو يتقبلونها أو يشترون الضياع الواسعة(٨٤) . وكان منهم من له بمشتول « قدر ستين ألف أردب قمح « والمقريزى(٨٥) يعجب من سعة ماله فيقول « كيف كان له فى قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح » .

على أى حال كانت هناك غالبية ريفية ، وفى بعض المدن والمراكز نشأت فيها طبقات ولا سيما فى العصر الطولونى بسبب استقرار الأحوال الاقتصادية وسيادة الأمن ، الأمر الذى انعكست آثاره على حياة البلاد كما استقر العرب فى الريف توطئة للاندماج التام فيم . الى جانب ذلك نشطت التجارة مع بقية العالم ، ومع تلك البلدان فيما وراء البحار فى قارتى آسيا وأفريقيا التى وصل اليها نشاط التجار المسلمين .

وهذا الاتصال المستمر بالعالم الخارجى هو الذى ميز مصر الاسلامية عن تاريخ المسيحية(٨٦) . فمصر بموقعها الممتاز على البحرين الأحمر والمتوسط ، كانت لها علاقات تجارية نشطة « مصر مع ذلك فرضة مكة والمدينة وساحلهما ، وفرضه صنعاء وعدن وعمان والشحر والسند والهند والصين وجزائر الصين وسرنديب وغيرها ، تجلب العطر والطرائف والآلات فى البحر حتى توافى المراكب بالقلزم وهى فرضة بحر الروم والشام كلها وبلد الروم وطرابلس والقيروان وتاهرت وسجماسة والسوس والأندلس وصقلية وقبرص وردوس يحمل اليها رقيق هذه البلاد من الجوارى والغلمان والديباج والحرير والمرجان والعنبر والزعفران وسائر

---

(٨٢) حسن أحمد محمود : الحضارة الاسلامية فى العصر الطولونى ص ٢١٥ .

(٨٣) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٨٢ .

(٨٤) ابن الداية : المكافأة ص ٥ .

(٨٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٣٠ ، المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٠ .

(٨٦) محمد شفيق غربال : تكوين مصر ص ٨ .

أصناف التجارات ويحمل من مصر اليها مثل ذلك » (٨٧) . كما كان لحفر قناة خليج أمير المؤمنين ، أثر فى ازدياد حركة التجارة الداخلية والخارجية ، وكانت العلاقة مع النوبة كذلك من ضمن عوامل رواج التجارة وازدهارها .

وقد انعكس هذا كله على تكوين المجتمع المصرى فهذا هو ناصر خسرو ويصف التجار المصريين بقوله « وتجار مصر يصدقون فى كل ما يتبعون ، واذا كذب أحدهم على مشترى فانه يوضع على جمل ويعطى جرسا بيده ، ويطوف به بالمدينة وهو يدق الجرس وينادى قائلا لقد كذبت وها أنا أعاقب وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب » (٨٨) أليس هذا تنظيما للعلاقات ، بين التجار وأفراد المجتمع ، واعادة تكوين النظم وأساليب فى البيع والشراء ، وهو ما نعرفه اليوم فى مجتمعاتنا الحديثة ، ونسعى الى تأصيله .

كما أن الرفاهية كانت تسود المدن أكثر من الريف فهذا ناصر خسرو (٨٩) يعود فيقول « وكان أهل مدينة مصر فى غنى عظيم حين كنت هناك » كما أن العلاقة بين الحكومة وأهالى البلاد ، ساعدت على رواج التجارة وانتشار الطمأنينة « بلغ من اطمئنان المصريين الى حكومتهم الى حد أن البزازين وتجار الجواهر والصيارفة لا يغلقون أبواب دكاكينهم » (٩٠) .

وقد أسهم النيل بتأثيره فى حركة التجارة فى مصر داخليا وبين مصر والعالم ، على التاثير فى المجتمع المصرى فجعل حركة التجارة تنساب فى سهولة ويسر ، كما أن شيوع الأمن واستتبابه يساعد على رواج هذه التجارة وأسهم التجار وحسن ثرواتهم فى تحسين أخلاقيات الناس وحسن معاملاتهم مما أثر فى مستوى معيشتهم وأخلاقياتهم .

ونشأت فى العصر الطولونى طبقة الرأسمالية من كبار التجار الذين كانوا يسهمون فى الحركة التجارية العظيمة بين مصر وكافة بلاد العالم

---

(٨٧) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٧٠ ــ ٧١ .
(٨٨) ناصر خسرو : سفر نامة ص ٦١ .
(٨٩) نفس المصدر ص ٦٢ ــ ٦٤ .
(٩٠) نفس المصدر والصفحة .

الاسلامى(٩١) ، فقد نحى هؤلاء منحى كبار رجال الدولة فى حياة مترفة ناعمة (٩٢) .

ولقد كان العناصر المسيحية المصرية فى البلاد الأثر الكبير فى تعميق الشخصية المصرية سواء منهم من احتفظ بمسيحيته أو تحول الى الاسلام ، فقد علموا الوافدين الى البلاد كيف يعيشون تلك الحياة التى تلائم خير ملائمة ظروف مصر ، من حيث أساليب الزراعة وطرائقها ، ونظام حيازة الأراضى ومسحها وريها ، وما يستتبع ذلك من نظم ادارية وكذلك الصناعات القائمة على استخدام المواد الأولية التى بين ايديهم على احسن ما يتفق وأحوال البلاد الطبيعية(٩٣) .

ونرى ان حاجة المسلمين الى خبرات أهل البلاد وضحت منذ بداية الفتح مباشرة حتى أن عمرو بن العاص اشترط على المقوقس أن يقوم أهل البلاد « وان يضمنوا له الجسرين جميعا »(٩٤) ولقد خرج مع عمرو وهو فى طريقة الى الاسكندرية الأقباط لاقامة الجسور والانزال والضيافة واسواق(٩٥)ومصر التى فتحها العرب كانت فيها « قناطر وجسور بتقدير وتدبير » كل هذه الخبرات كان العرب فى حاجة الى معرفتها ، ولذلك كان للعناصر المسيحية من الأثر الكبير فى شئون البلاد والموائمة بين العرب وسكان البلاد .

وقد بدأ التحول فى سهولة ويسر ، فمثلا كان الأقباط يتولون القياس فى مقياس الروضة حتى أمر الخليفة المتوكل استبدال العاملين من النصارى بغيرهم فتم ذلك بتولية أبى الرداد المعلم على مقياس الروضة سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م (٩٦)وأعتقد ان الفترة من سنة ٢٠هـ الى سنة ٢٤٧هـ كانت كافية لأن يتعلم المسلمون كيفية القياس بالمقياس . وكذلك غيرها

---

(٩١) حسن أحمد محمود : حضارة مصر الاسلامية فى العصر الطولونى ص ٢١٣ .

(٩٢) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ١٣٩ - ١٨٠ ، ٢٨٠ ، ابن الداية : الكافأة ص ٥

(٩٣) محمد شفيق غربال : تكوين مصر ص ٣٦ .

(٩٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦٤

(٩٥) نفس المصدر والصفحة .

(٩٦) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٠٣ ، المقريزى : الخطط جا ص ٥٨

من الأمور التى تحتــاج الى خبرات خاصــة ، فلابد ان أبــا الرداد قــد اكتسب منهم وتعــلم هو ومن تبعــه كيف يقيســون النيــل • لكى يعملوا مثل ما كانوا يعملون •

كما ان صناعة المنســوجات التى كانت مزدهرة فى كل من تنيس ودمياط وشــطا ودبيق وأخيم والبهنسا •• وغيرها ، أليس الذين كانوا يقومون بها فى بداية الفتح هم الأقباط ولكن اندمج السكان فى ســهولة وتوافق الى أن تعلموا هذه الصناعات ، ثم ألم يكن العرب فى بداية حياتهم عازفين عن النزول الى الزراعــة(٩٧) ولكن عندما نزلوا الى الزراعــة تعلموها من أهل البلاد واستخدموا بعد ذلك كل طــرقهم وحساباتهم ، حتى أنهم استخدموا الشهور القبطية فى الحساب والتقويم الشمسى(٩٨) وحتى الوظائف ظلت بأسمائها وقام هــؤلاء الأقبــاط بوظائف معينة مثل المــازوت الجسطال الذى ورد كثيرا فى أوراق البردى العربية(٩٩) •

على كل حال كان تعاونا مثمرا بين الأقباط والمسلمين على ضفاف النهر ، وعلى مر العصــور ، ومن الفتح حتى أيامنا هذه ، فمصر من تأثير نيلها وسهولها ، بلدة لا تعرف العنف انما تمضى كما يمضى النهر سهلة هينة ولكن فى اصرار ويقين واستمرار •

ومورد المــاء هو الذى يحدد موقع القرية ، فلابد من كفاية موارد الماء لزراعة الحبوب والبقول الشتوية ، وهى فى العادة القمح والشعير ، ومورد الماء هو الذى يحدد مساحة القرية وعدد سكانها ، اما حيث تقوم القرى على الأنهار والمياه الجارية طوال العــام فأنها تتلاحق وتتزاحم مثل قرى ريف مصر على نهر النيل وفروعه بالدلتا(١٠٠) والنيــل هو المورد الأساسى للمياه فى مصر وعلى قدر استفادة المناطق الزراعيــة من النيل بقدر ما نشأت المدن والقرى الكبيرة والصغيرة • وليس من قبيل المصادفة ان تكون قرى مصر فوق الروابى والتلال(١٠١)وذلك لأنهــا

---

(٩٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦٢
(٩٨) جروهمان : أوراق البردى جـ٤ ص ٦٩ ، جـ٢ ص ٩٦
(٩٩) نفس المرجع جـ٣ ص ١٧١
(١٠٠) محمد السيد غــلاب : البيئة والمجتمع ص ١٢١ ــ ١٢٣ ، الاسكندرية ١٩٥٥م •
(١٠١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٩٥

تحمى نفسها من ارتفاع الفيضان ، كما أن النيل تحكم فى امتداد المدن على شواطئه بطريقة فرضها هو ونلاحظ هذا حتى اليوم فى مدن مصر على النيل ، ففى المدن الكبيرة . وهى المراكز والموانى على النيل أو للتجارة الموازية له فى البر ، كانت هذه لمدن والمراكز على مسافات تكاد تكون متساوية فى البعد عن بعضها البعض ولذلك يجد المسافر بالنيل أو باالبر اماكن للاستراحة والتزود فى الطريق « لقد كيف النيل تكييف المدينة المصرية ، فاذا تتبعنا الخرائط التفصيلية للمدن المصرية النهرية ، وجدنا أغلبها يجنح الى الاستطالة أحيانا الى حد الانسياج والتفلطح ، لكى تفيد الى أقصى حد من الجبهة المائية على النيل ، وهذا أمر بديهى ولا شذوذ عنه الا نادرا ولظروف محلية خاصة ، غير ان الذى ليس ملحوظا بنفس الدرجة ان محور تلك الاستطالة يوجه فى معظم الأحيان بحسب اتجاه النهر فى موضع المدينة المعنية حتى ليمكننا إن نتنبأ باتجاه امتداد أى منها بمجرد موقعها عليه(١٠٢) .

## النيل وطبقات المجتمع :

كما أدى اعتماد زراعة الأراضى على مياه نهر النيل الى نشأة طبقة من كبار الملاك ففى عهد الطولونيين كان كثيرون منهم يستغلون الأراضى الزراعية (١٠٣) فيستأجرونها أو يتقبلونها ، أو يشترون الضياع الواسعة (١٠٤)وكان منهم من له بمشتول « قدر ستين ألف أردب » والمقريزى يعجب من سعة مال صاحب هذا القمح ويقول « كيف كان له فى قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح »(١٠٥) .

كما كانت هناك طبقة من كبار التجار الذين كانوا يسهمون فى الحركة التجارية العظيمة بين مصر وكافة بلاد العالم الاسلامى(١٠٦) وكانت أكثر التجارات تجارة البز ( الحرير ) وتجارة العطارة وكما يقول

---

(١٠٢) نعمات أحمد فؤاد : شخصية مصر ص ٢٣ – ٢٤ ، القاهرة ١٩٧٨

(١٠٣) حسن أحمد محمود : مصر الاسلامية العصر الطولونى ص ٢٩٠

(١٠٤) ابن الداية : المكافأة ص ٥

(١٠٥) المقريزى : الخطط جا ص ٣٣٠

(١٠٦) حسن أحمد محمود : حضارة مصر الاسلامية ص ٢١٣

أدم متز ان احسن تجارة فى القرن الثالث تجارة المنسوجات وأحسن صنعه ، صنعة المرجان(١٠٧) ٠

كما وهناك تطور آخر حدث فى هذا الوقت بعد أن أسقط العرب من ديوان العطاء(١٠٨) فى مصر وفقدوا امتيازاتهم العسكرية والسياسية والاقتصادية ، بدأوا فى النزوح الى الريف للاستقرار فيه والاختلاط بالمصريين وتشجيع الحركة الاسلامية النامية(١٠٩) « وكان من خير أراضى مصر بعد نزول العرب بأريافها واستيطانهم وأهاليهم فيها واتخاذهم الزرع معاشا وكسبا وانقياد جمهور القبط الى أظهار الاسلام واختلاط انسابهم بأنساب المسلمين لنكاحهم المسلمات ». (١١٠) ٠

ولا شك فى ان النزوح الى الريف واتخاذ الزراعة عملا بالنسبة للعرب أسهم الى حد كبير فى سرعة التحول الى العربية والاسلام(١١١)٠ ولا ننسى كما يقول المقريزى أن هناك « جمهور القبط »(١١٢) الذى كان يقوم بالزراعة والصناعة والأعمال المالية ، حقيقة كانت هذه الفترة، فتره التحول الى الاسلام ، ولكن مما لاشك فيه ان طبقة الكادحين فى الريف كانت من القبط فى قراهم واماكنهم ولا شك ان الفلاحين هم غالبية المصريين حيث الاعتماد الأساسى على الزراعة ٠ وقد حدد النيل نظام عمل الفلاحين فى الحقول وذلك لتباين فيضانه من عام لآخر ؛ ولذلك فحياتهم العملية تحددها مياهه فنرى أنهم لا يعملون بالزراعة طوال العام ، فعندما يكون النيل مرتفعا والمياه تغمر الأراضى يكون الفلاح مشغولا بتقوية الجسوز والسدود وفى فصل التحاريق يطهر الترع من الطمى الذى رسبه ماء الفيضان ويقيم جسورا جديدة ويهتم بعمارة السواقى(١١٣) فاذا حل شهر بابة وابتدأ النيل فى النقص يبدأ الفلاح فى بذر البذور(١١٤) ٠

---

(١٠٧) متز : الحضارة الاسلامية جـ٢ ص ٣٨٢

(١٠٨) على حسنى الخربوطلى : الاسلام وأهل الذمة ص ١٦٧

(١٠٩) حسن أحمد محمود : حضارة مصر الاسلامية ص ٢١٦

(١١٠) المقريزى : الخطط جـ٢ ص ٨٢

(١١١) على حسنى الخربوطلى : الاسلام وأهل الذمة ص ١٦٧

(١١٢) المقريزى : الخطط جـ٢ ص٨٢

(١١٣) نفس المصدر جـ ١ ص ٢٢١ ، محمد محمود ادريس : الحيا الزراعية العصر الفاطمى ص ٢٥٤ ٠

(١١٤) المقريزى : الخطط جـ١ ص ٢٧٠

كما لا ننسى انه كانت فى مصر أجناس مختلفة من النوبة والشام ومن غيرها من البلدان ذكرهم ابن عبد الحكم كثيرا وكانت لهم أسواق مثل « سوق البربر » (١١٥) وغيرها وكان لهم تأثير فى تكوين المجتمع المصرى وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية .

**المساكن على ضفاف النيل :**

كان لسكان المدن منازل لها من النظافة والبهاء كما لو كانت مبنية من الجواهر ، وهى بعيدة بعضها عن بعض(١١٦) .

اما مساكن الفلاحين فى القرى فقد كانت بجوار عملهم فى الحقول ، لأن الزراعة هى المهنة التى تربط الانسان بالأرض لذلك كانت حياة الفلاحين اليومية بين منازلهم وحقولهم تسير على وتيرة واحدة على مر العصور (١١٧) .

وسكن الفلاحون على التلال وفى المناطق المرتفعة فى وسط الزراعة وعلى جوانب النيل والترع لعلوها خوفا من طغيان فيضان النيل وتدمير منازل القرية ، واقتضت حياة الفلاحين العامة التعاون والعمل المشترك فى الزراعة والرى وعمل الجسور لذلك اجتمعوا فى مكان واحد والسبب الآخر هو لاستغلال كل الأرض الزراعية فجاءت القرية متلاصقة المبانى وتشغل أقل حيز من الأرض ولذلك كانت المزارع عامرة بالقرى(١١٨) .

أما عن مبانى الفلاحين فقد كانت كما يقول عنها المقدسى(١١٩) « وبنيانهم من طين » بل ربما كانت من بقايا الأشجار والمحاصيل أيضا وبهذا اختلفت مساكن المصريين فى المدن عنها فى القرى كما بينا .

**النيل والحدائق والزهور :**

وأسهم نهر النيل فى تربية ذوق المصريين وتهذيبهم فكانوا كما يذكر ابن عبد الحكم(١٢٠) يهتمون بغرس الحدائق والبساتين

---

(١١٥) الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٠٥
(١١٦) ناصر خسرو : سفرنامة ص ٥٠
(١١٧) القلقشندى : صبح الأعشى جـ١ ص ٣٦٣
(١١٨) محمد محمود ادريس : الحياة الزراعية فى العصر الفاطمى ص ٢٥٥
(١١٩) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٩٥ محمد أدريس : المرجع السابق ص ٢٥٥
(١٢٠) فتوح مصر ص ١٠٣

فعبد العزيز بن مروان كان يهتم بنفسه ، بغرس أحد البساتين وكذلك فعل غيره من أهل مصر .

كما كان خمارويه ابن أحمد بن طولون مولعابالبساتين حيث حول الميدان الى بستان كبير زرع فيه أنواعا فريدة من الزهور « على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة يتعاهدها البستانى بالمقراض حتى لا تزيد ورقة وزرع من الازهار النيلوفر الأحمر والأزرق والاصفر والجنوى العجيب » (١٢١) وجلب من مختلف ارجاء العالم الاسلامي السلالات النادرة وزرع الأشجار خصوصا النخيل « الذى ينال ثمرة القائم ومنه يتناول الجالس » (١٢٢) وبالغ فى تزيين بستانه فكسا أجسام النخيل نحاسا مذهبا وجعل بين النحاس وأجسام النخيل أنابيب الرصاص ، ينحدر فيها الماء الى أحواض كبيرة ثم ينحدر الماء من هذه الأحواض ليسقى أرض البستان ، ثم مضى فى التجميل الى ابعد من هذا(١٢٣) حين بنى للطيور برجا من خشب الساج وبلط ارضه وجعل فيها مجرى الماء وأطلق فيه جميع الطيور (١٢٤) .

ويذكر ابن رستة أنه فى الاحتفال بوفاء النيل أن الموكلين به كانوا يتجهون الى « المسجد الجامع بأيديهم الرياحين ويقفون على حلقة ويرمون بما معهم من الرياحين اليهم وينادون ان الله عز وجل قد زاد فى النيل كذا وكذا فيستبشر الناس ويكثرون حمد الله والشكر له (١٢٥) .

كما نشأت فكرة بناء المنازل والدور على النيل وفى الجزر فقد استغل ابن طولون وكذلك الأخشيد جزيرة الروضة ، كما بنى كافور الأخشيد داره على بركة الحبش(١٢٦) وقد كان كافور أيضا يقوم بالتنزه على النيل فى المراكب وكان يسير فى موكب(١٢٧) ولعل فترة الطولونيين

---

(١٢١) المقريزى : الخطط جا ص ٣٥٦
(١٢٢) نفس المصدر والصفحة
(١٢٣) حسن أحمد محمود : حضارة مصر الاسلامية ص ١٩٥
(١٢٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٣ ص ٥٣ ، حسن محمود : المرجع السابق والصفحة .
(١٢٥) ابن رستة : الاعلاق النفسية ص ١١٦ .
(١٢٦) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٣٣ .
(١٢٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣ .

والأخشيديين كانت بداية ظهور المواكب والاحتفالات ، التى تطورت فيما بعد فى عهد الدولتين الفاطمية والمملوكية .

كما أن هذا الاهمام ، بالحدائق والمتنزهات ، والتنزه على النيل من قبل الامراء والحكام لابد انه اسهم فى حفز باقى المصريين على الاهتمام بالحدائق والزهور والاقامة على النيل .

## أطعمة المصريين :

ساعد النيل بما أقام من زراعة فى مصر ، على أن تكون معظم أطعمة أهل مصر من المحاصيل الزراعية القائمة عليه ، ويذكر المقدسى ان بها أطعمة لطيفة وحلاوات رخيصة كثيرة الموز والرطب ، غزيرة البقول والحطب خفيفة الماء وصحيحة الهواء(١٢٨) . وقد ذكر أنواع الخضر المعروفة ، وكان منها القلقاس وكان يقلى بالزيت(١٢٩) ومن أنواع الفاكهة الموز والجميز « أكلهم الدلنيس ونقلهم الحمص وجبنهم الحالوم وحلواهم النيدة(١٣٠) . « وان الترمس كان يحلى ويملح ويباع فى الأسواق « كما أن المصريين كانوا يحبون السمك وانه من أحب المأكولات ويقول المقدسى « من وأظب فى الفسطاط على أكل السمك جرب جربا لا يفارقه سبع سنين »(١٣١) وربما كان يشير هنا الى اصابة بعض الناس من الحساسية نتيجة أكل السمك . والمقريزى(١٣٢) يذكر أيضا أنه « يصاد فى أيام الخريف من النيل أسماك كثيرة جدا كما كانوا يأكلون السمك مملحا » كما أن صيد السمك الكثير فى الخريف كان يرجع الى الرى الحوضى .

كما يذكر القلقشندى(١٣٣) أن المصريين كانوا يستخدمون زيت الزيتون فى الطعام ، ويأكلون الزيتون مملحا ، كما كان المصريون وخاصة فى الفسطاط يأكلون نوعا من الليمون يسمى التفاح يؤكل بغير سكر لقلة حموضته ولذة طعمه(١٣٤) وكان أهل الصعيد يكثرون من أكل

---

(١٢٨) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٩٧ .
(١٢٩) نفس المصدر السابق ص ٢٠٤ .
(١٣٠) نفس المصدر السابق ص ٢٠٩ .
(١٣١) نفس المصدر والصفحة .
(١٣٢) الخطط جـ ١ ص ٤٥ .
(١٣٣) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣١٢ .
(١٣٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢٧٣ .

البلح والحلاوة المصنوعة من قصب السكر ، بينما أقبل أهل الوجه البحرى على أكل القلقاس والجلبان ، وكان الفلاحون يصنعون خبزهم من جريش الحنطة بعد تخفيفه ، كما كانوا يأكلوا الحنطة والشعير ، والعدس والحمص والجلبان(١٣٥) ٠

وكان الفلاح المصرى فى المناسبات ـ وخاصة شهر رمضان ـ يأكل الحلوى والكعك وأساسهما السكر والدقيق والسمن(١٣٦) والفطير ووجد فى معظم مدن الاسلام متخصصون فى صنعها(١٣٧) ٠

وكان القمح هو الغلة الرئيسية التى يصنع منها الخبز ، وقد كانت هناك طواحين يتم طحن الغلال بها ، ويذكر ابن عبدالحكم(١٣٨) ان مسلمة بن مخلد جعل على الطواحين ، كما يذكر المقدسى عن مدينة بلبيس « بأنها كثيرة الطواحين »(١٣٩) كما أن منتجات الألبان(١٤٠) وكذلك اللحم ، الجبن ، الحطب ، القرع ٠٠٠٠ وغيرها وردت فى حساب نفقة لمنزل فى القرن الثالث الهجرى ( التاسع الميلادى )(١٤١) ٠

---

(١٣٥) على حسنى الخربوطلى : مصر العربية الاسلامية ص ٥٧ ٠

(١٣٦) الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ٢٥ ٠

(١٣٧) محمد محمود ادريس : الحياة الزراعية فى العصر الفاطمى الأول ص ٢٦١ ٠

(١٣٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٣١ ٠

(١٣٩) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٩٦ ٠

(١٤٠) جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٦ ص ١١٨ ٠

(١٤١) نفس المصدر ص ١٧٣ ٠

## أثر النيـل فى الأدب والشـعر

الحديث عن النيل فى الأدب بأنواعه المختلفة يمكن أن تقسـمه الى قسـمين رئيسيين :

نهر النيل فى كتابات المعاصرين ٠

نهر النيل فى الشعر والأدب ٠

لقد كثر الحديث عنه فى المصـادر العربيـــة ، وخاصـة فى بدايـة الفتـح ، فلقد لقى النهــر من العنـاية والرعـاية ، وأفــرد الكثيرون له ولأرض مصر على ضفافه أوصافا مسهبة ، بل أن عمرو بن العــاص هو أول من أعطى أوصافا تعد من الأدب الرائع فى كتاباته عن نهر النيـل الى الخليفة عمر بن الخطاب ٠

ويرجع هـذا الاهتمام فى بداية الفتح الى انبهار العرب القادمين من الصحراء ، بمياه النهر والزراعة على ضفافه ، بالاضافة الى أن الدولة كانت فى قوتهـا ولذلك اتجهت الى ما يحسن أحـوال البـــلاد ويصلح ما أصابها من تلف على يد ولاة العصر السابق لعصرهم ٠

ولقد أفرد الكثيرون كتبا لمعالجـة نهر النيـل ، أفرد المقريـزى احداها لمعالجة ما ترتب على قصـور النيل من أزمات اقتصـادية مثل المجاعات والأوبئة ، وتعرض لأسـباب هـذه المجاعات ، كما تعرض لوصف طبقات المجتمع ووسائل الحكام فى معالجة تلك الأزمات(١٤٢) كما ألف السيوطى أكثر من كتــاب ما زالت مخطوطة عن النيل(١٤٣)

---

(١٤٢) انظر أغاثة الأمـة بكشف الغمـة للمقريزى نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمال الدين الشيال سنة ١٩٤٠ ٠

(١٤٣) السيوطى : الكلام على النيـل مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٣٨١ جغرافيا وكوكب الروضـة فى تاريخ جزيرة مصر مخطوط بمكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج تحت رقم ١٩٦ ٠

وكذلك المنوفى(١٤٤) وأيضا الحجازى(١٤٥) وقصى الدين الشافعى(١٤٦) وغيرهم ٠

كما حرص بعض كبار المؤرخين على ذكر أخبار النهر وفيضانه السنوى ، بانتظام فى مؤلفاتهم ، فان المؤرخ أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى ، على سبيل المثال يختم الحديث عن حوادث العام فى حوليته الشهيرة ، ويذكر أحوال النيل ، وما تبقى من الماء القديم فى النهر ومقدار الزيادة الجديدة(١٤٧) ٠

وقد شابت الكتابات التى تناولت النيل الخرافات والأساطير ، التى يحتمل أن تكون ذات أصل مسيحى ويهودى ٠

**النيل فى الأساطير الاسلامية :**

ظل منبع النيل نبعا للخيال الى أمد غير بعيد وما أحسب نهر الا النيل شغل الدنيا باستكناه سره والوصول الى منبعه كالنيل ٠ ومن يقرأ كتب العربية بما تضمنته من حقائق وأوهام وخيالات ، يستطيع أن يستخلص عدة أمور قامت عليها فكرتهم عن النيل ، انهم بلا شك لم يخضعوا النيل للدراسة العلمية المحققة ولكنهم ضربوا فى متاهات الظن حينا ، وآنا فسروا المشاهدة الشخصية ، تفسيرا شخصيا أيضا وعموما فان الصورة التى تعطيها لنا تلك الكتابات مشوشة ومضطربة ، وتعتمد أساسا على النقل من القدماء وهى على النحو التالى :

قدسية النهر ـ تسخير الأنهار له ـ عكس الأنهار الأخرى فى الزيادة والنقصان ـ خروجه من جبل القمر ـ ذكر الجارية التى تلقى فيه ليفيض ٠

فذكر ابن الكندى(١٤٨) « اما نيلها ، فروى ابن لهيعة أن معاوية ابن أبى سفيان قال لكعب : اسالك بالله العظيم يا كعب هل تجد

---

(١٤٤) المنوفى : الفيض المديد فى أخبار النيل ٠
(١٤٥) نيل الرائد فى النيل الزائد مخطوط بدار الكتب ٣٨٠ جغرافيا ٠
(١٤٦) نتذة عن دمياط مخطوط بمكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج ١٤٧ جغرافيا ٠
(١٤٧) انظر النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة ٠
(١٤٨) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٥٩ ٠

لنيل مصر فى كتاب الله خبرا ، قال : أى والذى فلق البحر لموسى عليه السلام انى لأجد فى كتاب الله عز وجل ان الله يوحى اليه عند جريه . ان الله يا أمرك أن تجرى كذا وكذا فاجر على اسم الله ثم يوحى اليه عند انتهائه ان الله يأمرك أن ترجع فارجع راشدا » وفى صحيح مسلم(١٤٩) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « أربعة أنهار من الجنة سيحان وجيحان والنيل والفرات » وروى أن الله تعالى خلق نيل مصر معادلا لأنهار الدنيا ومياهها ، فحين يبدأ فى الزيادة تنقص كلها لمادته ، وحين ينقص تمتلىء كلها .

ويذكر أبو قبيل(١٥٠) أن نيل مصر فى زيادته يفور كله من أوله الى آخره « قال كعب الأحبار ان النيل هو نهر العسل فى الجنة(١٥١) ولهذه القدسية انعكاسات على أدبهم نثره وشعره ، فلم تقف عند الأساطير بل تجاوزتها الى غيرها من ألوان التعبير عندهم حتى بعد الاسلام فنلمحها فى وصفهم له بنهر النيل المبارك(١٥٢) .

وينبغى أن ننوه برأى الامام ابن حزم(١٥٣) فى هذه الظاهرة فهو ينظر اليها بعقل مفتوح ويحسبها بفكر انسان يعمل عقله فيقول « فان قال قائل فقد صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم انه قال النيل والفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة ، قلنا نعم هذا حق لاشك فيه ، ومعناه هو على ظاهره بلا تكليف وتأويل أصلا وهى اسماء لانهار فى الجنة كالكوثر والسلسبيل ، فان قيل صح عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة وروى عنه مقبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، قلنا هذا حق وهو من أعلام نبوته لأنه أنذر بمكان قبره فكان كما قال وذلك المكان لفضله ،

---

(١٤٩) كتاب ٥١ حديث ٢٦ ، وفى البخارى حديثيين متشابهين الكتاب ٥٩ فى بدء الخلق باب ٦ والكتاب ٥٧ فى الأشربة باب ١٢ .

(١٥٠) أبو قبيل المعافرى المصرى روى عن عقبة بن عامر وابن عمرو وروى عنه عمر بن الحارث والليث وكان له على بالملاحم والفتن مات سنة ١٢٨ هـ ( حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٩٨ ) .

(١٥١) السيوطى : كوكب الروضة ( مخطوط ) ص ٤٠ .

(١٥٢) ابن الوردى : خريدة العجائب ص ١٥٤ .

(١٥٣) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل جـ ١ ص ٤٠ الطبعة الأولى المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣١٧ هـ .

وفضل الصلاة فيه يؤدى العمل فيه الى دخول الجنة فهى روضة من رياضها وباب من أبوابها ٠

واذا كانت الاساطير الاسلامية قد طافت بالنيل ونسجت حوله كثيرا من القصص والأساطير فانها فى هذا الطواف استابت على المنبع وطال لبثها والوقوف اذا وجدت فيه ما يغذى الخيال ويوحى بهذه القصص الاسطورية ، ولهم عند المنبع أفانين من القول ، فقد اتفق كثير منهم على ان النيل يخرج من جبال القمر (١٥٤) ومن ثم طاف بخيالهم ان به أحجارا براقة كالفضة تتلألأ تسمى محكة الباهت كل من نظرها ضحك والتصق بها حتى يموت ، ويسمى مغناطيس الناس(١٥٥) كما يحكى المقريزى مطمئنا ان « ذا القرنين كتب كتابا فيه ما شاهده من عجائب الدنيا فضمنه كل أعجوبة ٠٠٠٠٠ ثم قال فى آخره ، وليس ذلك بعجب بل العجب نيل مصر » (١٥٦) ٠

ويقول ابن خرداذبة عن النيل : « ويخرج نيل مصر من جبل القمر ويصب فى بحيرتين خلف خط الاستواء ويطيف بأرض النوبة ويجىء الى مصر فيصب بعضة بدمياط فى البحر الرومى ويشق باقيه الفسطاط حتى يصب أيضا فى البحر الرومى »(١٥٧) ٠

وعند الحديث عن مصر يروى بن حجلة التلمسانى ان بعض الاطباء قال « نيلها من آيات الله تعالى ومن شرب منه زادت قوته » وقال ايضا « لولا ما بمصر من الليمون والحموضات ما عاش بها أحد لحلاوة مائها » (١٥٨) ٠ وبلغت الحلاوة درجة التشبع عند عبد الله بن سلام الذى روى عنه انه قال «مصر ام البركات ونهرها نهر العسل ٠٠٠٠ ومادته من الجنة ٠٠٠٠ وكفى بالعسل طعاما وشرابا » (١٥٩) ويتصل بقدسية

---

(١٥٤) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٨٤ ، وينقل عن التيفاشى ان جبل القمر قد سمى بذلك لأن العين تقمر منه اذا نظرت اليه لشدة بياضه قال ولذلك ايضا سمى القمر قمرا ٠

(١٥٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٥٣ ٠

(١٥٦) نفس المرجع السابق جـ ١ ص ٦٣

(١٥٧) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٧٦ ٠

(١٥٨) ابن حجلة التلمسانى : سكردان السلطان ص ٢٣ طبعة بولاق سنة ١٢٨٨ هـ ٠

(١٥٩) السيوطى : حسن المحاضرة جـ ١ ص ٩ ٠

النهر فى زعمهم ان الله سخر له الأنهار جميعا ، يقول القضاعى « روى عن عمرو بن العاص أن نيل مصر سيد الأنهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب ، ان يمد له وذلك له فاذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر أمر الله تعالى كل نهر ان يمده بمائه ويفجر الله تعالى له الارض عيونا ، وانتهى جريه الى ما اراد الله تعالى ، فاذا بلغ النيل نهايته أمر الله تعالى كل ماء ان يرجع الى عنصره ، ولذلك جميع مياه الارض تقل أمام زيادته »(١٦٠) .

ويبدوا طبيعيا بعد هذا قولهم ان النيل « يزيد بترتيب وينقص بترتيب ، بخلاف سار الأنهار فى سائر الدنيا ، اذا زادت نقص واذا نقصت زاد نهاية وزيادة وزيادته فى أيام نقص غيره » .

**نهر النيل فى أقوال المعاصرين :**

أشار الكثيرون من الكتاب الى نهر النيل فى كتاباتهم ومنهم نستشف ان هذا النهر قد أثر على تفكيرهم ، ولفت أنظارهم ، بما قام عليه من زراعة وما نشأ على ضفافه من حضارة ، أليس النيل هو محور الحياة المصرية وحوله تدور كل أحداثها ، واول ما نلاحظ فى الحديث عن النهر المبارك ، رسالة عمرو بن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب ، والتى تعتبر من الادب الرائع ، وتعبر عن حياة مصر ، وهذه هى الرسالة المتبادلة بين الخليفة عمر بن الخطاب وبين عمرو بن العاص ، كما أوردها ابن الكندى ، ومن تبعه من المؤرخين بشىء من التحوير : ـ

« بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عمرو بن العاص ، سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد فانى فكرت فى بلدك فاذ أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة قد أعطى الله أهلها عددا وجلدا وقوة فى بر وبحر ، قد عالجتها الفراعنة ، وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عتوهم فعجبت من ذلك ، فأحب ان تكتب الى بصفة مصر كأننى أنظر اليها فكتب اليه عمرو بن العاص يقول:

« بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو ابن العاص ، سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، اما بعد ، فقد بلغنى كتابك وقرأته وفهمته ، وأما ما ذكرت فيه من صفة

---

(١٦٠) ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص ٣٦٢ ،
المقريزى : الخطط ، جـ١ ص ٥٠ .

مصر ، فان كتابى سيكشف عنك عمى الخبر ، ويرمى على بالك بنافذ البصر ، أن مصر وما أحببت أن تعلمه من صفتها ، تربة سوداء ، وشجرة خضرء بين جبل أغبر ورمل أغفر ، قد اكتنفها معدن رفقها(١٦١) ، ومحط رزقها ، ما بين أسوان الى منشأ البحر ، فى سح النهر ، مسيرة الراكب شهرا ، كأن ما بين جبلها ورملها بطن أقب(١٦٢) ، وظهر أجب(١٦٣) ، يخط فيه نهر مبارك العذوات ، ميمون البركات ، يسيل بالذهب ، ويجرى بالزيادة والنقصان كمجارى الشمس والقمر له أيام تسيل اليه عيون الأرض ، وينابيعها مأمورة بذلك ، حتى اذا ربا وطما(١٦٤) ، وأصلخم(١٦٥) لججه ، واغلولب عبابه(١٦٦) ، كانت القرى بما أحاط بها كالربى لا يوصل من بعضها الى بعض الا فى السفائن والمراكب ، ولا يلبث الا قليلا حتى يكون كأول ما بدأ من جريه وأول ما طما من شربه ، وحتى تستبين فنونها ومتونها(١٦٧) ، ثم تنتشر فيه أمة محقورة(١٦٨) ، قد رزقوا على أرضها جلدا وقوة لغيرهم ما سعوا به من كدهم بلا حمد ينالهم من ذلك ، يسقون سهل الأرض وخرابها وروابيها ، ثم يلقون فيها من صنوف الحب ما يرجون به التمام من الرب ، وما يلبث الا قليلا حتى يشبتد ، ثم تسيل قنواته وتصغر ، يسقيه من تحته الثرى ومن فوقه الندى ، أو سحاب منهمر بالأرائك مستدر ، ثم فى هذا الزمان من زمانها يغنى ذبابها (١٦٩) ، ويبدأ فى صرامها ، فبينما هى مدرة سوداء اذا هى لجة زرقاء ، ثم غوطة خضراء ثم ديباجة رقشاء(١٧٠) ، ثم فضة بيضاء ، فتبارك الله أحسن الخالقين الفعال لما يشاء وأن خير ما اعتمدت عليه فى ذلك شكر الله عز وجل يا أمير المؤمنين على ما أنعم عليك منها ، فأدام الله لك النعمة والكرامة فى أمورك كلها والسلام » .

---

(١٦١) معدن رفقها : موضع عملها .
(١٦٢) بطن أقب : ضامر
(١٦٣) أجب : مقطوع
(١٦٤) ربا وطما : زاد وارتفع
(١٦٥) أصلخم : أشتد
(١٦٦) أغلولب : التف
(١٦٧) فنونها ومتونها : طرقها وظهورها
(١٦٨) محفورة : ذليلة
(١٦٩) أى معظم محصولها
(١٧٠) رقشاء : المنقطة ببياض وسواد

هذا ما رواه ابن الكندى(١٧١)وأضاف اليه البعض(١٧٢) « الذى يصلح هذه البلاد وينميها ويقر قاطنيها فيهــا الا يقبل قول خسيسها فى رئيسها ، والا يستأدى خراج ثمرة الا فى أوانها وان يصرف ثلث ارتفاعها فى عمل جسورها وتراعها ، فاذا تقرر الحال مع العمال فى هذه الاحوال تضاعف ارتفــاع المال والله تعــالى الموفق فى المبدأ والمآل » ويتحدث المسعودى عن النيل فيقول « ونيلها العجيب أمره الشريف قدره يمد اذا حسرت الانهار ، ويحسر اذا مدت ، بأنها فى وقت الحاجة الى منفعته فيبدأ مخضرا ثم محمرا ثم كدرا ثم يتدافع بأمواجه ويترامى بسيوله ، فتكون زيادته فى اليوم الأصبع والأصبعين وأكثر ، فاذا تناهى مدة يغشى الارض ، وصارت القرى كالنجوم فوق الروابى والتلال ، والمراكب تجرى بأهلها فى حاجاتهم من بعض الى بعض قد أعدوا قبل ذلك من أقواتهم وعلوفة حيواناتهم ما يكفيهم الى حسوره عنهم . وابان زراعتهم فدهرها من أربع صفات ، فضة بيضاء أو مسكة سوداء أو زبرجدة خضراء أو ذهبة صفراء وذلك ان نيلها يطبقها فتصير كأنها فضة بيضاء ثم ينضب عنها مسكة سوداء ثم تزرع فيصير زرعها زبرجدة خضراء ثم يستحصد زرعها. ويصفر فتصير ذهبة صفراء » (١٧٣) ثم يتحدث عنه كوسيلة لحماية البلاد فيقول « النيل وسيلة دفاعية » (١٧٤) .

ويتحدث ابن حوقل(١٧٥)عن النيل بصورة مقارنة لدجلة والفرات فيقول « وأما النيل فان ابتداء مائه لا يعلم . وذلك انه يخرج من مغاور من وراء أرض لا تسلك حتى ينتهى الى حد الزنج ثم يقطع من مغاور وعمارات أرض النوبة ، فيجرى على عمارات متصلة الى ان يقطع أرض مصر ، وهو نهر يكون عند امتداده أكبر من دجلة والفرات اذا جمعــا وماؤه أشد عذوبة وحلاوة وبياضا من سائر أنهــار الاسلام وهو متصل بالبرية التى لا تسلك » .

ويصف ابن فضل الله العمرى(١٧٦)النيـــل وفوائده لمصر وصفا فيما فيقول « هو النهـــر الاعظم الذى لا يعدله فى عظيم نفســه لعظم ما

---

(١٧١) ابن الكندى : فضائل مصر ص ٦١ ــ ٦٢ .
(١٧٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٩ ــ ٢٢ .
(١٧٣) المصدر السابق والصفحة .
(١٧٤) المصدر السابق ص ٣٢ ــ ٣٣ .
(١٧٥) ابن حوقل : المسالك والممالك ، ص ٩٨ .
(١٧٦) ابن فضل الله العمرى : مسالك الابصار ص ٣٦٢ .

عليه من البلاد وطوله فى الامم وهو ينصب من جبل القمر . وقد قدمنا عند ذكر الجبال طرفا منه ، وان كان لا فعال يوفيه لأنه أحد الكبر ، واولى العبر ، آية من آيات الله فى أرضه وعجيبة لمن تأمل فى خلقه ، ساقه الله تعالى الى مصر فاحيا به بلدة ميتا وسقاه أمة عظمى ، وان لم تكن هى المتفـردة بنفعـه ، فانها كالمتفـردة به لعظم منفعتها منه وعميم مصلحتها به ، يجىء اليهـا أحوج ماكانت الى مجيئه وينصرف أحوج ما كانت الى انصرافه وذلك تقدير العزيز العليم « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضـل العظيم » .

وقال المسـعودى فى مروج الذهب (١٧٧) وصف بعض الحكماء مصر فقال «ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة أشهر مسكة سوداء وثلاثة أشهر زمردة خضراء ، وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء فأما اللؤلؤة البيضاء فان مصر فى شهر أبيب ومسرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضـاء ، وأما المسكة السوداء فان فى شهر بابة تتكشف الأرض فتصير أرضا سوداء ويقع فيها الزرعات وللارض روائح طيبة تشـبه رائحة المسك ، وأمـا الزبرجدة الخضراء فانها فى شهر طوبة وأمشير وبرمهات تلمع الأرض ويكثر عشبها ونباتها فتصير الدنيا خضراء كالزمردة ، وأما السـبيكة الحمراء ، فان فى شـهر برمودة وبشنس وبؤنه يبيض الزرع ويتورد العشب فيشبه الذهب فى المنظر » .

وهكذا من خلال النماذج الواردة فى السطور السـابقة ومن خلال النماذج التى تغص بها الكتب والمؤلفات المعاصرة لتلك الفترة نستطيع أن نحس مكانة سامية لنيلنا العظيم فى النفوس وتأثيره البين الواضـح على أسلوب النثر الأدبى فقد كان موضوعا رئيسيا لكتاباتهم ، ولا غزو فهو قوام الحياة فى مصر ، ومحور النشاط الانسانى على الأرض المصرية ، فاذا أوفى سـارت الأمور سيرتها الطبيعية ، واذا قصر سادت مظـاهر الفوضى والفزع ، وبالطبع ينعكس على ما يكتبه الأدباء والشعراء .

## نهـر النيـل فى النثر والشـعر :

شغل نهر النيل العقول منذ الزمان القـديم ، واضطر العلمـاء والأدباء الى أن تعيره انتباهها وتولية حظا غير قليل من تفكيرها وفلسفتها ومن مديحها واطرائها وشعرها وغنائها .

---

(١٧٧) ج ١ ص ١٦٣ .

ولقد كانت الأنهار دائما أحب ظاهرات الطبيعة الى الروح البشرية ذلك لأنها ليست صـــورا جامدة ، بل كائنات تتحرك وتتدفق وتغيض وتفيض ، وتهبط وتعلو ، كأنها صدر يجيش أو قلب يخفق ، وقد تسمع لها أحيانا خريرا عذبا هادئا وتسمع لها زئيرا صاخبا ، وترينا تارة صفحة ملساء ناعمة وتارة ترينا وجها متجهما عابسا (١٧٨) ٠

وللنيل بين الأنهار مكان عظيم الخطر وليس من الاسراف أن تقول أنه شـــيخ الأنهار جميعا ، واعرقها حسبا وأجلها نسبا ، لقد نجد بين أنهار الدنيا ما هو أطول فى مجراه من النيـل أو أغزر ماء أو اقدم فى التكوين « الجيولوجى » من النيل ، ولكن النيل ما بين الأنهار جميعا هو النهر الذى ولد أمة ونشاها وغذاها ، وأسس حضارة ونماها وشـــد أزرها على مدى القـرون (١٧٩) ٠

وقد تحدثنا فى أقوال المعاصرين عن الموضوعات ، التى كان للنيل التأثير المباشر فيها كما فى كتاب عمرو بن العاص الى الخليفة عمـــر ابن الخطاب وفى وصف الأمير موسى بن عيسى الهاشمى (١٨٠) له وفى الكثير مما ورد عنه فى الكتب ، ويرجع ذلك ؛ الى أن للنهر فى العهـد العربى مكانة الهائل فى حياة مصر وسكانها ٠ ولقد أشـــار اليه القرآن الكريم ، « أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى »(١٨١) واشـــارة أخرى لم يذكر فيها صراحة « كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كـــريم ونعمة كانوا فيها فاكهين » (١٨٢) ولابد من أن نلاحظ أن وصف الأرض بأنها تجرى من تحتها الأنهار كثيرا ما ورد فى وصف الفردوس ، وكذلك ورد ذكر مصر فى كثير من الأحاديث ٠

أما عن الشعر فان ذكر النيل لم يرد على لسان الشعراء الا قليلا ، ولقد وجد الشعر العربى فى مصر ، كما وجد فى غيرها ولكن الذى وصلنا منه قدر يسير ، وأكثر ما وصلنا لا يكفى لان يدلنا على مدى تأثر الشعر العربى بالبيئـة المصريـة ، وان كانت تدلنا على أنه كان بمصر شـعر تأثر بالحياة المصرية وان هذا الشعر قد فقد (١٨٣) ٠

---

(١٧٨) محمد عوض محمد : نهر النيل فى الأدب ص ٣ ٠
(١٧٩) نفس المرجـع والصـفحة ٠
(١٨٠) هو والى مصر فى أيام الرشيد سنة ١٧٢ هـ ــ ٧٩١ م ٠
(١٨١) سـورة الزخرف آية ٥١ ٠
(١٨٢) سـورة الدخان آية ٢٥ ــ ٢٧ ٠
(١٨٣) محمد كامل حسين : أدب مصر الاســلامية عصر الولاة ص ١٢٥ طبعة دار الفكر ٠

ولقد زار مصر من كبار الشعراء العرب عدد ليس بالقليل من بينهم أبو نواس وقد مدح والى مصر الخصيب بشعر جميل لم يرد فيه ذكر النيل الا عرضا (١٨٤) .

وقد نشأ فى مصر ابو تمام حبيب بن اوس ، وفى شعره الكثير الذى وصف فيه الربيع والمطر والسحاب والخمر والشعر وغير ذلك من الموضوعات ولا نراه يذكر مصر ونيلها ، مع أنه كان يسقى ماء النيل بالجرة فى المسجد الجامع بمصر (١٨٥) .

كذلك من اشهر من زاروا مصر كما هو معروف أبو الطيب المتنبى وقد ذكر النيل عرضا فى قصيدة له مشهورة وهكذا نرى أن المتنبى فى بيتين اثنين يشير الى نهر الأردن والفرات والنيل وبحيرة طبرية . ولكن المتنبى قصد مصر بعد ذلك وأقام فيها زمنا ليس بالقصير وانشد وهو بها عدة قصائد لم يات فيها ذكر لنهر النيل وان كان لم ينج من أثر النيل فى شعره ، فان أشعاره التى كتبها وهو فى مصر اجمل شىء كتبه ، فهو أبرع وأروع مما ألفه قبل اقامته فى مصر وبعدها ، ويرى الدكتور محمد عوض محمد أن لماء النيل فضلا بينا(١٨٦) .

هذه أمثلة لقليل من كثير من فحول الشعراء الذين اتصلوا بمصر ولم يعالجوا موضوع نهر النيل فى شعرهم وهذا راجع الى أسباب أهمها : أن وصف الأنهار والبحار والغابات لم يكن من الموضوعات التى ألفها شعراؤنا ، وهذا الاعراض عن النيل نرى له نظيره فى الاعراض عن الأنهار الأخرى مثل دجلة والفرات ، وأنهار الشام التى لم يرد ذكرها فى الشعر الا قليلا وقد انصرف الشعراء الى أغراض أخرى مثل المديح ... الخ (١٨٧) .

كما أن الشعراء فى أوائل العهد العربى لم يكونوا من المصريين لأن سكان مصر لم يتخذوا اللغة العربية الا بعد انتشار الاسلام واللغة العربية ، وبعد أن أصبحت هذه اللغة ، لغة الأدباء من أهل مصر ومع

---

(١٨٤) ديوان أبى نواس : قصيدة مجلس السرور ص ٤٧٩ .
(١٨٥) محمد عوض محمد : نهر النيل فى الأدب ص ٨ .
(١٨٦) نفس المرجع والصفحة .
(١٨٧) نفس المرجع والصفحة ، محمد كامل حسين : أدب مصر الاسلامية ص ١٢٦ .

ذلك فان الشعراء المصريين كانوا أول الأمر مقيدين بما ورثوه من تقاليد شعرية تلقوها من الشعراء الأوائل (١٨٨) .

ومما تجب ملاحظته أن العصر الذى أخذ فيه الشعراء المصريون يعالجون موضوع نهر النيل كان الشعر العربى فيه قد راح ينحط مستواه كثيرا عما كان عليه فى العصر العباسى الأول فلا يجوز لنا أن ننتظر من شعراء مصر انتاجا فنيا رائعا فى هذا الموضوع .

كما أن مصر كانت ولاية ليس لها شأن وليست مقرا للخلافة ، واذا نبغ شاعر أو كاتب كان يحمل الى الخليفة أو يرحل هو الى دار الخلافة لينال من العطاء والهبات مما كان يأخذه شعراء الخليفة ، أضف الى ذلك عدم اكثرات المصريين فى أول الأمر بدراسة الأدب والعلوم الادبية ، بل كان جل اهتمامهم يكاد ينصرف الى الدراسات الدينية الخالصة ، مما أضعف رواية الشعر ودراسته فى مصر وسبب ضياع أكثر شعر المصريين (١٨٩) .

ويعلل الدكتور سيد نوفل قلة الانتاج الشعرى فى هذه الفترة فيقول « المصرى بحكم عمله الزراعى ، رجل عملى صبور يبذر البذور وينتظر أشهرا فى عمل دائب قبل أن يجنى الثمر ، وفى هذا مباعدة بين الانسان وبين المعانى الشعرية أو مساعدة على هذه المباعدة ، اذا توافرت لهـا أسباب أخرى » (١٩٠) .

ويرى البعض الآخر فى هذه القلة من الانتاج الأدبى وخاصة تأثير نهر النيل رغم سحره فيقول « وهذه البيئة لم تترك فى الأدب العربى الا آثار قليلة ، كرسالة عمرو فى وصف البلاد ، وهى أقوى ما أثر على الرغم من انهـا لم تكن مقصودة لذاتها .... وقد نجد بعض أسماء الأماكن المصرية واسم مصر نفسها يتردد كثيرا فى الأدب ، والشعر خاصة ولكنه لم يتجاوز سرد الأسماء .... ولا نجد وصفا أدبيا لهذه البيئة أو أدبا من وحيها الا فى عهد الطولونيين والأخشيديين لما ظهر شعراء الأديرة ... وأما النيل فكان وحيه ضعيفا الى الأدباء على الرغم من

---

(١٨٨) محمد كامل حسين : أدب مصر الاسلامية ص ١٢٦ ، محمد عوض محمد : نهر النيل فى الأدب ص ٩ .

(١٨٩) نفس المرجع والصفحة .

(١٩٠) سيد نوفل : شعر الطبيعة فى الأدب العربى ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

قوته وسحره وخيراته ووضوح آثاره واختلاف أحواله على مدى العام » (١٩١) ·

وهناك نوع من المكاتبات من خصائص مصر، وهى المكاتبة بالبشارة بوفاء النيل، والبشارة فى الركوب بفتح الخليج، ولا يشارك مصر فى ذلك غيرها من الممالك ولا يزال القائمون بالأمر فى مصر من قديم الزمان يكتبون بذلك الى ولاة الأعمال ، ولكن لم يصلنا من المكاتبات التى صدرت فى العصر الذى نؤرخه عن ذلك (١٩٢) ·

وأقدم ما ورد فى النيل من أشعار ما ذكره الأعشى (١٩٣) فى مدح قيس بن معد يكرب (١٩٤) ويصف الأحوص (١٩٥) اتساع الدولة الأموية فيقول :

---

(١٩١) عبد الرازق حميدة : الأدب العربى فى مصر من الفتح الاسلامى الى الفاطميين ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ·

(١٩٢) محمد كامل حسين : أدب مصر الاسلامية ، عصر الولاة ص ١١٢ ·

(١٩٣) الأعشى شاعر جاهلى ادرك الاسلام ·

(١٩٤) يمدح الأعشى قيس قائلا أن الممدوح أجود من النيل الزاخر بالخير فيقول :

ما النيل أصبح زاخرا من مده
جادت له زيح الصبا فجرى لها

زيدا يبابل فهو يسقى أهلها
رغدا تفجره النبيط خلالها

يوما بأجود نائلا منه اذا
نفس البخيل تجهمت لسؤالها

وللاعشى أيضا فى مدح اياس بن قبيس الطائى :

فما نيل مصر اذا تسامى عبابه
ولا بسحر بأنفيا اذا راح مفعما

بأجود منه نائلا ان بغضهم
اذا سئل المعروف صد وجمجما

(١٩٥) الأحوص بن محمد عبد الله شاعر أموى مدح الوليد ويزيد وعمر بن عبد العزيز ·

يجبى لـه بلخ ودجـلة كلهـا
ولـه الفرات وساقى والنيل (١٩٦) ..

وقال الشاعر كشاجم فى النيل :
كـأن النيـل حـين أتى بمصر
وفـاض بهـا وكـرب التراع
وأحـدق بالقرى من كـل وجـه
سـماوات كواكبها ضـياع(١٩٧)

ومن ذلك أيضا قصـيدة سـعيد القاص التى بكى فيها دولـة الطـولونيين (١٩٨) ٠

ويقول عبيد الله بن قيس الرقيات واصفا رحلة عبد العزيز بن مروان الى الاسكندرية لثالث مرة سنة ٨١ هـ / ٧٠٠ م :
لحـى من أميـة ليـ
س فى أخـلاقهم رفـق ٠٠٠
يكـون لخـابط المعـرو
ف فى واديهم ورق ٠٠ الخ (١٩٩)

وقال أيمن بن خريم بن فاتك فى عبد العزيز بن مروان حين ولاة أخـوه مصر :
فبشر أهـل مصر فقـد أتاهم
معالنيل الذى فى مصر نيل (٢٠٠)

وقد ذكر أبو بـكر بن أبى الجهم ابن حيزبة النيـل عندما رثى عبد العزيز بن مروان فقـال :
فـلا ضلحت مصر لحـى سـواكما
ولا سقيت بالنيل بعـد كمـا مصر
ولا زال مجـرى النيـل بعدك يابسـا
يموت به العصفور واستبقىالقطر(٢٠١)

---

(١٩٦) ابن خرذابة : مسالك الممالك ص ٣٣ ٠
(١٩٧) الشـابستى : الديارات ص ١٧٠ ٠
(١٩٨) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٥٤ ــ ٢٥٥ ٠
(١٩٩) نفس المصدر ص ٥٠ ــ ٥٢ ٠
(٢٠٠) البلاذرى : انساب الاشراف جـ ٥ ص ١٨٣ ٠
(٢٠١) نفس المصدر ص ١٨٤ ٠

ومن الأمثلة التى ورد فيها النيل عرضا أو جاء وصف مصر على ضفافه، أن عبيد الله ابن قيس الرقيات وفد على مصر ،ومدح عبد العزيز ابن مروان وشاد بذكر مدينة حلوان ، التى ابتناها الأمير واتخذهـا مسكنا لـه (٢٠٢) .

وهكذا نرى ان الأمير عبد العزيز بن مروان ، استطاع أن يجمع حوله عددا من الشعراء البارزين ، كما أن حـالة النيل انعكست على بعض الشـعر فى عهـده . وانعكست أيضـا عـلى الشـعر فى ولايـة عبد الله بن عبـد الملك بن مروان ٨٦ ــ ٩٠ هـ / ٧١٥ ــ ٧٠٨ م حيث ارتفعت الأسعار فى عهده بمصر فتشائم المصريون بالوالى وخرج عبد الله الى أخيه الوليد سنة ٨٨ هـ / ٧٠٨ م فهجاه ابن أبى زمزمة (٢٠٣) .

ولما خرج أبو نواس من مصر بعـد ان مكث فيهـا سنة فقد هجـا مصر والمصريين ثم نراه يهجو النيل (٢٠٤) .

وفى شعر ابى نواس فى مصر نجد أثر مصر واضحا قويا ، فقد ذكر النيل مرارا وما به من التماسيح وهو معنى مصرى لا يتأتى لشاعر لما يرى النيل وما به من التماسيح (٢٠٥) .

وفى أيام خمارويه بن أحمد بن طولون خرج لحرب اسحق بن كنداج سنة ٢٧٣هـ/٨٦٩م فهزم ابن كنداج وتبعه خمارويه حتى بلغـا « سر من راى » فمدحه القاسم بن يحيى المريمى بأبيات تلمح فيها تأثير النيل .

وقد خص القاسم بن يحيى بن معاوية المريمى شعره فى مدح خمارويه وقال فيه كل مدائحه حتى سئل مرة ان يرحل عن مصر فقال :

وكيف رحيلى عـن بـلاد غـدا بهـا
أبـو الجيش والنيـل الذى مـلأ الأرضـا

ولما بنى أحمد بن طولون المراكب الحربية واتخذ الحصن بالجزيرة هجاه الشاعر محمد بن ابى داود بقوله :

---

(٢٠٢) الكندى : الولاة والقناة ص ٥٩ .
(٢٠٣) نفس المصدر والصـفحة .
(٢٠٤) ديوان ابو نواس : ٥٦١ .
(٢٠٥) محمد كامل حسين : فى أدب مصر الاسلامية ١٩٧ ــ ١٩٨ .

بنى الجزيرة حصنا يستجن به
بالعسف والضرب والصناع فى تعب
وراقب الجزيرة القصوى فخندقها
وكاد يصعق من خوف ومن تعب
له مراكب فوق النيل راكدة
فما سوى القار للنظار والخشب
يرى عليها لباس الذل مذ بنيت
بالشط ممنوعة من عزة الطلب
فما بناها لغزو الروم محتسبا
لكن بناها غداة الروع للهرب(٢٠٦)

والظاهرة التى يجب ان نلاحظها ان شعراء العصر الطولونى والاخشيدى ، قد انغمسوا فى تيار اللهو والمجون فقد غمرهم الترف ... وازدادت ثروة البلاد ، والمصرى بطبيعته ميال الى الفكاهة والدعابة (٢٠٧) . كما لا ننسى ان لانتشار المتنزهات والحدائق القائمة على ضفاف النيل ، كان له تاثير فى وصف الطبيعة ، ولقد كان دير مرحنا على شط بركة الحبش....من ضمن هذه الاماكن التىزخرت بالمتنزهات ومن الشعراء الذين كانوا يذهبون الى هذا الدير الشاعر العباسى البصرى فقد قال فى قصيدة مطلعها

يا حامل الكأس أدرها واسقنى
قد ذعر الشوق فؤادى فانذعر(٢٠٨)

ولأبن البصرى شعر كثير فى الاديرة التى كانت بمصر وخاصة دير نهيا بالقرب من الجيزة الذى قال فيه ابن فضل الله العمرى(٢٠٩) «وديرها(أى دير نهيا)هذا من اطيبها موضعا واجلها موقعا عامر برهبانه وسكانه ، وله فى النيل منظر عجيب لأن الماء يحيط به من جميع جهاته ويزيد فى حسن متنزهاته ، فاذا انصرف الماء أظهرت أرضه غرائب النوار وعجائب الزهور المشرقة الانوار وله خليج ينساب انسياب أرقم وعليه شطوط كانها بالديباج ترقم » وفى وصف الزهور والطبيعة يقول ابن البصرى فى قصيدة طويلة منها :

---

(٢٠٦) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢١٨ – ٢١٩ .
(٢٠٧) محمد كامل حسين : أدب مصر الاسلامية ص ٢٣٧ .
(٢٠٨) الشابستى : الديارات ص ١٨٨ ،
محمد كامل حسين : فى أداب مصر الاسلامية ص ٢٤٠ .
(٢٠٩) مسالك الابصار جـ ١ ص ٣٦٢ .

او ما ترى وجه الربيع وقد زهت
أنواره بنهاره المتالق
وتجاوبت أطياره وتبسمت
أشجاره من ثغر زهر مورق
لم يغذها طل الرزاز ببردة
حتى تفتح كل جفن مطبق

ثم نلاحظ وصفا للطبيعة من كل من الشعراء ابن طباطبا العلوى والشاعر صالح بن موسى فى وصف البرك وغيرها (٢١٠) ٠

ولا شك ان تاثير النيل واضح جلى ، فلولاه لما كانت هذه البرك والمتنزهات ، حتى توصف وتعبر عن ميول هؤلاء الشعراء ومن خلفهم المصريون الى الطبيعة والجمال على النهر الخالد ٠

---

(٢١٠) محمد كامل حسين : المرجع السابق ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠

## الخـــــاتمة

قامت الزراعة على نهر النيل وارتبطت بنظام الرى الذى توارثه المسلمون من العصور السابقة ، وقاموا بالعناية به وتحسينة ، ولم يكن نهر النيل يغمر ضفتيه الحاليتين بالمياه ، ومع هذا كانت مياه النهر تصل الى الحقول البعيدة والقريبة عن طريق نظام محكم للرى ، الذى كان يعتمد اساسا على نهر النيل ولذلك قامت الزراعة عليه .

وكان المصريون يقسمون الارض الى حياض يصلها الماء فى وقت الفيضان ، وكان النظام السائد للرى هو نظام الرى الحوضى ، وان كان هناك نظم آخرى الرى الدائم ، والرى بالآلات ، ولكنها لم تكن الا فى مساحات صغيرة مثل الاماكن القريبة من مجرى النيل واراضى الفيوم وكانت المياه فى الرى الحوضى تغمر كل الاراضى بحيث يغطى ماء الفيضان وجه الارض ، ولا يمكن الوصول الى القرى الا فى المراكب .

وحين تنصرف المياه عن وجه الارض ، تنتشر المساحات السوداء وتترك الحقول هكذاحتى تقارب الجفاف ،ويستقر الطمى وتحرث الارض وتزرع بطريقة بدائية للغاية .

وكان النظام الحوضى يستلزم عمل جسور طويلة لتنظيم عملية الرى ، وقد ساعدت الظروف الطبيعية لأرض مصر ، على جعل نظام رى الحياض نظاما مثاليا ، وذلك لانحدار الأرض الى الشمال ، وكان النيل وفروعه المختلفة تكون جسورا طبيعية حولها ولما كانت اراضى مصر يتباتن سطحها كان رى هذه الأراضى على مراحل .

ونظرا لأهميـة الرى وضبط ميـاه النهر فقد اهتم المصريون قبل الفتح الاسلامى وبعده بعمل المقاييس التى يمكن بواسطتها متابعة فيضان النيل ، حتى يمكن قيام زراعة مستقرة ، وقد أنشأ المصريون القدماء مقايس للنيل ، وان كان حديث المصادر العربية عنها يكتنفه الغموض والخرافات ، أما المقاييس فى العهد الاسلامى ، فقد أفاض المؤرخون فى الحديث عنها ، وبدأ عمرو بن العاص بانشاء هذه المقاييس وتبعه الولاة فترة بعد آخرى حتى أنشأ الخليفة المتوكل العباسى فى سنة ٢٤٧ / ٨٦١ م، مقياسا أستمر العمل عليه حتى نهاية عصر المماليك وكان هذا المقياس فى الطرف الجنوبى من جزيرة الروضة .

وكان أقباط مصر يتولون قياس فيضان النيل ، ولكن حين بنى المتوكل مقياسه أمر بأن يتولاه أحد المسلمين ، وأن يعزل النصارى عنه ، ومنذ ذلك الوقت ظل المقياس فى أيدى أسرة مسلمة تنتسب لأبى الرداد المعلم الذى تولى أمر القياس منذ ذلك التاريخ ٠

وكانت ارض مصر عبر كل العصور حضارة نهرية ، فالتربة المصرية ، تربة منقولة يجلبها النيل فى فيضانه السنوى ، وكان من « حكمة الله أن جعل فى نيل مصر من حكمة الزيادة فى زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البلاد ، وهبوط الماء فيها عند بدء الزراعة ولولا ذلك لفسد اقليم مصر » ٠ وكان المصريون يستبشرون بفيضان النيل لأنه المصدر الرئيسى للرى ، ويعتمد قيام الزراعة ونجاحها عليه ٠

وتبدأ زيادة نهر النيل عادة فى شهر بؤنة ( يونيو ) وتبدأ مياهه فى الانحسار عن وجه الأرض فى عشرين بابة ( أكتوبر ) أى أن مدة الفيضان حوالى ثلاثة شهور وخمسة وعشرين يوما ٠ وهكذا يكون فيضان النيل يترتيب مما يضفى على الحياة صورة منتظمة ، بل أن النيل بانتظامه ساعد على نشأة التقويم المصرى ٠

وقد حدث لبس لدى الجغرافيين العرب ، فى معرفة أسباب الفيضان ، ولكن منذ القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى أدركو أنه نتيجة سقوط الأمطار على جنوب السودان والحبشة وان كانوا قد أثاروا حول فيضانه خرافات كثيرة ٠

ونظرا لأهمية الفيضان ، فقد حاول المصريون أن يتنبأوا بأحوال الفيضان ، قبل موعده ، حتى يستعدوا لما سيحدث ، استنادا الى هذا التنبؤ ، وقد يكون التنبؤ بناء على مشاهدات علمية أو أساطير أو ظواهر فلكية ، أو تجارب علمية ، يستنتجون منها بطول التجربة والخبرة ، ما سيكون عليه الفيضان ٠

وبالنسبة لمناسيب الرى ، فان المنسوب الذى كان كافيا للرى فى بداية الفتح الاسلامى لم يعد كذلك عند نهاية هذه الفترة ، ويرجع ذلك لارتفاع منسوب الأراضى ، بالاضافة الى اهمال شبكة الجسور والترع والقنوات والقناطر ٠

وعلى كل حال كان بلوغ الزيادة فى نهر النيل تمام الست عشرة ذراعا ، وهى علامة الوفاء وأتم الزيادات ، المفيدة للبلاد هى سبع

عشرة ذراعــا ، واذا زاد الفيضــان عن ثمــانى عشرة ذراعا ، كان ذلك استبحارا لربع أراضى البلاد ، واذا قل عن الست عشرة ذراعا ، كان ذلك نقصا من الزراعة وبالتالى الخراج .

وكان هناك العديد من الترع والقنوات قبل الفتح الاسلامى ذكرها ابن عبد الحكم وقام عمرو بن العاص بحفر خليج أمير المؤمنين .

والجسور هى أول المنشآت للتحكم فى مياه النهر ، وهى عبارة عن سدود ترابية على حافة النهر ، أو الترع والقنوات ، وبالاضافة الى حفظ الجســـــور للمياه من اغراق البلاد والزراعة ، كانت تستخدم كطــرق للمواصلات ، وكانت هذه الجسور تنقسم الى قسمين : الجسور العامة ، وهى التى يعم نفعها كل الأراضى الزراعية فى أنحــــاء البلاد ، وكانت الدولة مسئولة عن اقامتها وصيانتها . والجسور البلدية وهى الخاصــة بالبلدان حيث يعم نفعها ناحية دون أخرى ، وكان أهل القرى والنواحى ملتزمين ببنائها وصيانتها . والى جانب ذلك كانت هنــاك قناطر لضبط تصريف المياه ، وجسور للعبور عليها فى النيل من الفسطاط الى الروضة ، ومن الروضة الى الجيزة .

وكانت الدورة الزراعيــة تشــمل غمر الأراضى وتجديد خصبهــا بالطمى فى كل عام ، ثم تزرع الأراضى بعد انحســـار المياه ، وكانت أراضى مصر جيدة ، وتنقسم الى أقسام حسب جودة الأرض ونوع الزراعة وانتاجيتها من المحاصيل وهى ثلاثة عشر نوعا ، وتبدأ من الباق وهى أجود أنواع الأرض ، وتنتهى بالسباخ وهى الأرض التى غلب عليهــا المــلح .

ونظرا لأن نظام الرى السائد ، هو نظام الرى الحوضى ، فقــد كانت الزراعة الشتوية ، هى السائدة ، وهى ذات المحصول الواحد وان كانت هناك بعض المناطق مثل الفيوم والأراضى المجاورة للنهر تروى ريا دائما وبالتالى يزرع عليها أكثر من محصول واحد .

وسارت الحياة الاقتصادية وفقا للتقويم القبطى ، المتوارث عن قدماء المصريين وبالرغم من أن الزراعة الشتوية هى السائدة ، الا أنه كانت هناك زراعات صيفية وخريفية وكانت أهم الحاصلات هى المحاصيل الشتوية ، وهى القمح حيث كانت زراعته تكثر فى الصعيد ، والشــعير والكتان ، والفول والجلبان .... وغيرها من المحاصيل الشتوية . ومن المحاصيل الصيفية ، القصب والقطن والأرز والنيلة والسمسم ، كما كانت

تنتشر أشجار الفاكهة والنخيل . وكذلك أشجار الغابات التى تستخدم أخشابها فى العديد من الصناعات والاستخدامات .

وكان نهر النيل ومازال ، وسيلة مواصلات طبيعية لا نظير لها ، وخاصة فى مصر الاسلامية ، حيث كان الطريق الرئيسى للانتقال بين أنحاء البلاد ، ولا سيما بين الشمال والجنوب ، ومجراه يعتبر صالحا للملاحة لعدم وجود الجنادل والعوائق ، التى تعوق حركة الملاحة وخاصة فى مصر ، ولذلك كانت تسير السفن النيلية والمراكب تنقل المسافرين والبضائع ، وقد ذكرت أوراق البردى الكثير للدلالة على أهمية النيل كوسيلة من وسائل النقل .

كما كان استخدام النيل فى النواحى العسكرية ، فقد كان النيل خط دفاع طبيعى ووضحت أهميته العسكرية منذ بداية الفتح الاسلامى ، فقد استخدمه المقوقس فى مقاومة المسلمين ، كما استخدم فى الاعمال العسكرية خلال الفترة التى ندرسها بالاضافة الى قيام دور الصناعة عليه لاعداد السفن الاسلامية .

وكانت أهم السلع المحمولة على النيل ، هى الغلال والماشية والبضائع ، وكايت كثيرة جدا ، وتحمل الحاصلات من القرى والمدن الى السوق الرئيسية بالفسطاط ، وكذلك تحمل الواردات الى كافة أنحاء البلاد ، وكان القمح يجلب من الصعيد وخاصة منفلوط وكان هناك مركز تجارى للغلال بالفسطاط ، عرف بميدان الغلة ، كما كان الكتان والشعير وقصب السكر ( وما ينتج منه من عسل ) وكذلك الأخشاب ، من السلع المحمولة على النيل .... الخ .

وعلى النهر كانت هناك ـ وعلى مراحل تكاد تكون متساوية ـ موانى للنهر ترسو عليها السفن ، لتصريف الحاصلات أو جلبها ، ولكى تحصل على ما تحتاج اليه من مؤن . وكان هناك سماسرة ، فى المدن والقرى ، لاستجلاب المحصولات وبيع المصنوعات وكانت لفروع النهر وخلجانه وترعة نفس الأهمية فى نقل المحاصيل والسلع .

وقد نشأت مراكز للتجارة على النيل ، ازدهرت فيها الأسواق ، التى كان لها نظم تسير حركة التجارة فيها .. ومن هذه المراكز ، الفسطاط ورشيد ودمياط والاسكندرية ، وأسوان .. وغيرها من المراكز .

وكانت الفسطاط أكبر هذه المراكز ، لكونها عاصمة الولاية ، ولتوسطها بين الشمال والجنوب ، واتصالها بالموانى الشمالية ، وكذلك

البحر الأحمر عن طريق النيل وفروعه وخلجانه . وكان لموقعها أثره الكبير فى ازدهارها ورواج التجارة بها ، منذ تأسيسها وهى مدينة كبيرة الى الشرق من النيل ، وكانت حركة التجارة ، فى مصر تنصب فى مدينة الفسطاط ، لموقعها من البلاد ولاتصالها المباشر بالتجارة الخارجية .

وكانت أسوان منذ عهد الفراعنة سوقا كبيرة ، ازدهرت أسواقها فى العصر الاسلامى وكان بها « سوق قائمة » وكان لموقعها فى نهاية طرق التجارة ، وطريقها النهرى لاتصالها ببلاد النوبة من ناحية الجنوب ، أثر فى ازدهارها وفى جنوبها كانت قرية « بلاق » بمثابة السوق للتبادل التجارى بين مصر والنوبة ، كما كانت بأسوان حاصلات زراعية وخاصة التمور الممتازة ، واتسمت حركة التجارة بها بالضخامة والسعة .

وظلت الاسكندرية عاصمة لمصر طوال العصر اليونانى والرومانى ، واحتفظت بمكانتها عقب الفتح العربى لمصر ، وكان لموقعها على البحر المتوسط بالاضافة الى ارتباطها بطريق نهرى الى داخل البلاد ما ساعد على رواج التجارة بها ، وكانت بها طائفة كبيرة من اليهود ، يقومون بدور تجارى هام .

ومن مراكز التجارة أيضا تنيس ودمياط ، وقد حازتا شهرة كبيرة فى الصناعة والتجارة حيث اشتهرتا بصناعة المنسوجات وكذلك كونهما موانى هامة على البحر المتوسط بالاضافة الى قربهما من أماكن زراعة الحاصلات اللازمة لصناعة المنسوجات ، وكانتا تنتجان أنواعا ممتازة من النسيج مثل رفيع الدبيقى ، والشرب والمصبغات والملابس المشغولة بالذهب ، والشطوى العجيب .... وغيرها من أنواع المنسوجات .

وأسهمت عيذاب فى التجارة ، على الرغم من انها لم تكن على النيل ، وذلك لكونها منفذا لتجارة الصعيد الصادرة والواردة على البحر الأحمر ، وطرق الحجاج مما ساعد على تنشيط مراكز التجارة الواقعة على النيل بصعيد مصر ، مثل أسوان .

ومن المراكز التجارية الهامة أيضا رشيد ، وهى من البلاد القديمة التى كانت بها أسواق وايرادات ومكوس ، كما كانت بها غلات تساعد على ازدهار حركة التجارة بها ، كما كان لموقعها على النيل والبحر المتوسط ، مساهمة فعالة فى هذه الحركة التجارية المزدهرة ، وبالاضافة الى ذلك هناك مراكز للتجارة على النيل وان كانت أهميتها أقل من

المراكز التى ذكرناها ، مثل قوص وأخميم وأدفو ومنفلوط وأسـيوط والبهنسا والفيوم والقلزم وبلبيس ٠٠٠٠ وغيرهـا ٠

وكانت الأسـواق فى هذه المراكز ذات نظم مرعية ، ذكرتها كتب الحسبة وكانت هذه الأسـواق تحيط بالمسجد الجامع ، وكانت تخصص لكل صنعة أو حرفة مكانا يقتصر على هذه السلعة ٠

فكانت أسواق الفسطاط ـ وكذلك باقى أسواق المراكز التى ذكرناها تحيط بجامع عمرو بن العاص ، وكانت الأسواق تقع فى الخطط نفسها ، وكانت بها أسواق مثل سوق القناديل ، كما كانت الأسـواق بها تسمى أيضا بأسماء جنسيات مثل سوق البربر ، ووجدت بها أيضـا سويقات تخصصت فى أنواع معينة من السلع ، مثل دار الانمـاط ، وسـوق السماكين والزياتين ٠٠٠٠ وغيرهـا ٠ وكانت هذه الأسـواق مزدهرة ومزدحمة بالمشترين والبائعين ٠

والى جانب الأسواق كانت هنـاك منشآت تجارية ، مثل القياسر وهى مبان داخل الأسواق ، تضم عدة حوانيت ، وتختلف عن الأسواق فى كونها مسقوفة مثل قيسارية العسل ، وكان للقيسارية أكثر من باب وتشمل أماكن لاقامة التجار ، وقد عرفت غالبية المدن المصرية القيـاسر منذ الفتح العربى ، ولا تخلو مدينة مصرية من اسم القيسارية فى الشارع التجارى بها حتى اليـوم ٠

وكان لهذه الاسواق نظم ، يقوم المحتسب على مراعاتها ، وازدهرت بها اعمال الصيرفة ، التى يتولى فيها الصرافون العمليات التجارية ، وانتشر فى القرى السماسرة ، فى الأسـواق المختلفة ، ولعب اليهود دورا واضحا فى العمليات التجارية وظهرت وسائل للمعامـلات مثل السفاتج والصكوك والبنوك لتسهيل الاعمال التجارية وسرعة انجازها ٠ وكان للقضـاة أراء تتبع فى ما يجرى فى الأسـواق من معامـلات ، يلتزم بها المتعاملون ٠

وفى مراكز التجارة التى ذكرناها كانت نفس النظم ، وان كان التعامل أقل بكثير من سوق الفسطاط ، ففى أسوان كانت هناك « سوق دائمة »وكان المحتسب يتابع حركة هذه السوق ، وكان التبادل التجارى بين منتجات مصر والنوبة يتم بالتبادل من ناحية وبالنقود من ناحية أخرى ، كما ازدهر فى أسـوان سوق أسبوعية، وكان هذا لعقد الصفقات التجارية ، حتى تسهل عملية التبادل ٠

والنقود المستعملة ،كانت من الذهب ،حيث ظلت الدنانير البيزنطية مستعملة حتى تم ضرب العملة الاسلامية فى عهد عبد الملك بن مروان ٦٥ ــ ٨٦ هـ / ٦٨٥ ــ ٧٠٥ م وكان الى جانب الدينار ، يستخدم الدرهم والفلس ٠

وقام أحمد بن طولون ، باصلاح العملة ، فضرب دنانيره الأحمدية سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م وكذلك ضرب الأخشيد نقودا باسمه سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م٠ وكان الرطل ، وحدة الوزن فى أسواق ومراكز التجارة ، وأوقيته أثنى عشر درهما ، ومنه يتفرع القنطار المصرى وهو مائة رطل ٠ وأستمر القدح المصرى وهو قدح صغير ، تقديره مائتان واثنان وثلاثون درهما ، كل ستة عشر قدحا تسمى ويبة ، وكل ستة وتسعين قدحا تسمى اردبا ٠

وكانت هناك ضرائب على التجار ، تقدر حسب جنسية التجار ، وتجبى فى أماكن معينة ، ومقدار ما يجبى فى مراكز التجارة ، يتوقف على مدى النشاط فى ذلك المركز وأسواقه ، وكانت هناك ضريبة على التجار المقيمين بالبلاد الاسلامية ، وضريبة آخرى تفرض على التجار القادمين من الخارج ٠

ولصاحب المكس ( الضريبة ) مكان يباشر فيه مهام منصبه فى بداية الفترة التى ندرسها ، يسمى أم دنين ٠٠٠ وكانت تقع على النيل فى مكان حديقة الازبكية الآن ٠ ثم أصبحت بعد ذلك كلمة مكس تستعمل استعمالا عاما فى المكوس غير الشرعية والغرامات التى عبر عنها فيما بعد بالمرافق المعاون ٠

وبعد الفتح اتجهت سياسة المسلمين ، للعمل على تأمين حدود مصر الجنوبية ، فأرسل عمرو بن العاص حملات لتحقيق هذا الغرض وبدأت علاقة المسلمين بالنوبة منذ عقد معاهدة « البقط » تأخذ وضعا جديدا ، حيث كانت هذه المعاهد بمثابة تبادل تجارى بين المسلمين والنوبة ، فالمسلمون يحصلون على الرقيق ويحصل أهل النوبة على المحاصيل والمنتجات المصرية ، وعلى أية حال كانت معاهدة « البقط » بداية توغل المسلمين الى النوبة واللبنة الأولى فى تحول أهل النوبة الى الاسلام وكانت « بلاق » هى مركز التبادل التجارى بين البلدين ، وهى تبعد عن اسوان باربعة أميال ٠

وارتبطت الحياة الاقتصادية ، بما فيها الناحية المالية فى مصر بالنيل ،ففى زيادته العادية ،التى تروى الارض ، تنتظم الحياة الزراعية،

وما يتبع ذلك من ازدهار لباقى النواحى ، وكانت زيادة النيل الى سبع عشر ذراعا كافية لتحقيق هذا الهدف

ومن متابعة حالة فيضان نهر النيل فى كل سنة منذ الفتح العربى ، نلاحظ الترابط الوثيق ، بين حالة الفيضان ، وحالة الجباية ، ففى كفاية المياه أو قلتها ، تكون كفاية الجباية أو قصورها •

ومن تتبع حالة الفيضان فى الفترة من ٢٠ ـ ٣٥٨ هـ/٦٤٠ ـ ٩٦٨ م نجد ان السنوات التى أوفى فيهـا النيـل ، وكانت كمية المياه اللازمة لرى البلاد متوفرة ،مائتان واربعون سنة ،وتراوح منسوب مياه الفيضان فيها من ست عشرة ذراعـا ، الى ثمانى عشرة ذراعا • والسنوات التى ارتفع فيها فيضان النيل عن ثمانى عشرة ذراعا ، بلغت سبعا وعشرين سنة ، وتقاصر النيل فى هـذه الفترة عن حد الوفاء ( ست عشرة ذرعا ) أحدى وتسعين سنة •

واستقرت حالة فيضان النيل فى ولاية عمرو بن العاص ، الاولى والثانية ، فحقق جباية ، بلغت اثنى عشر الف الف دينار ، واستقرت كذلك فى ولاية عبد الله بن سرح ، فبلغت الجباية أربعة عشر ألف ألف دينـــار •

ومن تتبع الولاة ، وما اعترى مصر من مجاعات وأوبئة ، نجد الترابط الوثيق بين حالة الفيضان ، وبين أوضاع مصر الاقتصادية ، والمالية فى تلك الحقبة • حيث كانت مصر تحتاج ، ما بين ربع الى ثلث دخلها للانفاق على الاصلاحات اللازمة ،لاصلاح الترع والقنوات ،ووسائل ضبط النهر ، حتى يمكن ان تفى بما عليها من خراج ، ويقوم بها أقتصاد مثمر ، واذا لم يتم ذلك تدهورت أحوالها الاقتصادية ، وما يتبعها من نواح ماليـة •

وابقى عمرو بن العاص ، لما استقرت له مصر بعد الفتح ، القبط على النظام الذى كان الروم يتبعونه فى جباية الضرائب ، وان كان قد أجرى عليه تعديلا يتفق مع أحوال القرى وعدد السكان ، وأحوال النيل محققا بذلك انتظاما للأعباء دون اجحاف •

وتأثرت جباية الخراج والجزية ، بأحوال الفيضان ، وباضطراب أحوال البلاد ، وقلة استقرار الولاة ، وتسببت قلة الانفاق على الاصلاحات فى تدهور الجباية بالاضافـة لنمو الحـركة الاسلامية ، والتحول الى

الاسلام • وأسهم جشع بعض الخلفاء فى طلب الأموال ، فى هـذا التدهور فقد أعـاق الولاة من العناية بوسائل ضبط النهر •

على أية حال ، عند وصول مياه الفيضان الى ست عشرة ذراعا كان يجب تحصـيل الخراج كاملا ، ويبدأ الولاة فى الجباية ، وتشدد أغلبيـة الولاة فى جمـع الخـراج ومن الأمثـلة على ذلك الوالى قرة بن شريـك ٩٠ ـ ٩٥ هـ / ٧٠٨ ـ ٧١٣ م • فقد أعطتنا اوراق البردى الكثير حـول حرصه على جباية الخراج • وكان تنظيم فرض الضرائب يتم عن طريق أصحاب الكور ورؤسـاء القرى ، ويتصلون بالوالى أو عامل الخراج ، بعد أتمام هذه العمليات ، وتتم الجباية على أساس التقويم الشمسى الذى ثوارثه الأقبـاط عن قدماء المصريين ، وكانت السـنوات القمرية تحول الى سنواتشمسية ، حيث كانت كل ثلاثوثلاثين سنة قمرية تعادل اثنين وثلاثين سنة شـمسية على وجه التقريب ، وكان العـرب يسـمون ذلك « الازدلاق » فيسقطون سنة قمرية كل ثلاثة وثلاثين سنة •

كما كانت الارض « تراك » أى تعاد مساحتها كل فترة ، حتى تقدر مساحة الأراضى الزراعيـة ، وتربط على زراعها ، ومن الثابت أنه تم فى هذه الفترة عمل « روك » فى خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١١٠هـ/٧٢٩م وعمل « الروك » الثـانى فى عهد ابن طولون سـنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م • وكان المستأجر يؤدى ما عليه ، عن الارض البور ، وقد قرر الولاة ذلك ليحولوا دون أهمال المستأجر للزراعة •

وقد أثبتت أوراق البردى عدم مساواة الذميين ، فى دفع الجزية وأثبتت ان الجزية كانت تتناسب مع ثروة الشخص ، كما كان الخراج يجبى نقدا أو عينا ، بينما كانت الجزية تجبى نقدا • وكان يحدث خلط بين الضريبتين ، وكان القمح أهم ما يجبى من ضريبة الطعام • وكان الخراج يجبى على أساس مساحة الأراضى التى يمتلكها الشخص كما تراعى فى ذلك حالة الفيضان •

وكان هناك مزاد يقام فى جامع عمرو بن العاص ،فى القرون الأولى للهجرة ، فى وقت محدد تتهيـأ فيسه قبالة الأرض ، وكان يقوم متقبـل الأرض بتقبل قطعـة من الأرض ( أى يستأجر ) ويقوم فى الوقت نفسـه بجمع الضرائب المفروضة على الناحية التى تقع فيها الأرض المتقبلة •

وكانت صيغة « نقد بيت المال » الشائعة الاستعمال فى ايصالات الضرائب تعنى تسديد القيمة ، على أسـاس المعيار الرسمى لوزن العملة المودعة ببيت المـال •

ولعبت السلطة المحلية للقرية دورا فى توزيع القيمة الاجمالية للضرائب على أهل القرية ، كانت تقوم على توزيع هذه الضرائب على نجوم ( أقساط ) ، وقد فرضت الضرائب على النخل والمراعى والمصائد ، ولعل ذلك متصل بالاصلاحات التى ادخلها أحمد بن مدبر على الضرائب ، وفرض فيها الضرائب على النطرون ( المناجم ) وعلى المراعى والمروج وعلى مصائد الاسماك ٠

وازدهرت فى هذه الفترة تربية الحيوانات ، التى فرضت عليها الضرائب كما كانت هناك تجارة حيوانات داجنة مزدهرة فى البلاد ، وفى الحقيقة وضحت العناية بتربية الحيوانات ، منذ بداية الفتح العربى لمصر ومنذ أيام عمرو بن العاص وعبد العزيز بن مروان ، كما اتضح ذلك فى العصر الطولونى حيث أظهرت أوراق البردى ازدياد تربية الحيوانات فى هذا العصر بالاضافة الى اهتمام الطولونيين وعلى رأسهم أحمد بن طولون بتربية الحيوانات والطيور وخاصة الحمام الزاجل ، كما تجلى ازدهار الثروة الحيوانية من مطابخهم وولائمهم وموائدهم ٠ وأوضحت أوراق البردى أن هناك ضرائب قد فرضه على هذه الحيوانات ٠

والى جانب ذلك ، انتشرت المراعى التى قامت عليها الثروة الحيوانية وقد فرضت على هذه المراعى ضرائب كما هو واضح من أوراق البردى ، وفرضت الضرائب أيضا على حدائق النخيل والكروم والخضر ، ضرائب تختلف عن الضرائب التى تفرض على الاراضى المنزرعة قمحا أو شعيرا ٠

ورغم جهود الولاة فى جباية الخراج والجزية ، الا أن هناك متأخرات كانت تسمى « البواقى » وكان الولاة يتشددون فى المطالبة بها ، وأحيانا آخرى يتركونها للمتقبلين وأهل البلاد ، وربما كان ترك البواقى يتعلق بحالة فيضان النيل ٠

ويتضح الارتباط الوثيق بين النيل والنظام المالى عندما ينقص النيل عن حد الوفاء فكان يجرى مسح للاراضى المزروعة ، ويعاد تقدير قيمة الجباية ، على الذين أضيروا من نقص فيضان النيل أو زيادته ، عن الحد اللازم ، مما يغرق أرضهم ٠

ومنذ بداية الفتح بذل كثير من الولاة جهودا كبيرة للعناية بأحوال ضبط النهر ، مثل عمرو بن العاص ، وعبد العزيز بن مروان ، وقرة بن شريك ، وتجلت فى حفر الترع وبناء القناطر ، وغرس الحدائق ،

واصلاحها ، وكرى الأنهار ، كما وضح اهتمام الولاة بضبط النهر ، بالمقاييس من بداية الفتح وحتى انشاء المتوكل لمقياسه سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ٠

كما قام الكثيرون منهم ، بتطهير الترع والقنوات ، واصلاح المقاييس وروك الأراضى وهكذا تجلى الاهتمام بضبط النهر منذ بداية الفتح العربى حتى نهاية عصر الولاة ، وقد ثبت انه كلما اهتم هؤلاء الولاة بضبط النهر ، كان نتيجة ذلك ، تقدم أحوال مصر الاقتصادية ٠

وكانت الحياة الاجتماعية فى هذه الفترة مليئة بمظاهر التحول الى الاسلام ، والاندماج بين العرب والمصريين ، وكان الاحتفال بوفاء النيل مظهرا من مظاهر بداية الاندماج فظل المسلمون يحتفلون به كما كان يفعل أهل البلاد ، وكان الاحتفال بوفاء النيل بسيطا فى بداية العصر الاسلامى ، ولكنه تطور الى الضخامة والفخامة وكان بلوغ النيل ست عشرة ذراعا ، بشيرا بالوفاء وايذانا ذلك المهرجان القومى الذى يتحصل لأهل مصر به فرح عظيم ٠ وكان النيل وشواطئه مكانا لذلك الاحتفال الكبير ٠

وارتبط بالنيل احتفالات أخرى كثيرة ، كان المسلمون يشاركون الأقباط فى أحيائها وخاصة فى الجانب الاجتماعى المسلى منها ، وأبقوا على احتفالات القبط بأعيادهم ٠

ورغم شيوع ما رواه المؤرخون العرب من القاء عروس فى النيل قبل العصر الاسلامى حتى يتم الوفاء ، الا ان ذلك لم يكن صحيحا ، فلم يثبت خلال عصر الفراعنة ، أو فى أيام المسيحية فى مصر ان ذلك قد حدث ، وان كانت له أصول قديمة فى جنوب النوبة وجنوب السودان ، لدى القبائل الهمجية ، ومن جملة الاحتفالات على ضفاف النيل عيد الغطاس ، ويقام بمناسبته أحتفالات كبيرة على شاطىء النيل ، كان يشارك فيها الولاة ومن بينهم الأخشيد الذى أقيم فى عهده أحتفال كبير حضره المسعودى وأفاض فى وصفه ٠

ومن هذه الأعياد أيضا عيد الشهيد ، وعيد النوروز وعيد أحد الشعانيين ، وعيد الصليب ، وفتح الخليج ورؤية هلال رمضان ، وسباقات الخيل على شواطىء النيل ، كما أشترك المسلمون والاقباط واليهود ، فى صلوات مشتركة على شاطىء النيل عندما كانت تنقص مياه الفيضان ، وذلك للاستفتاء ٠ ( كل على طريقته ) وكان المكان الرئيسي لهذه

الاحتفالات هو شاطىء النيل وعلى صفحته ،كما كانت الاديرة من الاماكن التى تقام بها الاحتفالات ويقصدها الكثيرون ، حيث كانت تحوى أماكن كثيرة للعب واللهو وبها العديد من المتنزهات .

واسهم النيل فى تكوين المجتمع المصرى ، واستمدت الشخصية المصرية أصالتها ، من أصالته ، ووفاءها من وفائه كل عام ، وطبع مصر والمصريين بوحدة الشعور والأصالة الدينية وكان الاستقرار على شواطئه ، نتيجة لوفاء النيل فى كل علم بنظام وترتيب ، وأسهم المصريون بعملهم الدائب ، على خلق حضارة زاهرة على ضفافه فى كل العصور ، ولذلك قامت الحياة فى مصر على عاملين ، نظام اجتماعى يقوم على ضبط النهر ، وانسانية نمت فى جو مصرى خالص وتطورت حتى أيامنا هذه ، وكانت نقطة البداية فى مصر هى ( الكور ) ومن اتحادها وتعاونها قامت الحضارة المصرية ، وما يزال التقسيم الادارى حتى اليوم متأثرا ، بتقسيم « الكور » القديمة .

وكان لنهر النيل أثر واضح فى وجود نظام مركزى واحد يعمل على ضبط النهر ومتابعته والعناية بأحوال الرى والزراعة ، حتى تستقيم أحوال البلاد ، وظلت حضارة مصر ، حضارة مجتمع ريفى رغم وجود مراكز حضارية .

وكانت هذه الفترة بداية التحول الى العروبة والاسلام ، وكذلك زيادة اتصال مصر بالعالم الخارجى ، وهذا الاتصال يميز مصر الاسلامية عن تاريخ مصر المسيحية .

وأنعكس هذا التحول والاتصال بالعالم الخارجى ، على تكوين المجتمع المصرى فظهرت فى المعاملات تنظيمات راقية فى المجتمعات والاسواق وسارت الرفاهية فى المدن أكثر من الريف وأسهم النيل فى ازدياد حركة التجارة ، ونشأت طبقة من كبار التجار ، وخاصة فى العصر الطولونى وكان للعناصر المسيحية المصرية من الاثر الكبير فى تعميق الشخصية المصرية . وبالاضافة الى طبقة كبار التجار ظهرت طبقة آخرى هى كبار الملاك المزارعين .

وثمة تطور آخر حدث فى ذلك الوقت ، وهو قيام العرب بالنزوح الى الريف للاستقرار فيه ، والاختلاط بالمصريين وتشجيع الحركة الاسلامية النامية ، مما أسرع بدخول المصريين الاسلام .

ومع هذا ظل الفلاحون هم غالبية المصريين ، حيث الاعتماد على الزراعة ، وكان سكان المدن لهم مساكن من النظافة والبهاء ، أما مساكن هؤلاء الفلاحين فى القره فكانت بجوار عملهم فى الحقول وعلى التلال ، وفى المناطق المرتفعة ، خوفا من طغيان فيضان النيل .

وأسهم نهر النيل فى تربية ذوق المصريين وتهذيبهم ، فاهتموا بغرس الحدائق والبساتين ، والزهور وكان خمارويه بن أحمد بن طولون مولعا بالبساتين ، واعتنى بها عناية عظيمة ، وزرع أنواعا كثيرة منها واهتم بها بنفسه .

وكانت أطـــعمة المصريين ، من المحاصـيل الزراعية القائمة على الزراعة ، على نهر النيل وكان سكان الصعيد ، يكثرون من أكل البلح والحلاوة المصنوعة من قصب السكر ، بينما أقبل أهل الوجه البحرى على أكل القلقاس والجلبـان ، وكان الفـلاحون يصنعون خبزهم من جريس الحنطة وكانوا ياكلون الحنطة والشعير والعدس والحمص والجلبان ، كما كانت هنـــاك أنواع كثيرة من الفاكهة ، وكانوا يحبون الســـمك طازجا ومملحا .

وأثر النيل فى الأدب ـ شعره ونثره ـ شائع ومعروف وكان عمرو بن العاص تعبر خير تعبير عن تاثير النهر على المعاصرين ، كما أعطانا بن الى الخليفة عمر بن الخطاب ، وقد بهر النيل العرب القادمين من الصحراء بمياهه وزراعته ، وقد شابت الكتابات التى تناولت النيل الخرافات والاساطير التى يحتمل ان تكون ذات أصل نصرانى ويهودى .

على أيه حال ، فقد كانت أقول المعاصرين التى يمثلها عمرو بن العاص تعبر خير تعبير عن تاثير النهـر على المعــاصرين ، كمـا أعطانا ابن حوقل والمسـعودى وابن فضـــل الله العمرى ، الكثير عن تأثير النهـر على المعاصرين .

هذا وقد أشار القرآن الكريم الى نهر النيل أكثر من مرة ، وذلك تاكيدا لأهمية هذا النهر فى حضارة مصر وحياتها .

وأما عن الشعر ، فان ذكر النيل لم يرد على لسان الشعراء الا قليلا وعرضا فى هذه الفترة وذلك لأن ما وصلنا من الشعر العربى فى هذه الفترة كان قليلا ، وما وصـلنا لا يكفى للدلالة على مدى تاثير الشـــعر

العربى بالبيئة المصرية . كما ترجع عدم معالجة النيل فى الشعر الى ان وصف الانهار والبحار لم يكن من الموضوعات التى الفها الشعراء العرب ، حيث أنصرفوا الى اغراض الشعر الاخرى ، مثل المديح ..... الخ .

كما لم يكن الشعراء فى هذا العصر من المصريين ، حيث لم تكن اللغة العربية قد انتشرت بعد . وكانت مصر ولاية ليس لها شأن وليست مقرا للخلافة ، واذا نبغ فيها شاعر ، كان يحمل أو يرحل الى دار الخلافة ، كما لم يكترث المصريون فى أول الامر بدراسة الادب والعلوم الادبية ، بل كان كل أهتمامهم يكاد ينصرف الى الدراسات الدينية الخالصة ، مما أضعف رواية الشعر ودراسته فى مصر ، وسبب ضياع أغلب شعر المصريين .

## ملحق رقم ( ١ )

## ثبت
## بالمجاعات والأوبئة التى ألمت بمصر
## فى عصر الولاة

| السنة هجرية | السنة ميلادية | ملاحظات حول المجاعة او الوباء | المرجع |
|---|---|---|---|
| ٢٤ | ٦٤٥ | عبد الله بن سعد ( حدث على يديه غلاء لم يحدث مثله من زمان اقلوديوس والى ايامه وسار كل من فى الصعيد الى الريف فى طلب الغلة وكانوا الناس مطاريح فى الأزقة والأسواق أموات مثل السمك المدمس على برك الماء ) وكان يموت فى كل يوم عدد كبير . | ساويرس بن المقفع : سير الآباء القديسين البطاركة ص ١٠٣ |
| ٦٦ | ٦٨٦ | وقع الطاعون فى السنة الأولى من ولاية عبد العزيز بن مروان ومات فيه خلائق عظيمة . | أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٧٩ السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٥ |
| ٧٠ | ٦٨٩ | وقع الطاعون بالفسطاط فخرج عبد العزيز بن مروان الى الشرق فنزل حلوان وأعجبته فاتخذها سكنا وكان خروجه من الفسطاط هربا من الوباء والطاعون | الكندى : الولاة والقضاة ص ٤٩ ـ ٥٠ وكيع : أخبار القضاة ج ٣ ص ٢٢٦ |

| السنة هجرية | السنة ميلادية | ملاحظات حول المجاعة او الوباء | المرجع |
|---|---|---|---|
| ٧٦ | ٦٩٥ | كان الوباء بمصر . | السيوطى : حسن المحاضرة حـ ٢ ص ١٦٥ |
| ٧٨ | ٦٩٧ | غار نيل مصر فلم يبق منه شيء وغلت الأسعار ولم يعهد مثله ولا بلغنا فى الأخبار السابقة . | السيوطى : الخلفاء ص ٣٢٠<br>السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٦ |
| ٨٥ | ٧٠٤ | كان وباء الطاعون بمصر ومات بالاصابة فيه عبد العزيز بن مروان ويقول أبو المحاسن « الطاعون العظيم الذى كان فى هذه السنة بمصر واعمالها » . | السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٦<br>أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٠٩ |
| ٨٨ | ٧٠٦ | فى ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان .. وكان أول غلاء «تذكره معظم المراجع » حيث ارتفعت الأسعار « ونزعت » وهى أول شدة رآها المسلمون ولذلك تشاءم المصريون به وزعموا انه ارتشى وسموه مكيسا « وأهل مصر اذ ذاك فى شدة عظيمة « وهجاه الشاعر ابن أبى زمزة » . | الكندى : الولاة والقضاة ص ٥٨ ـ ٥٩<br>أبو المحاسن : النجوم الزاهرة حـ ١ ص ٢١٠ ـ ٢١١<br>المقريزى : اغاثة الأمة ص ١١ |
| ٩٠ | ٧٠٩ | أيام قرة بن شريك « نزل وباء عظيم » وصار الموتى كل يوم لا يعرف عدده . | ساويرس : سير الآباء البطاركة ص ١٤٠ |
| ٩٦ | ٧١٥ | أيام اسامة حدث غلاء عظيم ما لم يسمع مثله من الجيل الأول ، ومات فى ذلك الغلاء أكثر مما مات فى الوباء ، واعقب ذلك رخاء حتى بلغ سعر القمح عشرين اردبا بدينار . ثم اتى وباء آخر بعد ذلك . | ساويرس المقفع : سير الآباء البطاركة ص ١٤١ ـ ١٤٢ |

| السنة هجرية | السنة ميلادية | ملاحظات حول المجاعة او الوباء | المرجع |
|---|---|---|---|
| ١٠٥ | ٧٢٣ | وقع بمصر وباء شديد ففر محمد بن عبد الملك الوالى هاربا الى الصعيد من الوباء . | الكندى : الولاة والقضاة ص ٧٢ |
| ١٠٨ | ٧٢٦ | تقاصر النيل فى ولاية حفص بن الوليد ، فاستسقى بالناس فى امارة هشام بن عبد الملك | الكندى : الولاة والقضاة ص ٨٢ ـ ٨٣ |
| ١٣٣ | ٧٥١ | فى ولاية أبو عون لم يصل فيضان النهر الا حد الوفاء وفى أيامه صلى المسلمون والاقباط واليهود من أهل الفسطاط والجيزة ، ووقع بمصر الوباء فهرب أبو عون منها الى دمياط . | ساويرس بن المقفع : سير الاباء ص ١٩٨ ـ ٢٠٠<br>الكندى : الولاة والقضاة ص ١٠١ ـ ١٠٢ |
| ١٦٤ | ٧٨١ | فى ولاية يحيى بن داود على مصر ، وجد كثيرا من المفسدين وقطاع الطرق . فعمل على قمعهم وقتل منهم جماعة حتى استتب الأمر ووفر الأمن فى ربوع الولاية . | الكندى : الولاة والقضاة ص ١٢٢ ـ ١٢٣<br>أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٥١ |
| ٣٣٨ | ٩٤٩ | وقع الغلاء فى الدولة الاخشيدية « فثارت الرعية » . | المقريزى : اغاثة الأمة ص ١١ |
| ٣٤١ | ٩٥٢ | وقع الغلاء وانتشرت الفئران فى البلاد المصرية واتلفت الغلات والكروم وغيرها كما أن النيل قصر فى هذه السنة عن الزيادة المعتادة فارتفعت الأسعار . | المقريزى : اغاثة الأمة ص ١١ ـ ١٢ |

| السنة هجرية | السنة ميلادية | ملاحظات حول المجاعة او الوباء | المرجع |
| --- | --- | --- | --- |
| ٣٤٣ | ٩٥٤ | عظم الغلاء وارتفعت أسعار المحاصيل وندرت هذه المحاصيل .. .. لم يوجد القمح لقلته فثار الناس وكسروا منبر الجامع بالفسطاط . | المقريزى : اغاثة الأمة ص ١٢ |
| ٣٤٧ | ٩٥٨ | الزلازال بحلوان ـ الجراد يهاجم المحاصيل الزراعية ـ | النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٣١٩ ـ ٣٢٦ |
| ٣٥١ | ٩٦٢ | الغلاء واضربت لبلاد وتزايد الغلاء ثم وقع الغلاء فى الدولة الأخشيدية واستمر تسع سنين متتابعة ابتداء فى سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة .. .. وكان سبب الغلاء ان ماء النيل انتهت زيادته الى خمسة عشر ذراعا وأربع أصبع فنزع السعر ... وعز الخبز . | |
| ٣٥٣ | ٩٦٤ | قصر مد النيل فلم يبلغ سوى خمسة عشر ذراعا وأصابع ، واضطرب فزاد مرة ونقص مرة فعظم الغلاء وانتقضت الأعمال لكثرة الفتن .<br>ونهبت الضياع والغلات . وماج الناس فى مصر بسبب السعر فدخلوا الجامع العتيق بالفسطاط فى يوم جمعة وازدحموا عند المحراب فمات رجل وامرأة فى الزحام ولم تصل الجمعة . | |
| ٣٥٤ | ٩٦٥ | تمادى الغلاء ... وكان مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا وأصابع . | المقريزى : اغاثة الأمة ص ١٣ |

| السنة هجرية | السنة ميلادية | ملاحظات حول المجاعة أو الوباء | المرجع |
|---|---|---|---|
| ٣٥٥ | ٩٦٥ | كان مبلغ الزيادة أربعة عشر ذراعا وأصابع وقصر مدة وقلت حريته . | المقريزى : اغاثة الأمة ص ١٣ |
| ٣٥٦ | ٩٦٦ | « لم يبلغ النيل سوى اثنى عشر ذراعا وأصابع ولم يقع مثل ذلك فى الملة الاسلامية وكان على أمارة مصر حينئذ الأستاذ كافور الاخشيدى فعظم الأمر من شدة الغلاء » . | |
| ٣٥٧ ـ ٣٥٨ | ٩٦٧ ـ ٩٦٨ | كثرت الاضطرابات وتعددت الفتن انتهبت أسواق البلد واحرقت مواضع عديدة فاشتد خوف الناس ، وضاعت أموالهم وتغيرت نياتهم وارتفع السعر ، وتعذر وجود الاقوات . | المقريزى : اغاثة الأمة ص ١٣ |

# ملحـــق ( ٢ )

## السنوات التى زاد فيها النيل عن ثمـانى عشرة ذراعا

| رقم | السـنة: هجرية | السـنة: ميلادية | أصبع | ذراع |
|---|---|---|---|---|
| ١ | ٢٨ | ٦٤٨ | | ١٩ |
| ٢ | ٣٦ | ٦٥٦ | ٢ | ١٨ |
| ٣ | ٤٠ | ٦٦٠ | ١٧ | ١٨ |
| ٤ | ٤١ | ٦٦١ | ٧ | ١٨ |
| ٥ | ٤٤ | ٦٦٤ | ١ | ١٨ |
| ٦ | ٤٨ | ٦٦٨ | ٢ | ١٨ |
| ٧ | ٥١ | ٦٧١ | ٢٠ | ١٩ |
| ٨ | ٧٩ | ٦٩٨ | ١٧ | ١٨ |
| ٩ | ١٠٠ | ٧١٨ | ٢٠ | ١٨ |
| ١٠ | ١٠١ | ٧١٩ | ٢٢ | ١٨ |
| ١١ | ١٠٣ | ٧٢١ | ٦ | ١٨ |
| ١٢ | ١٠٦ | ٧٢٤ | ٤ | ١٨ |
| ١٣ | ١١٣ | ٧٣١ | | ١٨ |
| ١٤ | ١٢٣ | ٧٤٠ | ١٣ | ١٨ |
| ١٥ | ١٢٤ | ٧٤١ | ١٣ | ١٨ |
| ١٦ | ١٣٣ | ٧٥٠ | ٩ | ١٨ |
| ١٧ | ١٣٤ | ٧٥١ | ١٠ | ١٨ |
| ١٨ | ١٣٦ | ٧٥٣ | ٨ | ١٨ |
| ١٩ | ١٣٧ | ٧٥٤ | ٦ | ١٨ |
| ٢٠ | ١٦١ | ٧٧٧ | ٤ | ١٨ |
| ٢١ | ٣٠٠ | ٩١٢ | ١ | ١٨ |
| ٢٢ | ٣٠١ | ٩١٣ | ١ | ١٨ |
| ٢٣ | ٣١٢ | ٩٢٤ | | ١٨ |
| ٢٤ | ٣١٦ | ٩٢٨ | | ١٨ |
| ٢٥ | ٣٣١ | ٩٤٢ | | ١٩ |
| ٢٦ | ٣٤٢ | ٩٥٣ | | ١٨ |
| ٢٧ | ٣٥٠ | ٩٦١ | | ١٨ |

# ملحـــق رقم ( ٣ )

## السنوات التى كان فيها النيل أقل من ١٦ ذراع

| رقم | السنة هجرية | السنة ميلادية | أصبع | ذراع |
|---|---|---|---|---|
| ١ | ٣٠ | ٦٥٠ | ٢١ | ١٤ |
| ٢ | ٣١ | ٦٥١ | ١٢ | ١٥ |
| ٣ | ٣٢ | ٦٥٣ | ١٢ | ١٥ |
| ٤ | ٥٢ | ٦٧٢ | ٢٠ | ١٣ |
| ٥ | ٥٨ | ٦٧٧ | ١١ | ١٥ |
| ٦ | ٦٨ | ٦٨٧ | ٤ | ١٥ |
| ٧ | ٦٩ | ٦٨٨ | ٦ | ١٣ |
| ٨ | ٧١ | ٦٩٠ | ١٩ | ١٥ |
| ٩ | ٧٤ | ٦٩٣ | ١٥ | ١٤ |
| ١٠ | ٧٥ | ٦٧٤ | ٩ | ١٣ |
| ١١ | ٧٦ | ٦٩٥ | ٧ | ١٤ |
| ١٢ | ٧٧ | ٦٩٦ | ١٧ | ١٣ |
| ١٣ | ٨٣ | ٧٠٢ | ٢١ | ١٥ |
| ١٤ | ٨٦ | ٧٠٥ | ١٨ | ١٣ |
| ١٥ | ٩٤ | ٧١٢ | ١ | ١٤ |
| ١٦ | ١٠٢ | ٧٢٠ | ١٩ | ١٥ |
| ١٧ | ١٠٤ | ٧٢٢ | ٢١ | ١٥ |
| ١٨ | ١٠٨ | ٧٢٦ | ٤ | ١٥ |
| ١٩ | ١١٥ | ٧٣٣ | ٢٠ | ١٤ |
| ٢٠ | ١١٦ | ٧٣٤ | ½ر | ١٤ |
| ٢١ | ١١٧ | ٧٣٥ | ٢٠½ | ١٤ |
| ٢٢ | ١١٩ | ٧٣٧ | ٦ | ١٥ |
| ٢٣ | ١٢٢ | ٧٣٩ | ١٨ | ١٥ |
| ٢٤ | ١٣٩ | ٧٥٦ | ٢٠ | ١٤ |
| ٢٥ | ١٤٢ | ٧٥٩ | ١٣ | ١٥ |

( تابع ) السنوات التى كان فيها النيل أقل من ١٦ ذراع

| رقم | السنة هجرية | السنة ميلاديه | أصبع | ذراع |
|---|---|---|---|---|
| ٢٦ | ١٤٤ | ٩٦١ | ١٢ | ١٥ |
| ٢٧ | ١٤٥ | ٩٦٢ | ١٤ | ١٥ |
| ٢٨ | ١٤٦ | ٩٦٣ | ١٦ | ١٥ |
| ٢٩ | ١٤٧ | ٩٦٤ | ١٩ | ١٤ |
| ٣٠ | ١٤٨ | ٩٦٥ | ١٦ | ١٥ |
| ٣١ | ١٥٠ | ٩٦٧ | ٢٠½ | ١٥ |
| ٣٢ | ١٥٢ | ٩٦٩ | ١½ | ١٥ |
| ٣٣ | ١٥٤ | ٩٧٠ | ١٥ | ١٥ |
| ٣٤ | ١٥٥ | ٩٧١ | ١٨ | ١٥ |
| ٣٥ | ١٥٦ | ٩٧٢ | ٢٢ | ١٥ |
| ٣٦ | ١٥٩ | ٩٧٥ | ٢ | ١٥ |
| ٣٧ | ١٦٢ | ٩٧٨ | ١٢ | ١٥ |
| ٣٨ | ١٦٣ | ٩٧٩ | ١٥ | ١٥ |
| ٣٩ | ١٦٤ | ٧٨٠ | ١٥ | ١٥ |
| ٤٠ | ١٦٥ | ٧٨١ | ١ | ١٤ |
| ٤١ | ١٦٨ | ٧٨٤ | ١٥ | ١٥ |
| ٤٢ | ١٧٢ | ٧٨٨ | ٢½ | ١٥ |
| ٤٣ | ١٧٣ | ٧٨٩ | ٣ | ١٥ |
| ٤٤ | ١٧٥ | ٧٩١ | ١٨ | ١٤ |
| ٤٥ | ١٧٦ | ٧٩٢ | ١٦ | ١٥ |
| ٤٦ | ١٧٨ | ٧٩٤ | ١٦ | ١٥ |
| ٤٧ | ١٨٠ | ٧٩٦ | ٩ | ١٥ |
| ٤٨ | ١٨٣ | ٧٩٩ | ٢٣ | ١٤ |
| ٤٩ | ١٨٦ | ٨٠٢ | ٢٢ | ١٤ |
| ٥٠ | ١٨٧ | ٨٠٢ | ٢ | ١٤ |
| ٥١ | ١٩٥ | ٨١٠ | ٢١¾ | ١٥ |
| ٥٢ | ٢٠١ | ٨١٦ | ١٨ | ١٤ |

( تابع ) السنوات التى كان فيها النيل أقل من ١٦ ذراعا

| رقم | السنة هجرية | السنة ميلادية | أصبع | ذراع |
|---|---|---|---|---|
| ٥٣ | ٢٠٢ | ٨١٧ | ١٩ | ١٥ |
| ٥٤ | ٢١٣ | ٨٢٨ | ١٥ ١/٤ | ١٥ |
| ٥٥ | ٢١٥ | ٨٣٠ | ٢١ | ١٣ |
| ٥٦ | ٢١٦ | ٨٣١ | ١٠ | ١٥ |
| ٥٧ | ٢١٧ | ٨٣٢ | ٦ | ١٤ |
| ٥٨ | ٢١٨ | ٨٣٣ | | ١٥ |
| ٥٩ | ٢١٩ | ٨٣٤ | ١٠ ١/٢ | ١٥ |
| ٦٠ | ٢٢٢ | ٨٣٦ | ٢٢ | ١٤ |
| ٦١ | ٢٢٦ | ٨٤٠ | ٦ | ١٤ |
| ٦٢ | ٢٣٣ | ٨٤٧ | ١٦ | ١٥ |
| ٦٣ | ٢٣٤ | ٨٤٨ | ٢٠ | ١٥ |
| ٦٤ | ٢٣٥ | ٨٤٩ | ٢٠ | ١٥ |
| ٦٥ | ٢٣٧ | ٩٥١ | ١٥ | ١٥ |
| ٦٦ | ٢٧١ | ٨٨٤ | ٢٠ | ١٥ |
| ٦٧ | ٢٧٤ | ٨٨٧ | ٧ | ١٥ |
| ٦٨ | ٢٧٥ | ٨٨٨ | ١٢ر٩ | ١٥ |
| ٦٩ | ٢٨١ | ٨٩٤ | ١٠ | ١٥ |
| ٧٠ | ٢٨٢ | ٨٩٥ | ٢٢ | ١٤ |
| ٧١ | ٢٨٤ | ٨٩٧ | ١٩ | ١٥ |
| ٧٢ | ٢٩٠ | ٩٠٢ | ٤ | ١٣ |
| ٧٣ | ٢٩٤ | ٩٠٦ | ١١ | ١٥ |
| ٧٤ | ٢٩٥ | ٩٠٧ | ١٦ | ١٥ |
| ٧٥ | ٣٠٣ | ٩١٥ | ١٨ | ١٥ |
| ٧٦ | ٣٠٥ | ٩١٧ | ١٨ | ١٥ |
| ٧٨ | ٣١٥ | ٩٢٧ | ١٧ | ١٤ |
| ٧٩ | ٣١٩ | ٩٣١ | ٤ | ١٥ |
| ٨٠ | ٣٢٧ | ٩٣٨ | ٢١ | ١٤ |

( تابع ) السنوات التى كان فيها النيل أقل من ١٦ ذراعا

| رقم | السنة | | أصبع | ذراع |
|---|---|---|---|---|
| | هجرية | ميلادية | | |
| ٨١ | ٣٢٩ | ٩٤٠ | ١٣ | ١٥ |
| ٨٢ | ٣٣٠ | ٩٤١ | ٨ | ١٥ |
| ٨٣ | ٣٣٣ | ٩٤٤ | ١٢ | ١٥ |
| ٨٤ | ٣٣٤ | ٩٤٥ | ٦ | ١٥ |
| ٨٥ | ٣٣٥ | ٩٤٦ | ٨ | ١٥ |
| ٨٦ | ٣٣٦ | ٩٤٧ | ١٧ | ١٤ |
| ٨٧ | ٣٣٧ | ٩٤٨ | ١٢ | ١٥ |
| ٨٨ | ٣٥٢ | ٩٦٣ | ١٦ | ١٥ |
| ٨٩ | ٣٥٣ | ٩٦٤ | ٤ | ١٥ |
| ٩٠ | ٣٥٥ | ٩٦٥ | ١٩ | ١٤ |
| ٩١ | ٣٥٦ | ٩٦٦ | ١٧ | ١٢ |

## ملحق رقم ( ٤ )

## ثبت بفيضان النيل فى عصر الولاة

| السنة | | الماء القديم | | الماء الجديد | |
|---|---|---|---|---|---|
| هجرية | ميلادية | أصابع | أذرع | أصابع | أذرع |
| ٢٠ | ٦٤٠ | ٩ | ٤ | ٢٠ | ١٧ |
| ٢١ | ٦٤١ | ٢ | ٥ | ٥ | ١٧ |
| ٢٢ | ٦٤٢ | ١٢ | ٦ | ١٨ | ١٦ |
| ٢٣ | ٦٤٣ | ١٨ | ٣ | ١٢ | ١٦ |
| ٢٤ | ٦٤٤ | ١٤ | ٢ | ٦ | ١٦ |
| ٢٥ | ٦٤٥ | ١٢ | ٦ | ٥ | ١٧ |
| ٢٦ | ٦٤٦ | ٢٠ | ٥ | ٤ | ١٦ |
| ٢٧ | ٦٤٧ | ١٣ | ٤ | ٥ | ١٦ |
| ٢٨ | ٦٤٨ | ١٨ | ١٣ | | ١٩ |
| ٢٩ | ٦٤٩ | ١٦ | ٥ | ١٨ | ١٦ |
| ٣٠ | ٦٥٠ | ١٦ | ٤ | ٢١ | ١٤ |
| ٣١ | ٦٥١ | ٢٠ | ٢ | ١٢ | ١٥ |
| ٣٢ | ٦٥٢ | ٣ | ٥ | ٩ | ١٧ |
| ٣٣ | ٦٥٣ | ٢٠ | ٢ | ١٢ | ١٥ |
| ٣٤ | ٦٥٤ | ٩ | ٦ | ٦ | ١٧ |
| ٣٥ | ٦٥٥ | ٢٤ | ٣ | ٢ | ١٧ |
| ٣٦ | ٦٥٦ | ١٨ | ٧ | ٢ | ١٨ |
| ٣٧ | ٦٥٧ | ٣ | ٥ | ٣ | ١٦ |
| ٣٨ | ٦٥٨ | ١٥ | ٤ | ٩ | ١٦ |
| ٣٩ | ٦٥٩ | ٢ | ٥ | ٥ | ١٦ |
| ٤٠ | ٦٦٠ | ١٦ | ٨ | ١٧ | ١٨ |
| ٤١ | ٦٦١ | ١٦ | ٨ | ٧ | ١٨ |
| ٤٢ | ٦٦٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ١٧ |
| ٤٣ | ٦٦٣ | ٣ | ٩ | ٥ | ١٧ |
| ٤٤ | ٦٦٤ | ١٨ | ٣ | ١ | ١٨ |

| السنة | | الماء القديم | | الماء الجديد | |
|---|---|---|---|---|---|
| هجرية | ميلادية | أصابع | أذرع | أصابع | أذرع |
| ٤٥ | ٦٦٥ | ٧ | ٢ | ٥ | ١٦ |
| ٤٦ | ٦٦٦ | ٧ | ٥ | ٩ | ١٦ |
| ٤٧ | ٦٦٧ | ١٣ | ٤ | ٧ | ١٦ |
| ٤٨ | ٦٦٨ | ٢٠ | ٦ | ٢ | ١٨ |
| ٤٩ | ٦٦٩ | ٢ | ٥ | ٦ | ١٦ |
| ٥٠ | ٦٧٠ | ١٦ | ٢ | ٤ | ١٦ |
| ٥١ | ٦٧١ | ٥ | ٣ | ٢٠ | ١٩ |
| ٥٢ | ٦٧٢ | ١٣ | ٢ | ٢٠ | ١٣ |
| ٥٣ | ٦٧٢ | ١٧ | ٥ | ٤ | ١٦ |
| ٥٤ | ٦٧٣ | ٣ | ٤ | ٨ | ١٦ |
| ٥٥ | ٦٧٤ | ٢ | ٦ | ٦ | ١٦ |
| ٥٦ | ٦٧٥ | ٧ | ٧ | ٢ | ١٦ |
| ٥٧ | ٦٧٦ | ١٢ | ٥ | ١٥ | ١٦ |
| ٥٨ | ٦٧٧ | ١٤ | ٢ | ١١ | ١٥ |
| ٥٩ | ٦٧٧ | ١٧ | ٣ | ١١ | ١٧ |
| ٦٠ | ٦٧٩ | ٢٠ | ٦ | ٣ | ١٧ |
| ٦١ | ٦٨٠ | ٦ | ١ | ٤ | ١٧ |
| ٦٢ | ٦٨١ | ٣ | ٥ | ٤ | ١٧ |
| ٦٣ | ٦٨٢ | ٧ | ٢ | ٤ | ١٦ |
| ٦٤ | ٦٨٣ | ٨ | ٤ | ٧ | ١٧ |
| ٦٥ | ٦٨٤ | ١٢ | ٤ | ١٥ | ١٦ |
| ٦٦ | ٦٨٥ | ٧ | ٧ | ٢ | ١٦ |
| ٦٧ | ٦٨٦ | ١٢ | ٥ | ١٥ | ١٦ |
| ٦٨ | ٦٨٧ | ١٤ | ٢ | ٤ | ١٥ |
| ٦٩ | ٦٨٨ | ٣ | ٢ | ٦ | ١٣ |
| ٧٠ | ٦٨٩ | ٨ | ٥ | ٢١ | ١٦ |
| ٧١ | ٦٩٠ | ٥ | ٧ | ١٩ | ١٥ |
| ٧٢ | ٦٩١ | ١٠ | ٢ | ١٩ | ١٥ |
| ٧٣ | ٦٩٢ | ١٩ | ٧ | ٣ | ١٧ |
| ٧٤ | ٦٩٣ | ٢ | ٤ | ١٥ | ١٤ |
| ٧٥ | ٦٩٤ | ٧ | ٢ | ٩ | ١٣ |

| السنة | | الماء القديم | | الماء الجديد | |
|---|---|---|---|---|---|
| هجرية | ميلادية | أصابع | أذرع | أصابع | أذرع |
| ٧٦ | ٦٩٥ | ٤ | ٢ | ٧ | ١٤ |
| ٧٧ | ٦٩٦ | ١٠ | ٣ | ١٧ | ١٣ |
| ٧٨ | ٦٩٧ | ٨ | ٦ | ٢- | ١٧ |
| ٧٩ | ٦٩٨ | ١٥ | ٥ | ١٧ | ١٨ |
| ٨٠ | ٦٩٩ | ٨ | ٦ | ١٧ | ١٧ |
| ٨١ | ٧٠٠ | ١٣ | ٥ | ٨ | ١٧ |
| ٨٢ | ٧٠١ | ٢٠ | ٤ | ١٧ | ١٦ |
| ٨٣ | ٧٠٢ | ٨ | ٧ | ٢١ | ١٥ |
| ٨٤ | ٧٠٣ | | ٦½ | ٢١ | ١٧ |
| ٨٥ | ٧٠٤ | ١٥ | ٣ | ٢١ | ١٦ |
| ٨٦ | ٧٠٥ | ١٥ | ٣ | ١٨ | ١٣ |
| ٨٧ | ٧٠٥ | ١٦ | ٥ | ٢٠ | ١٦ |
| ٨٨ | ٧٠٦ | ٢١ | ٤ | ٢٠ | ١٦ |
| ٨٩ | ٧٠٧ | ١٢ | ٥ | ٢٠ | ١٧ |
| ٩٠ | ٧٠٨ | ١٩ | ٢ | ٢٢ | ١٦ |
| ٩١ | ٧٠٩ | ١٢ | ٣ | ١٧ | ١٦ |
| ٩٢ | ٧١٠ | ١٢ | ٥ | ١٠ | ١٧ |
| ٩٣ | ٧١١ | ٢ | ٦ | ٢٠ | ١٦ |
| ٩٤ | ٧١٢ | ١٥ | ٢ | ١ | ١٤ |
| ٩٥ | ٧١٣ | ٧ | ٦ | ١٢ | ١٧ |
| ٩٦ | ٧١٤ | ١٢ | ٣ | ٢٣ | ١٧ |
| ٩٧ | ٧١٥ | ١٣ | ٤ | ٥ | ١٧ |

| السنة |  | الماء القديم |  | الماء الجديد |  |
|---|---|---|---|---|---|
| هجرية | ميلادية | أصابع | أذرع | أصابع | أذرع |
| ٩٨ | ٧١٦ | ٩ | ٣ | ٦ | ١٧ |
| ٩٩ | ٧١٧ | ٥ | ٦ | ٢٠ | ١٧ |
| ١٠٠ | ٧١٨ | ٢٠ | ٨ | ٢٠ | ١٨ |
| ١٠١ | ٧١٩ | ١٥ | ٥ | ٢٢ | ١٨ |
| ١٠٢ | ٧٢٠ | ٢٢ | ٢ | ١٩ | ١٥ |
| ١٠٣ | ٧٢١ | ١٨ | ٣ | ٦ | ١٨ |
| ١٠٤ | ٧٢٢ |  | ٤ | ٢١ | ١٥ |
| ١٠٥ | ٧٢٣ | ٢٠ | ٣ | ١٧ | ١٧ |
| ١٠٦ | ٧٢٤ | ١٠ | ٤ | ٤ | ١٩ |
| ١٠٧ | ٧٢٥ |  | ٤ | ٢ | ١٧ |
| ١٠٨ | ٧٢٦ |  | ٤ | ٤ | ١٥ |
| ١٠٩ | ٧٢٧ | ١٥ | ٤ | ٥ | ١٧ |
| ١١٠ | ٧٢٨ | ١٥ | ٤ | ١٦ | ١٧ |
| ١١١ | ٧٢٩ |  | ٥ | ١٦ | ١٧ |
| ١١٢ | ٧٣٠ |  | ٤ | ١٤ | ١٦ |
| ١١٣ | ٧٣١ |  | ٥ |  | ١٨ |
| ١١٤ | ٧٣٢ | ١٥ | ٥ | ٢٠ | ١٧ |
| ١١٥ | ٧٣٣ |  | ٤ | ٢٠ | ١٤ |
| ١١٦ | ٧٣٤ |  | ٤ | ½ | ١٤ |
| ١١٧ | ٧٣٥ | ١٤ | ٢ | ٢٠½ | ١٤ |
| ١١٨ | ٨٣٦ | ٦ | ٢ | ٢٠ | ١٦ |
| ١١٩ | ٧٢٧ |  | ٥½ | ٦ | ١٥ |
| ١٢٠ | ٧٣٧ |  | ٤ | ٢½ | ١٦ |

| السنة | | الماء القديم | | الماء الجديد | |
|---|---|---|---|---|---|
| هجرية | ميلادية | أصابع | أذرع | أصابع | أذرع |
| ١٢١ | ٧٣٨ | ٢٠ | ٢ | ١٣ | ١٦ |
| ١٢٢ | ٧٣٩ | ٦ | ٢ | ١٨ | ١٥ |
| ١٢٣ | ٧٤٠ | | ٢ | ١٣ | ١٨ |
| ١٢٤ | ٧٤١ | ١٢ | ٣ | ١٣ | ١٨ |
| ١٢٥ | ٧٤٢ | ٨ | ٤ | ١٣ | ١٦ |
| ١٢٦ | ٧٤٣ | ١٦ | ٢ | ١٢ | ١٧ |
| ١٢٧ | ٧٤٤ | ٣ | ٢ | ١٢ | ١٧ |
| ١٢٨ | ٧٤٥ | ٢٢ | ٢ | ١ | ١٦ |
| ١٢٩ | ٧٤٦ | ١٩ | ٣ | ١٣ | ١٦ |
| ١٣٠ | ٧٤٧ | ١٣ | ٤ | ٤ ½ | ١٦ |
| ١٣١ | ٧٤٨ | ٩ | ٣ | ٤ | ١٦ |
| ١٣٢ | ٧٤٩ | ١٤ | ٣ | ١ | ١٦ |
| ١٣٣ | ٧٥٠ | ٨ | ٤ | ٩ | ١٨ |
| ١٣٤ | ٧٥١ | ١٦ | ٦ | ١٠ | ١٨ |
| ١٣٥ | ٧٥٢ | ١٢ | ٤ | ٣ | ١٦ |
| ١٣٦ | ٧٥٣ | ٨ | ٤ | ٨ | ١٨ |
| ١٣٧ | ٧٥٤ | ٦ | ٤ | ٦ | ١٨ |
| ١٣٨ | ٧٥٥ | ١٤ | ٣ | ٧ | ١٧ |
| ١٣٩ | ٧٥٦ | ١١ | ٣ | ٢٠ | ١٤ |
| ١٤٠ | ٧٥٧ | ٣ | ٥ | ٢٠ ½ | ١٦ |
| ١٤١ | ٧٥٨ | ٥ | ٢ | ٨ | ١٦ |
| ١٤٢ | ٧٥٩ | ١ | ٢ | ١٣ | ١٥ |
| ١٤٣ | ٧٦٠ | ٣ | ٢ | ١٠ | ١٧ |

| السنة | | الماء القديم | | الماء الجديد | |
|---|---|---|---|---|---|
| هجرية | ميلادية | أصابع | أذرع | أصابع | أذرع |
| ١٤٤ | ٧٦١ | ١١ | ٢ | ١٢ | ١٥ |
| ١٤٥ | ٧٦٢ | ٨ | ٢ | ١٤ | ١٥ |
| ١٤٦ | ٧٦٣ | ١٦ | ١ | ١٦ | ١٥ |
| ١٤٧ | ٧٦٤ | ٢٢ | ٢ | ١٩ | ١٤ |
| ١٤٨ | ٧٦٥ | ٢٠ | ١ | ١٦ | ١٥ |
| ١٤٩ | ٧٦٦ | ٢ | ٢ | ٨½ | ١٦ |
| ١٥٠ | ٧٦٧ | | ٣ | ٢٠½ | ١٥ |
| ١٥١ | ٧٦٨ | ٦ | ٤ | ١٦ | ١٦ |
| ١٥٢ | ٧٦٩ | ٢٠ | ١ | ١½ | ١٥ |
| ١٥٣ | ٧٧٠ | ٣ | ٢ | ١٠ | ١٧ |
| ١٥٤ | ٧٧٠ | ١٦ | ١ | ١٥ | ١٥ |
| ١٥٥ | ٧٧١ | ١٠ | ٣ | ١٨ | ١٥ |
| ١٥٦ | ٧٧٢ | ١٥ | ٢ | ٢٢ | ١٥ |
| ١٥٧ | ٧٧٣ | ١٨ | ٢ | ٢٠ | ١٧ |
| ١٥٨ | ٧٧٤ | | ٢ | ٢½ | ١٧ |
| ١٥٩ | ٧٧٥ | ٨ | ٢ | ٢ | ١٥ |
| ١٦٠ | ٧٧٦ | ٨ | ٢ | | ١٦ |
| ١٦١ | ٧٧٧ | ٢٠ | ٢ | ٤ | ١٨ |
| ١٦٢ | ٧٧٨ | ٢٠ | ٣ | ١٢ | ١٥ |
| ١٦٣ | ٧٧٩ | ١٤ | ١ | ١٥ | ١٥ |
| ١٦٤ | ٧٨٠ | ١٦ | ١ | ١٥ | ١٥ |
| ١٦٥ | ٧٨١ | ١٠ | ١ | ١ | ١٤ |
| ١٦٦ | ٧٨٢ | | ٢ | ١ | ١٧ |

| السنة | | الماء القديم | | الماء الجديد | |
|---|---|---|---|---|---|
| هجرية | ميلادية | أصابع | أذرع | أصابع | أذرع |
| ١٦٧ | ٧٨٣ | ٤ | ١ | ١٨ | ١٦ |
| ١٦٨ | ٧٨٤ | | ٢ | ١٥ | ١٥ |
| ١٦٩ | ٧٨٥ | ١٥ | ٢ | ١٥ | ١٧ |
| ١٧٠ | ٧٨٦ | ٢ | ٥ | ٤ | ١٧ |
| ١٧١ | ٧٨٧ | ١٤ | ٣ | ٢٠ | ١٧ |
| ١٧٢ | ٧٨٨ | ٦ | ٤ | ٢½ | ١٥ |
| ١٧٣ | ٧٨٩ | ٦ | ٤ | ٣ | ١٥ |
| ١٧٤ | ٧٩٠ | ٨ | ٤ | ٨½ | ١٧ |
| ١٧٥ | ٧٩١ | | ٥ | ١٨ | ١٤ |
| ١٧٦ | ٧٩٢ | ١٤ | ٤ | ١٦ | ١٥ |
| ١٧٧ | ٧٩٣ | ١٤ | ٣ | ١٦ | ١٦ |
| ١٧٨ | ٧٩٤ | | ٣ | ١٦ | ١٥ |
| ١٧٩ | ٧٩٥ | ٢٠ | ٢ | ١٠ | ١٧ |
| ١٨٠ | ٧٩٦ | ١٤ | ٣ | ٩ | ١٥ |
| ١٨١ | ٧٩٧ | ٨ | ٤ | ٨½ | ١٧ |
| ١٨٢ | ٧٩٨ | ١٩ | ٢ | | ١٧ |
| ١٨٣ | ٧٩٩ | ١٨ | ٢ | ٢٣ | ١٤ |
| ١٨٤ | ٨٠٠ | ٢٠ | ٢ | ٤ | ١٧ |
| ١٨٥ | ٨٠١ | ١٠ | ٣ | ٧ | ١٧ |
| ١٨٦ | ٨٠٢ | | ٢ | ٢٢ | ١٤ |
| ١٨٧ | ٨٠٢ | ٢٠ | ٢ | ٢ | ١٤ |
| ١٨٨ | ٨٠٣ | ٧ | ٢ | ١٠ | ١٧ |
| ١٨٩ | ٨٠٤ | ١٤ | ٤ | ٢ | ١٧ |

| السنة | | الماء القديم | | الماء الجديد | |
|---|---|---|---|---|---|
| هجرية | ميلادية | أصابع | أذرع | أصابع | أذرع |
| ١٩٠ | ٨٠٥ | ١٢ | ٥ | ٧ | ١٧ |
| ١٩١ | ٨٠٦ | ١٤ | ٣ | ٧ | ١٧ |
| ١٩٢ | ٨٠٧ | ٢٠ | ٤ | ١٦ | ١٧ |
| ١٩٣ | ٨٠٨ | ٢٠ | ٥ | ١٦ | ١٦ |
| ١٩٤ | ٨٠٩ | | ٥ | ١٥ | ١٧ |
| ١٩٥ | ٨١٠ | ١٨ | ٤ | ٢١ ½ | ١٥ |
| ١٩٦ | ٨١١ | | ٤ | ٦ | ١٧ |
| ١٩٧ | ٨١٢ | | ٧ | ١٨ | ١٧ |
| ١٩٨ | ٨١٣ | | ٨ | ٥ | ١٧ |
| ١٩٩ | ٨١٤ | ١٠ | ٥ | ١١ | ١٧ |
| ٢٠٠ | ٨١٥ | ٨ | ٥ | ١٧ | ١٧ |
| ٢٠١ | ٨١٦ | ١٠ | ٥ | ١٨ | ١٤ |
| ٢٠٢ | ٨١٧ | ٢٠ | ٣ | ١٩ | ١٥ |
| ٢٠٣ | ٨١٨ | ١٨ | ٥ | ١٠ | ١٧ |
| ٢٠٤ | ٨١٩ | ١٤ | ٥ | ٥ | ١٦ |
| ٢٠٥ | ٨٢٠ | ٢٢ | ٤ | ١٤ | ١٧ |
| ٢٠٦ | ٨٢١ | ١٤ | ٥ | ١٨ | ١٧ |
| ٢٠٧ | ٨٢٢ | ٢٠ | ٤ | ١٧ | ١٦ |
| ٢٠٨ | ٨٢٣ | ١٤ | ٤ | ١٨ | ١٧ |
| ٢٠٩ | ٨٢٤ | ٨ | ٥ | ١٨ | ١٧ |
| ٢١٠ | ٨٢٥ | ٥ | ٥ | ١٨ | ١٧ |
| ٢١١ | ٨٢٦ | ٨ | ٥ | ٨ | ١٧ |
| ٢١٢ | ٨٢٧ | ٦ | ٥ | ٧ | ١٧ |

| السنة | | الماء القديم | | الماء الجديد | |
|---|---|---|---|---|---|
| هجرية | ميلادية | أصابع | أذرع | أصابع | أذرع |
| ٢١٣ | ٨٢٨ | ٢٠ | ٣ | ١٥½ | ١٥ |
| ٢١٤ | ٨٢٩ | ١٦ | ٣ | ٢٠½ | ١٦ |
| ٢١٥ | ٨٣٠ | ١٨ | ٣ | ٢١ | ١٣ |
| ٢١٦ | ٨٣١ | ٣ | ٣ | ١٠ | ١٥ |
| ٢١٧ | ٨٣٢ | ٦ | ٤ | ٦ | ١٤ |
| ٢١٨ | ٨٣٣ | ٢٢ | ٣ | | ١٥ |
| ٢١٩ | ٨٣٤ | ١ | ٤ | ١٠½ | ١٥ |
| ٢٢٠ | ٨٣٥ | ٢ | ٣ | ١٧½ | ١٦ |
| ٢٢١ | ٨٣٦ | ١٥ | ٣ | ٢١½ | ١٦ |
| ٢٢٢ | ٨٣٦ | ٩ | ٤ | ٢٢ | ١٤ |
| ٢٢٣ | ٨٣٧ | ٢٢ | ٣ | ٢٠½ | ١٦ |
| ٢٢٤ | ٨٣٨ | ٣½ | ٤ | ٥ | ١٧ |
| ٢٢٥ | ٨٣٩ | ٢٠ | ٣ | ٢٠ | ١٦ |
| ٢٢٦ | ٨٤٠ | ١٤ | ٣ | ٦ | ١٤ |
| ٢٢٧ | ٨٤١ | ٢٢ | ٣ | ٩ | ١٦ |
| ٢٢٨ | ٨٤٢ | ١٠ | ٣ | ٦ | ١٦ |
| ٢٢٩ | ٨٤٣ | ٢٠ | ٣ | ٩ | ١٦ |
| ٢٣٠ | ٨٤٤ | ٢٢ | ٣ | ٩ | ١٦ |
| ٨٣١ | ٨٤٥ | ٦ | ٤ | ٣½ | ١٧ |
| ٢٣٢ | ٨٤٦ | ٨ | ٤ | ١٦ | ١٥ |
| ٢٣٣ | ٨٤٧ | ١٤ | ٣ | ٢٠ | ١٦ |
| ٢٣٤ | ٨٤٨ | ٢٠ | ٥ | ٢٠ | ١٥ |
| ٢٣٥ | ٢٤٩ | ٨ | ٤ | ٢٠ | ١٥ |

| السنة | | الماء القديم | | الماء الجديد | |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| هجرية | ميلادية | أصابع | أذرع | أصابع | أذرع |
| ٢٣٦ | ٨٥٠ | ٥ | ٥ | ١٢ | ١٧ |
| ٢٣٧ | ٨٥١ | | ٧ | ١٥ | ١٥ |
| ٢٣٨ | ٨٥٢ | ٧ | ٣ | ٦ | ١٦ |
| ٢٣٩ | ٨٥٣ | ٢٠ | ٤ | ٢٣ | ١٦ |
| ٢٤٠ | ٨٥٤ | ١٣ | ٤ | | ١٧½ |
| ٢٤١ | ٨٥٥ | ٥ | ٤ | ٥ | ١٧ |
| ٢٤٢ | ٨٥٦ | ١٦ | ٥ | ٥ | ١٧ |
| ٢٤٣ | ٨٥٧ | ١٨ | ٥ | ٢ | ١٧ |
| ٢٤٤ | ٨٥٨ | ١ | ٥ | ١٢ | ١٦ |
| ٢٤٥ | ٨٥٩ | ٢٢ | ٦ | ٣ | ١٦ |
| ٢٤٦ | ٨٦٠ | ٢٢ | ٤ | ٢٠ | ١٦ |
| ٢٤٧ | ٨٦١ | ٢٠ | ٥ | ١٤ | ١٧ |
| ٢٤٨ | ٨٦٢ | ٨½ | ٨ | ١٩ | ١٧ |
| ٢٤٩ | ٨٦٣ | ٢٠ | ٩ | ١١ | ١٧ |
| ٢٥٠ | ٨٦٤ | ١٥ | ٨ | ١٥ | ١٧ |
| ٢٥١ | ٨٦٥ | ١٤ | ٧ | ٨ | ١٧ |
| ٢٥٢ | ٨٦٦ | ٣ | ٦ | ٢٠ | ١٧ |
| ٢٥٣ | ٨٦٧ | ١٢ | ٦ | ١٠ | ١٧ |
| ٢٥٤ | ٨٦٨ | ٩ | ٥ | ١٦ | ١٦ |
| ٢٥٥ | ٨٦٨ | ١٢ | ٤ | ٦ | ١٧ |
| ٢٥٦ | ٢٦٩ | ٢٢ | ٤ | ٢٠ | ١٦ |
| ٢٥٧ | ٨٧٠ | ١٦ | ٣ | ١٨ | ١٧ |
| ٢٥٨ | ٨٧١ | ١٢ و٥ | ٤ | ١٢ و٥ | ١٦ |

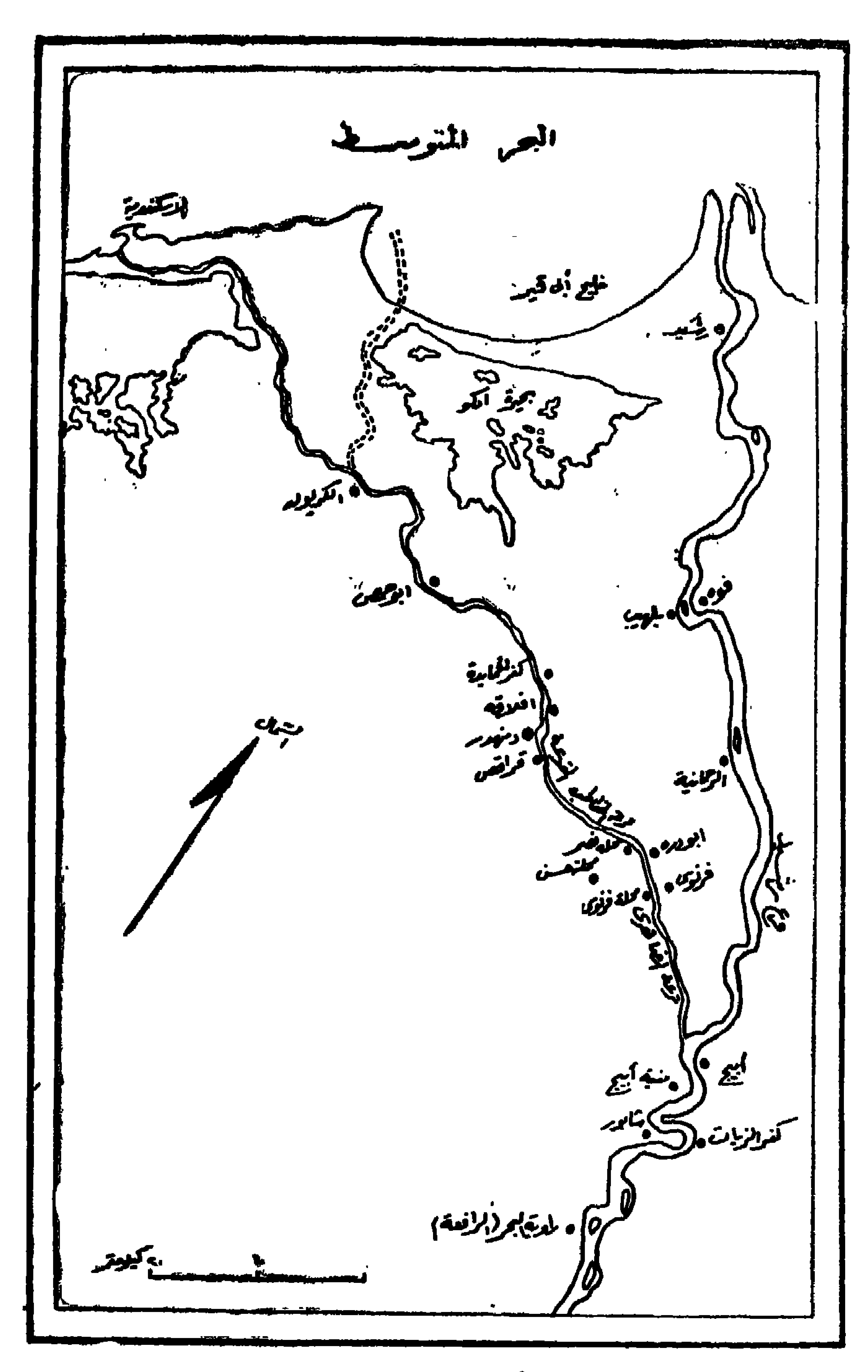
| السنة | | الماء القديم | | الماء الجديد | |
|---|---|---|---|---|---|
| هجرية | ميلادية | أصابع | أذرع | أصابع | أذرع |
| ٢٥٩ | ٨٧٢ | | ٥ | ١٢و٥ | ١٦ |
| ٢٦٠ | ٨٧٣ | ١٢و٤ | ٤ | ١١ | ١٦ |
| ٢٦١ | ٨٧٤ | ١٣ | ٣ | ١٢و٥ | ١٧ |
| ٢٦٢ | ٨٧٥ | ١٣ | ٣ | ١٨ | ١٧ |
| ٢٦٣ | ٨٧٦ | ١٤ | ٤ | ٢٠ | ١٧ |
| ٢٦٤ | ٨٧٧ | ١٢ | ٨ | ٢٢ | ١٧ |
| ٢٦٥ | ٨٧٨ | ٢١ | ٥ | ٢١ | ١٧ |
| ٢٦٦ | ٨٧٩ | ٦ | ٦ | ١٤ | ١٧ |
| ٢٦٧ | ٨٨٠ | ١٢و٩ | ٦ | ١٤ | ١٧ |
| ٢٦٨ | ٨٨١ | ١٥ | ٥ | ١٦ | ١٧ |
| ٢٦٩ | ٨٨٢ | ١٦ | ٤ | ٢٠ | ١٧ |
| ٢٧٠ | ٨٨٣ | ١٨ | ٤ | ٢٠ | ١٧ |
| ٢٧١ | ٨٨٤ | ٢٠ | ٤ | ٢٠ | ١٥ |
| ٢٧٢ | ٨٨٥ | ٩ | ٤ | ١٤ | ١٦ |
| ٢٧٣ | ٨٨٦ | ٢٣ | ٤ | ١٢و٥ | ١٦ |
| ٢٧٤ | ٨٨٧ | ٢٧ | ٤ | ٧ | ١٥ |
| ٢٧٥ | ٨٨٨ | ١٦ | ٤ | ١٢و٨ | ١٥ |
| ٢٧٦ | ٨٨٩ | ٩ | ٦ | ١٤ | ١٧ |
| ٢٧٧ | ٨٩٠ | ٢ | ٥ | ١٨ | ١٧ |
| ٢٧٨ | ٨٩١ | ١٧ | ٥ | ١٨ | ١٧ |
| ٢٧٩ | ٨٩٢ | ١٢و١ | ٥ | ١٦ | ١٧ |
| ٢٨٠ | ٨٩٣ | ٨ | ٥ | ١٠ | ١٧ |
| ٢٨١ | ٨٩٤ | | ٥ | ١٠ | ١٥ |

| السنة | | الماء القديم | | الماء الجديدة | |
|---|---|---|---|---|---|
| هجرية | ميلادية | أصابع | أذرع | أصابع | أذرع |
| ٢٨٢ | ٨٩٥ | | ٥ | ٢٢ | ١٤ |
| ٢٨٣ | ٨٩٦ | ٢ | ٦ | ١٩ | ١٦ |
| ٢٨٤ | ٨٩٧ | ١٣ | ٥ | ١٩ | ١٥ |
| ٢٨٥ | ٨٩٨ | ١٦ | ٧ | ١٩ | ١٦ |
| ٢٨٦ | ٨٩٩ | ١٥ | ٧ | ٨ | ١٧ |
| ٢٨٧ | ٩٠٠ | ٢٥ | ٧ | ١٠ | ١٧ |
| ٢٨٨ | ٩٠٠ | | ٦ | ٤ | ١٦ |
| ٢٨٩ | ٩٠١ | | ٧ | ١٩ | ١٧ |
| ٢٩٠ | ٩٠٢ | ٢٣ | ٦ | ٤ | ١٣ |
| ٢٩١ | ٩٠٣ | ٢١ | ٤ | ١,١٢ | ١٦ |
| ٢٩٢ | ٩٠٤ | ١٦ | ٣ | ١,١٢ | ١٦ |
| ٢٩٣ | ٩٠٥ | ٧,١٢ | ٤ | ٧ | ١٦ |
| ٢٩٤ | ٩٠٦ | ١ | ٤ | ١١ | ١٥ |
| ٢٩٥ | ٩٠٧ | ٣ | ٤ | ١٦ | ١٥ |
| ٢٩٦ | ٩٠٨ | ١٩ | ٤ | ١٩ | ١٧ |
| ٢٩٧ | ٩٠٩ | ١١ | ٩ | ١١ | ١٧ |
| ٢٩٨ | ٩١٠ | ٤ | ٨ | ٨ | ١٧ |
| ٢٩٩ | ٩١١ | ١١ | ٦ | ٨ | ١٧ |
| ٣٠٠ | ٩١٢ | ١ | ٧ | ١ | ١٨ |
| ٣٠١ | ٩١٣ | ١٢ | ٤ | ١ | ١٨ |
| ٣٠٢ | ٩١٤ | ٢٠ | ٥ | ١١ | ١٦ |
| ٣٠٣ | ٩١٥ | | ٦ | ١٨ | ١٥ |
| ٣٠٤ | ٩١٦ | | ٦ | ١٨ | ١٥ |

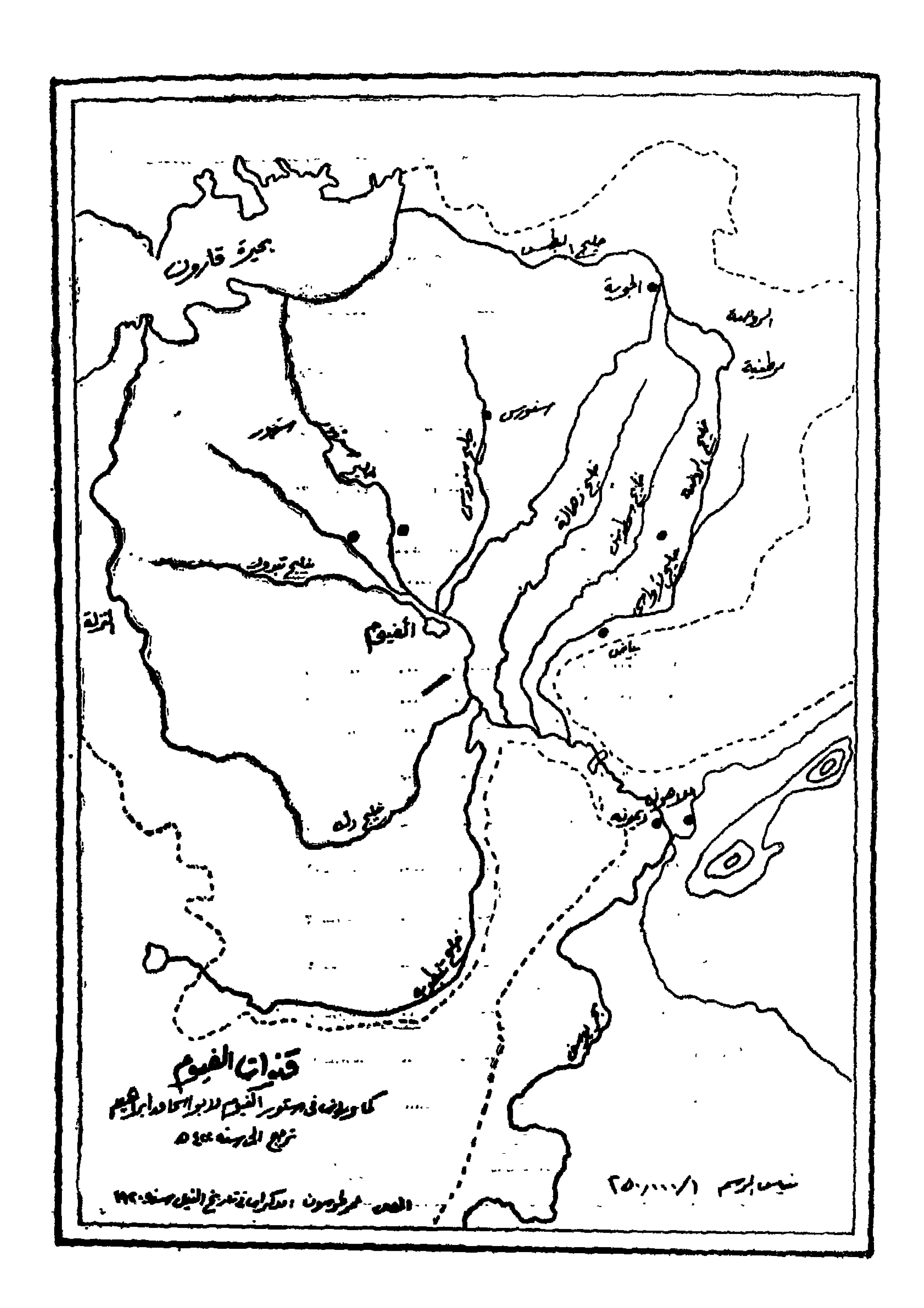
| السنة هجرية | السنة ميلادية | الماء القديم أصابع | الماء القديم أذرع | الماء الجديد أصابع | الماء الجديد أذرع |
|---|---|---|---|---|---|
| ٣٠٥ | ٩١٧ | ١٠ | ٤ | ٢٠ | ١٦ |
| ٣٠٦ | ٩١٨ | | ٥ | ١٩ | ١٧ |
| ٣٠٧ | ٩١٩ | ٢٠ | ٣ | ١٩ | ١٧ |
| ٣٠٨ | ٩٢٠ | ٢٠ | ٦ | ١٠ | ١٧ |
| ٣٠٩ | ٩٢١ | ١٣ | ٣ | ٣ | ١٧ |
| ٣١٠ | ٩٢٢ | ٢١ | ٥ | ٩ | ١٧ |
| ٣١١ | ٩٢٣ | ٢١ | ٤ | ١٣ | ١٦ |
| ٣١٢ | ٩٢٤ | ٧ | ٥ | | ١٨ |
| ٣١٣ | ٩٢٥ | ٣ | ٦ | ٥ | ١٧ |
| ٣١٤ | ٩٢٦ | ١ | ٥ | ٥ | ١٧ |
| ٣١٥ | ٩٢٧ | ٢٢ | ٤ | ١٧ | ١٤ |
| ٣١٦ | ٩٢٨ | ١٣ | ٤ | | ١٨ |
| ٣١٧ | ٩٢٩ | ١٣ | ٦ | ٢٣ | ١٧ |
| ٣١٨ | ٩٣٠ | ١١ | ٥ | ٢ | ١٧ |
| ٣١٩ | ٩٣١ | ٩ | ٥ | ٤ | ١٥ |
| ٣٢٠ | ٩٣٢ | ١٧ | ٣ | ١٣ | ١٧ |
| ٩٢١ | ٩٣٣ | ١٦ | ٤ | ١٢و | ١٦ |
| ٣٢٢ | ٩٣٣ | ٦ | ٥ | ١٤ | ١٧ |
| ٣٢٣ | ٩٣٤ | ١٦ | ٤ | ١٧ | ١٦ |
| ٣٢٤ | ٩٣٥ | ١٦ | ٤ | ٢٣ | ١٦ |
| ٣٢٥ | ٩٣٦ | ١٦ | ٤ | ١٦ | ١٦ |
| ٣٢٦ | ٩٣٧ | ٤ | ٥ | ١٠ | ١٧ |
| ٣٢٧ | ٩٣٨ | ٢٠ | ٣ | ٢١ | ١٤ |

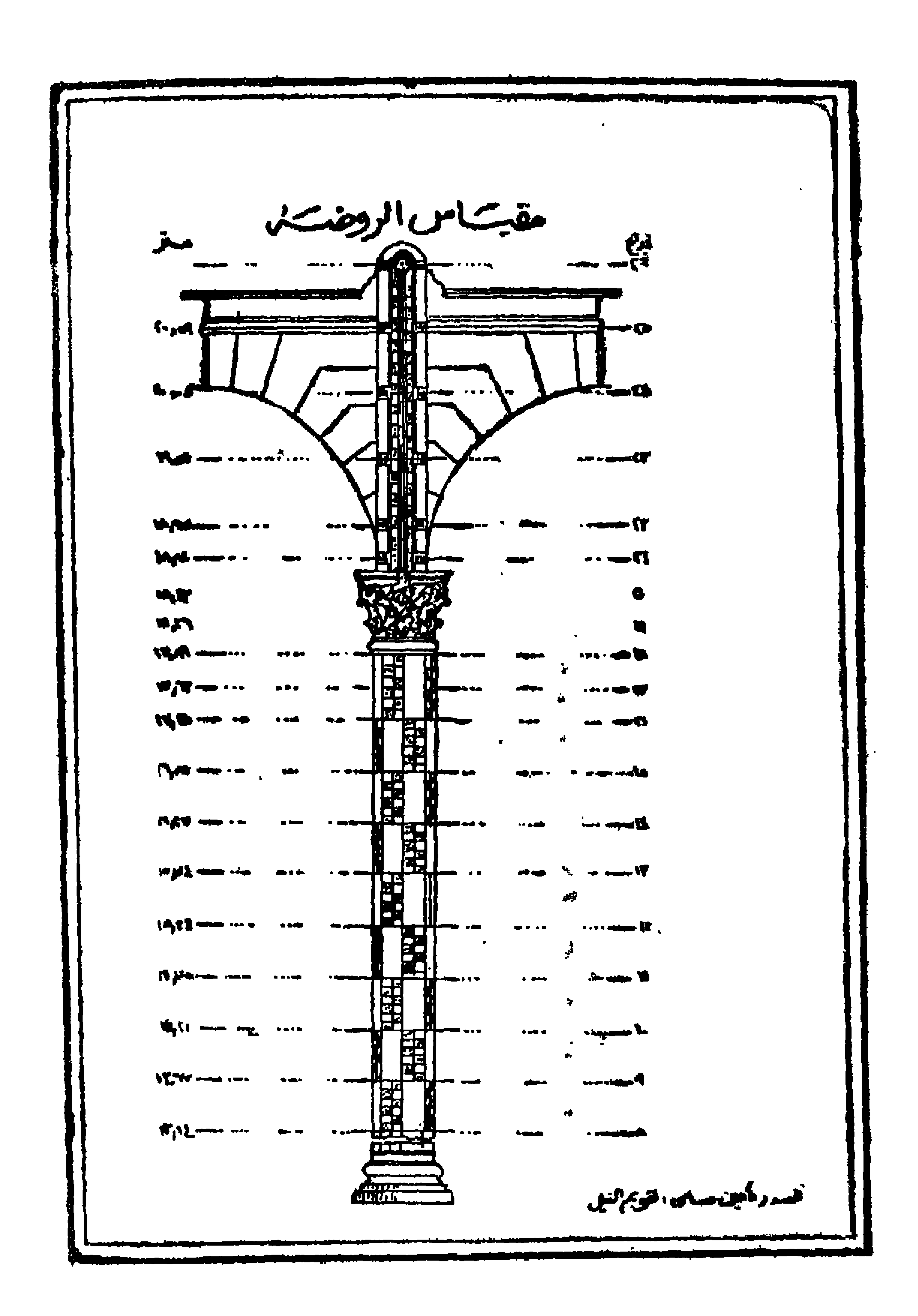
| السنة | | الماء القديم | | الماء الجديدة | |
|---|---|---|---|---|---|
| هجرية | ميلادية | اصابع | أذرع | اصابع | أذرع |
| ٣٢٨ | ٩٣٩ | ٠ | ٣ | ٦ | ١٦ |
| ٣٢٩ | ٩٤٠ | ١١ | ٣ | ١٣ | ١٥ |
| ٣٣٠ | ٩٤١ | ١٢و | ٣ | ٨ | ١٥ |
| ٣٣١ | ٩٤٢ | ٦ | ٢ | | ١٩ |
| ٣٣٢ | ٩٤٣ | ١ | ٤ | ٩ | ١٦ |
| ٣٣٣ | ٩٤٤ | ١٢ | ٢ | ١٢ | ١٥ |
| ٣٣٤ | ٩٤٥ | ١٠ | ٣ | ٦ | ١٩ |
| ٣٣٥ | ٩٤٦ | ١١ | ٣ | ٨ | ١٥ |
| ٣٣٦ | ٩٤٧ | ١٣ | ٣ | ١٧ | ١٤ |
| ٣٣٧ | ٩٤٨ | ١٥ | ٣ | ١٢ | ١٥ |
| ٣٣٨ | ٩٤٩ | ١٧ | ٣ | ١٨ | ١٧ |
| ٣٣٩ | ٩٥٠ | ٢٠ | ٥ | ٢ | ١٦ |
| ٣٤٠ | ٩٥١ | ١٤ | ٣ | ٧ | ١٦ |
| ٣٤١ | ٩٥٢ | ٢٠ | ٥ | ١٠ | ١٦ |
| ٣٤٢ | ٩٥٣ | ١٤ | ٤ | | ١٨ |
| ٣٤٣ | ٩٥٤ | ٢٠ | ٣ | ٧ | ١٦ |
| ٣٤٤ | ٩٥٥ | ١٧ | ٥ | ٦ | ١٧ |
| ٣٤٥ | ٩٥٦ | | ٥ | ٧ | ١٦ |
| ٣٤٦ | ٩٥٧ | ٤ | ٦ | ١٩ | ١٦ |
| ٣٤٧ | ٩٥٨ | ٠ | ٦ | ٢٠ | ١٧ |
| ٣٤٨ | ٩٥٩ | ١٣ | ٧ | ٢٠ | ١٧ |
| ٣٤٩ | ٩٦٠ | ١٩ | ٧ | | ١٧ |
| ٣٥٠ | ٩٦١ | ١٤ | ٥ | | ١٨ |

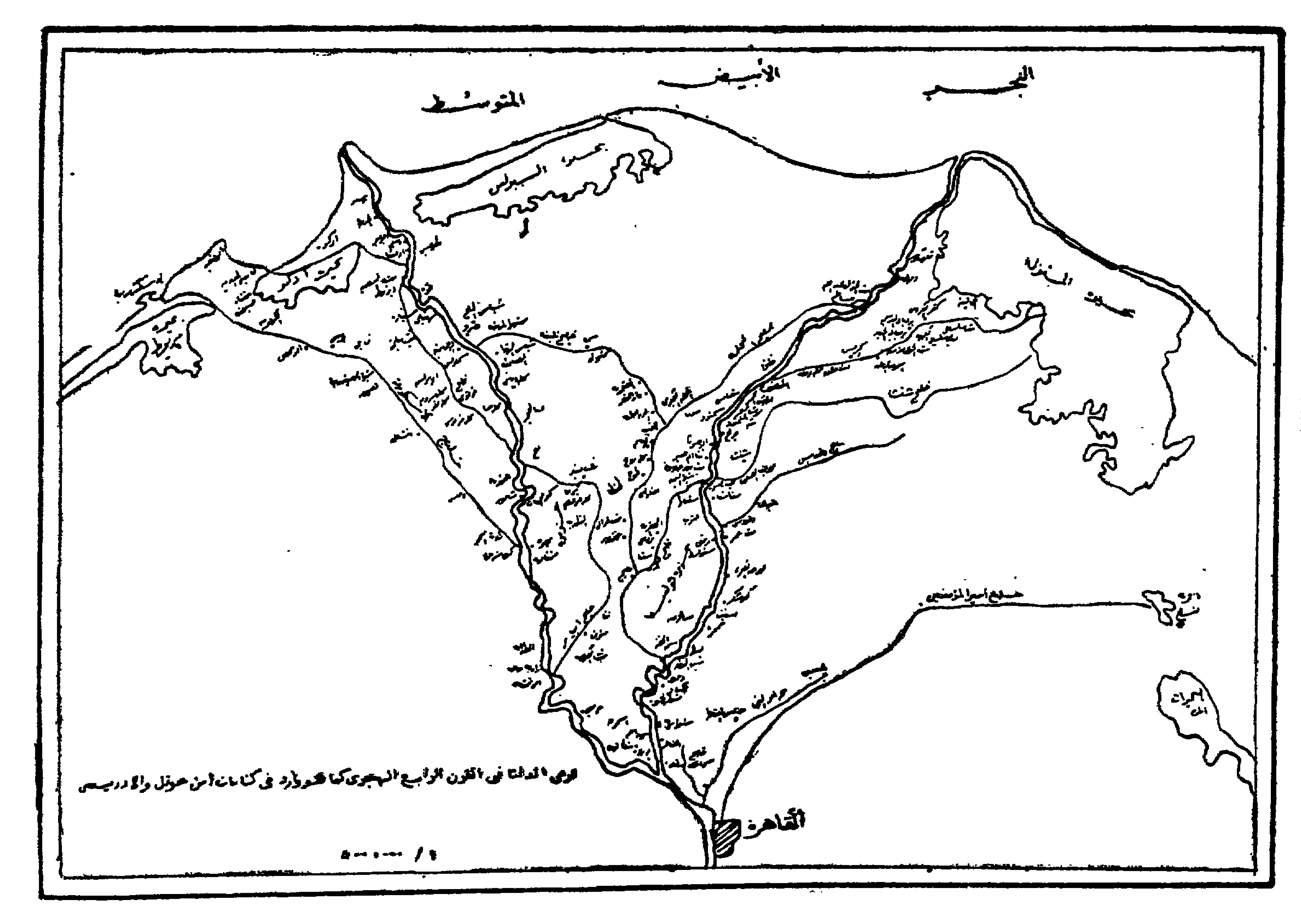
| السنة | | الماء القديم | | الماء الجديدة | |
|---|---|---|---|---|---|
| هجرية | ميلادية | أصابع | أذرع | أصابع | أذرع |
| ٣٥١ | ٩٦٢ | ١١ | ٦ | ٧ | ١٦ |
| ٣٥٢ | ٩٦٣ | | ٣ | ١٦ | ١٥ |
| ٣٥٣ | ٩٦٤ | ١٥ | ٣ | ٤ | ١٥ |
| ٣٥٤ | ٩٦٥ | ٥ | ٣ | ١٠ | ١٦ |
| ٣٥٥ | ٩٦٥ | ٨ | ٥ | ١٩ | ١٤ |
| ٣٥٦ | ٩٦٦ | ١٤ | ٢ | ١٧ | ١٢ |
| ٣٥٧ | ٩٦٧ | ٢١ | ١ | ١٤ | ١٧ |
| ٣٥٨ | ٩٦٨ | ١٣ | ٣ | ٩ | ١٧ |




مجرى خليج الإسكندرية بين القرنين الثالث والرابع الهجري


بحيرة قارون
الفيوم
قنوات الفيوم
مقياس الرسم ١/١٠٠،٢٥٠


مقياس الروضة
متر
المصدر أمين سامي، تقويم النيل


البحر الأبيض المتوسط
بحيرة البرلس
بحيرة المنزلة
بحيرة مريوط
القاهرة
الدلتا في القرن الرابع الهجري كما هو وارد في كتابات ابن حوقل والإدريسي

# قائمـــة المصـادر والمراجـع

## ( أ ) الكتب الدينيـــة


ــ القرآن الكريم
ــ صحيح البخارى 　 ٩ اجزاء القاهرة ١٣٢٠هـ
ــ صحيح مسـلم 　 ١٨ جزءا القاهرة ١٩٢٩م


## (ب) المخطـــوطات


١ ــ البكرى الصديقى محمد (١٠٦٠هـ) محمد بن زين العابدين ٠
شفاء العليل فى أخبار النيل 　 مكتبة رفاعـــة الطهطاوى
بسوهاج رقم ٣٠ جغرافيا ٠

٢ ــ الحجازى : (ت ٨٧٥هـ) بدرالدين أحمد بن محمد بن على
نيل الرائد فى النيل الزائد 　 دار الكتب ٣٨٠ جعرافيا ٠

٣ ــ السيوطى : ( ت ٩١١هـ ) 　 جلال الدين عبد الرحمن ٠
كوكب الروضة فى تاريخ جزيرة مصر 　 مكتبـــة رفاعـــة
الطهطاوى بسوهاج رقم ١٨٦ ( ١٥٩٩ ) تاريخ ٠

٤ ــ الكلام على النيل 　 دار الكتب ٣٨١ جغرافيا ٠

٥ ــ المنوفى : (ت ٩٣١هـ )
الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد دار الكتب ٦٦ جغرافيا

٦ ــ المحـــلى : ( ت ٨٦٤هـ ) جلال الدين محمد بن أحمـد بن
ابراهيـم ،
مبدأ النيل على التحرير دار الكتب ٣٨٠ ٠

٧ ــ قصى الدين الشافعى :
نبذة عن دمياط 　 مكتبة رفاعـة الطهطاوى بســـوهاج
رقم ١٤٧ ( ١٥٦٠ ) جغرافيا ٠


## (جـ ) المصادر العربية القديمة


٨ ــ الادريسى : ( ت ٥٤٩هـ/١٢٥١م ) محمد بن عبد العزيـز
الشريف :
صفة المغرب وأرض السودان ومصر ليدن ١٨٦٦ م ٠

٩ ـ الأدفوى : ( ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م ) كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب الشافعى
الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد القاهرة ١٩٦٦

١٠ ـ الاصطخرى : ( ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ) . أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى .
مسالك الممالك ليدن ١٩٦٧م

١١ ـ ابن أياس : ( ٩٣٠هـ/١٥٢٣ ) أبو البركات محمد بن أحمد
نشق الأزهار فى عجائب الأمصار باريس ١٨٠٧م

١٢ ـ ابن بصال :
كتاب الفلاحة تطوان المغرب ١٩٥٥م .

١٣ ـ ابن بطوطة : ( ٧٧٩هـ/١٣٧٧ ) أبو عبد الله محمد بن عبد الله .
تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأشعار باريس ١٨٨٠م .

١٤ ـ البغدادى : ( ٦٢٩هـ/١٢٣١م) عبد اللطيف موفق الدين عبد اللطيف البغدادى .
الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة ، والحوادث المعاينة بأرض مصر ـ القاهرة ١٢٨٦هـ

١٥ ـ البكرى : ( ت ٤٨٧هـ ) عبد الله بن عبد العزيز .
معجم ما استعجم القاهرة ١٩٤٥م

١٦ ـ البلاذرى : ( ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م ) أحمد بن يحيى بن جابر
فتوح البلدان ليدن

١٧ ـ كتاب النقود ضمن كتاب النقود وعلم النميات للأب اتستاس الكرملى ، القاهرة ١٩٣٩م .

١٨ ـ البلوى :
سيرة أحمد بن طولون نشر محمد كرد على دمشق ١٣٥٨هـ

١٩ ـ أبو يوسف : ( ت ١٩٢هـ ـ ٨٠٨م ) أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم ،
الخراج القاهرة ١٣٠٢هـ

٢٠ ـ البيرونى : ( ت ٤٣٠هـ/١٠٤٨م ) أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمى .
الآثار الباقية من القرون الخالية ليبزج ١٩٢٣م .

٢١ ـ ابن تيمية : ( ت ٧٢٨هـ/١٣٢٠م ) تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام .
الحسبة فى الاسلام القاهرة ١٣١٨هـ

٢٢ ـ الثعالبى : ( ت ٤٢٩هـ/١٠٤٧م ) أبو منصور عبد الملك بن محمد .
يتمية الدهر القاهرة ١٩٥٦م

٢٣ ـ لطائف المعارف دار احياء الكتب العربية

٢٢ ـ الثعالبى : ( ت ٤٢٩هـ/١٠٤٧م ) أبو منصور عبد الملك
رحلة ابن جبير تحقيق الدكتور حسين نصار القاهرة ١٩٥٥م

٢٥ ـ الجاحظ : ( ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م ) أبو عثمان عمرو بن بحر
كتاب التبصر بالتجارة القاهرة ١٣٥٤هـ/١٠٣٥م

٢٦ ـ الجهشيارى :(ت ٣٣١هـ/١٩٤٣)أبو عبد الله محمد بن عبدوس
كتاب الوزراء والكتاب القاهرة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨ م

٢٧ ـ ابن الجيعان : ( ت ٨٨٥هـ ـ ١٤٨٠م ) شمس الدين يحيى بن مقر .
التحفة السنية فى اسماء البلاد المصرية القاهرة ١٨٩٨م

٢٨ ـ ابن حجلة التلمسانى : شهاب الدين ابو العباس أحمد بن يحيى بن أبى بكر ( ت ٧٦٢هـ ) .
سكردان السلطان بولاق ١٢٨٨هـ

٢٩ ـ ابن حوقل : (توفى أواخر القرن الرابع الهجرى) أبو القاسم محمد .
المسالك والممالك دى جويه ١٨٧٠م

٣٠ ـ صورة الأرض ليدن ١٩٦٧م

٣١ ـ ابن خرداذبة : ( ت ٣٠٠هـ/٩١٢م ) أبو القاسم عبد الله بن أحمد .
المسالك والممالك ليدن ١٩٦٧م

٣٢ ــ ابن خلكان : ( ت ٦٨١هـ/١٢٨١م ) شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم .
وفيات الأعيان بولاق ١٢٨٣هـ

٣٣ ــ ابن الداية : ( ت نحو ٣٩٩هـ/٩٥١م ) أحمد بن يوسف
المكافأة القاهرة ١٩٤١م

٣٤ ــ ابن دقماق : ( ت ٨٥٩هـ/١٤٠٦م ) ابراهيم بن محمد المصرى .
الإنتصار لواسطة عقد الامصار جـ٤ ، جـ٥ بولاق ١٣٠٩هـ

٣٥ الدمشقى : ت ٦٥٤هـ شمس الدين أبى عبيد الله محمد أبى طالب الانصارى الدمشقى .
نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ــ بطر سبورج ١٨٦٥م

٣٦ ــ ابن رستة : ت ٢٩٥هـ أبو على أحمد بن عمر
الاعلاق النفيسة ــ ليدن ١٩٦٧م .

٣٧ ــ ساويرس بن المقفع : ( ت أواخر القرن الرابع الهجرى/ أواخر القرن العاشر الميلادى ) .
سير الآباء البطاركة ــ هامبورج ١٩١٢م

٣٨ ــ ابن سعد : الطبقات الكبرى ــ ليدن

٣٩ ــ ابن سعيد : (ت ٦٧٣هـ ــ ١٢٧٥م) على بن موسى المغربى
المغرب فى حلى المغرب نشر د. زكى محمد حسن الجزء الأول مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣م

٤٠ ــ سعيد بن بطريق : ( ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م ) .
التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ــ بيروت ١٩٠٥م

٤١ ــ السيوطى : ( ت ٩١١هـ/١٥٠٥م ) عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين .
حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ــ القاهرة ١٣٢١م
٤٢ ــ الخلفاء ــ القاهرة ١٩٥٩م

٤٣ ــ الشابستى : ( ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م ) أبى الحسن على بن محمد المعروف بالشابستى .
الديارات ــ بغداد ١٩٥١م

٤٤ ـ ابن شاهين للظاهرى : ( ت ٨٢٧هـ ) غرس الدين بن خليل
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ـــ باريس ١٨٩٤م

٤٥ ـ الشـــيزرى : ( ت ٥٨٩هـ/١٩٤م ) عبـــد الرحمن بن نصر
نهاية الرتبة فى طلب الحسبة
تحقيق الدكتور السيد الباز العرينى ، القاهرة ١٩٤٦م

٤٦ ـ أبو صـــالح الأرمنى : ( ٥٦٩هـ/١٧٢م ) أبـــو المكــــــارم
جرجس بن مسعود .
تاريخ المعروف بكنائس واديرة مصر ـــ اكسفورد ١٨٩٥م

٤٧ ـ الطـــبرى : ( ٣١٠هـ /٩٢٢م ) أبو جعفـــر محمـــد بن
جرير الطبرى .
تاريخ الرسل والملوك ( تاريخ الطبرى ) عشرة اجزاء ـــ
دار المعارف ٦٧ ـــ ١٩٦٩

٤٨ ـ ابن ظهيره :
الفضـــائل الباهــرة ـــ طبعـــة دار الكتب القاهرة ١٩٦٩م

٤٩ ـ ابن عبد الحـــكم : ) ت ٣٥٧هـ/٨٧١م ( أبو القاســـــم
عبد الرحمن بن عبد الله .
فتوح مصر وأخبارها ـــ ليـدن ١٩٢٠م

٥٠ ـ ابن عبد ربه : ( ت ٣٢٨هـ ) شهاب الدين أحمد بن محمـد
العقد الفريد ـــ القاهرة ١٣١٦ هـ

٥١ ـ ابن العوام : ( القرن السادس الهجرى ) أبو زكريا يحيى
ابن محمد بن أحمد بن العوام الاشبيلى .
كتاب الفلاحة ـــ جزءان ـــ مدريد ١٨٠٢م

٥٢ ـ ابن فضل الله العمـرى : ( ٧٤٩هـ/١٣٥٩م ) شـهاب الدين
أبو العباس أحمد بن يحيى .
مسالك الابصار فى ممالك الامصار الجزء الأول نشر أحمـد
زكى ـــ القاهرة ١٩٤٢م

٥٣ ـ ابن الفقيه الهمدانى : ( ت أواخر القرن الثالث الهجرى )
أبو بكر بن محمد الهمدانى .
مختصر كتاب لبلدان ـــ ليدن ١٩٦٧م

٥٤ ـ ابن قتيبه : ( ت ٢٧٦هـ ) عبد الله بـ نمسلم
عيون الأخبار ـــ القاهرة ١٩٣٠م

٥٥ ـ المعـــارف ـــ القاهرة ١٣٠٠هـ

٥٦ ـ قدامه بن جعفر : ( ت ٣٣٧هـ/٩٤٩م )
نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة مع كتاب المســـالك والممالك ـــ ليدن ١٩٦٧م

٥٧ ـ القلقشندى : ( ت ٨٢١هـ ) أحمد بن على
صبح الأعشى فى صناعة الأنشا ١٤ جزءا نســخة مصورة عن المطبعة الأميرية ٠
المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر

٥٨ ـ الكنـــدى : ( ت ٣٥٠هـ/١٩٦١م ) أبو عمــر محمـــد بن يوسف الكندى ٠
كتاب الولاة وكتاب القضاة ـــ ليدن ١٩١٢م

٥٩ ـ ابن الكندى : عمر بن محمد بن يوسف الكندى
فضائل مصر ـــ تحقيق الدكتور ابراهيم العدوى وعلى عمر القاهرة ١٩٧١م

٦٠ ـ الماوردى : ( ت ٤٥٠هـ/١٠٥٧م ) أبو الحســـن علـى بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى ٠
الاحكام السلطانية

٦١ ـ مجهول مراكش
كتاب الاستبصار فى عجائب الامصــار ، نشر الدكتور ســعد زغلول ـــ الاسكندرية ١٩٥٨م

٦٢ ـ أبو المحاسن : ( ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م ) جمال الدين يوســف بن تغرى بردى ٠
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١٦ جزءا نســخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العـــامة للتاليف والنشر ١٩٦٣م

٦٣ ـ المســعودى : ( ٣٤٦هـ/١٩٥٧م ) أبو الحســن على بن الحسين ٠
التنبيه والاشراف ـــ ليدن ١٩٦٧م

٦٤ ـ مروج الذهب ـــ بولاق

٦٥ ـ مسكويه : ( ٤٢١هـ/١٠٣٠م ) أبو على أحمد بن محمد
تجارب الأمم

٦٦ ـ المقدسى : ( ٣٨٨هـ/٩٩٧م ) شمس الدين أبو عبد الله محمد
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ـــ ليدن ١٩٦٧م

٦٧ ـ المقريزى : ( ٨٤٥هـ/١٤٤١م ) تقى الدين أحمد بن على
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـــ بولاق
١٢٧٠هـ جزءان ٠

٦٨ ـ البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ٠
تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين ـــ القاهرة ١٩٦١م ٠

٦٩ ـ شذور العقود فى أخبار النقود

٧٠ ـ اغاثة الأمة بكشف الغمة نشر أحمد مصطفى زيادة ود٠ جمال
الدين الشيال ـــ القاهرة ١٩٤٠م

٧١ ـ ابن مماتي : ( ت ٦٠٦هـ ) الاسعد بن مماتى الوزير الأيوبى
قوانين الدواوين تحقيق عزيز سوريال عطية ـــ
القاهرة ١٩٤٣م

٧٢ ـ منصور بن بعرة الذهبى الكاملى
كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية
تحقيق الدكتور عبد الرحمن فهمى ـــ القاهرة ١٩٦٦م

٧٣ ـ ابن منظور : ( ت ٧١١هـ ) محمد بن مكرم
لسان العرب ـــ ٢٠ جزءا ـــ القاهرة ١٣٠٧هـ

٧٤ ـ النابلسى الصفدى : أبو عثمان النابلسى الصفدى الشافعى
تاريخ الفيوم وبلاده ـــ القاهرة ١٨٩٨م

٧٥ ـ ناصر خسرو : ( ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م ) ٠
سفرنامة نقله للعربية د٠ يحيى الخشاب ـــ القاهرة ١٩٤٥م

٧٦ ـ النويرى : ( ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م ) أحمد بن عبد الوهاب
نهاية الأدب فى فنون الأدب
نسخة مصورية المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر

٧٧ ـ ابن الوردى : ( ت ٧٥٠هـ ) سراج الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن محمد بن عمر ٠
كتاب خريدة العجائب والغرائب ـــ القاهرة ١٢٨٠هـ

٧٨ ـ وكيـــع : ( ت أوائل القرن الرابع الهجرى ) محمد خلف
أخبار القضاة ـــ القاهرة ١٩٢٠م

٧٩ ـ ياقوت الحمـــوى : ( ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ) شـــهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى ٠
معجم البلدان ( ١٠ اجزاء ) ـــ القاهرة ١٩٠٦م

٨٠ ـ يحيى بن آدم القرشى : ( ت ٢٠٣هـ ) ـ
كتاب الخراج ليدن ١٨٩٠م ٠

٨١ ـ يحيى بن ســعيد الانطـــاكى : ( ت ٤٥٨ / ١٠٦٦ م )
صلة كتاب سعيد بن بطريق المسمى « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ـ بيروت ١٩٠٩ م

٨٢ ـ يحيى بن عمـران :
أحكام السوق ـ تحقيق حسنى عبد الوهاب القاهرة ١٩٧٥ م٠

٨٣ ـ اليعقوبى : ( ت ٢٨٢ هـ ـ ٨٩٥ م ) أحمد بن أبى يعقوب ابن جعفر
كتاب البلدان ـ ليدن ١٩٦٧ م ٠

## ( د ) المراجـع العربيـة الحديثة

٨٤ ـ أحمـــد تيمـــور : أعـــلام المهندســـين فى الاســـلام القاهرة ١٩٥٧ م ٠

٨٥ ـ أمـين ســـامى : تقويم النيل ـ ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م ٠

٨٦ ـ أحمد فخرى : مصر الفرعونية ـ القاهرة ١٩٦٠ م ٠

٨٧ ـ انســتاس الكرمـلى : النقود العربيـة وعلم النميـات ، القـــاهرة ١٩٣٩ م ٠

٨٨ ـ بار تولد : تاريخ الحضارة الاسلاميـة ترجمة حمزة طاهر ، القـــاهرة ١٩٥٨ م ٠

٨٩ ـ بتـلر : فتح العرب لمصر ترجمة محمد فريد أبو حديد القـاهرة ١٩٣٣ م ٠

٩٠ برستد : انتصار الحضارة نقلة للعربية الدكتور أحمد فخرى القـاهرة ١٩٥٥ م

٩١ ـ تاريخ مصر منذ أقدم العصور الى الفتح الفارسى نقلة الى العربية د٠ حسن كمال ، القـاهرة ١٩٢٩ م ٠

٩٢ ـ تبشر : تاريخ الأمة القبطية وكنيستها تعريب اسكندر تادرس ثلاثة أجزاء ، القاهرة ١٩٠٠ ـ ١٩٠١ ـ ١٩٠٦ م ٠

٩٣ ـ جاستون فييت : المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى نقلها للعربية محمد وهبى ونشرت فى كتاب مصر الاسلامية ٠

٩٤ ـ جروهمان : أوراق البردى العربية ستة أجزاء ، القـاهرة ١٩٣٦ ـ ١٩٧٤ م ٠

٩٥ ـ جمال حمدان : شخصية مصر ، دار الهلال ١٩٦٧ م ٠

٩٦ ـ حسن أحمد محمود . الاسلام والثقافة العربية فى افريقية جـ ١ القـاهرة ١٩٦٣ م

٩٧ ـ حضارة مصر الاسلامية العصر الطولون . القاهرة ١٩٦٠

٩٨ ـ راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، القـاهرة ١٩٤٨ م ٠

٩٩ ـ زكى محمد حسن : فنون الاسلام ، القاهرة ١٩٤٨ م ٠

١٠٠ ـ سعاد ماهر : مشهد الامام على فى النجف وما به من الهدايا والتحف ، القاهرة ١٩٦٩م ٠

١٠١ ـ سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام القاهرة ١٩٧٠م ٠

١٠٢ ـ مصر فى عصر الولاة : الألف كتاب ٠
مصر فى عصر الاخشيديين ، القاهرة ١٩٧٠ م ٠

١٠٣ ـ عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر ١٩٦٤ م ٠

١٠٤ ـ عبد الرحمن عبد التواب : منشآتنا المائية عبر التاريخ ، القـاهرة ١٩٦٣ م ٠

١٠٥ ـ عبد الله خورشيد : لقبائل العربية فى مصر فى الثلاثة قرون الأولى للهجرة ، القاهرة ١٩٦٧ م ٠

١٠٦ ـ عثمان الكعاك : الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط ، القاهرة ١٩٦٠م ٠

١٠٧ ـ على بهجت : حفريات الفسطاط ، دار الكتب ١٩١٨ م ٠

١٠٨ ـ قاموس الأمكنة والبقاع التى يرد ذكرها فى كتب الفتوح ، القاهرة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م ٠

١٠٩ ـ على حسنى الخربوطلى : مصر العربية والاسلامية ، القاهرة ١٩٦٣ م ٠

١١٠ ـ الاسلام وأهل الذمة ، القاهرة ١٩٦٩ م ٠

١١١ ـ على مبارك : الخطط التوفيقية

١١٢ ـ عمر طوسون : مالية مصر من عهد الفراعنة الى الآن القاهرة ١٩٣١ ٠

١١٣ ـ خليج الاسكندرية وترعة المحمودية ، القاهرة ١٩٤٢م ٠

١١٤ ـ قاسم عبده قاسم : النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٧٨ م ٠

١١٥ ـ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ١٩٢٠ م بيروت ٤ أجزاء ٠

١١٦ ـ كلوث بك : لمحة عامة الى مصر ( جزان ) تعريب محمد مسعود ، القاهرة

١١٧ ـ متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى نقلها العربية محمد عبد الهادى أبوريده جزءان ، القاهرة ١٩٥٧م ٠

١١٨ ـ محمد أمين صالح : النظم الاقتصادية فى مصر والشام فى صدر الاسلام ، القاهرة ١٩٧١ م ٠

١١٩ ـ محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية فى الشرق ١٩٦٥ م ٠

١٢٠ ـ مصر فى عصر الدولة الفاطمية الألف كتاب ١٩٦٠م ٠

١٢١ ـ محمد رمزى : القامرس الجعرافى دار الكتب ١٩٥٤م ٠

١٢٢ ـ محمد شفيق غربال : تكوين مصر ، القاهرة ١٩٥٧ م ٠

١٢٣ ـ محمد عوض محمد : نهـــر النيل الطبعـــة الخامسـة ، القـــاهرة ١٩٦٣ م ٠

١٢٤ ـ السودان الشمالى سكانه وقبائله ، القـاهرة ١٩٥١ م ٠

١٢٥ ـ محمـد كامل حســين : أدب مصر الاسلامية ( عصر الولاة ) طبع دار الفكر ٠

١٢٦ ـ الحيــاة الفكرية والأدبيــة بمصر من الفتح العربى حتى أواخر الدولة الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٩ م ٠

١٢٧ ـ محمد السيد غلاب : البيئة والمجتمع ، الاسكندرية ١٩٥٥م٠

١٢٨ ـ نعمـات أحمـد فـؤاد : شخصية مصر ، القاهرة ١٩٧٨ م ٠

١٢٩ ـ النيل فى الأدب المصرى ، القاهرة ١٩٦٢ م ٠

## ( و ) الدوريـــات

١٣٠ ـ ابراهيم رزقانة : قمة الدلتا مجـــلة كلية الآداب جامعـــة الاسكندرية المجلد الرابع ١٩٤٨م ٠

١٣١ ـ أحمد زكى باشـا : مقالة مهرجان وفــاء النيل مجلة المقتطف ديســمبر ١٩٢٣ م ٠

١٣٢ ـ جمـال مرسى بـدر : نهر النيل فى تاريخ الفكر الجغرافى المجلة العدد ١٠ أكتوبر ١٩٥٧م ٠

١٣٣ ـ حسين فوزى النجـار : المقومات التاريخيـــة للشخصـية المصرية المجلة العدد ١٢ ديسمبر ١٩٥٧م ٠

١٣٤ ـ حسـين مـؤنس : المسلمون فى حـوض البحر المتوسـط المجـلة التاريخيـة ١٩٥١ م ٠

١٣٥ ـ سـليمان حزيـن : القرية والاصـلاح الريفى فى مصر مجلة الكاتب المصرى مجلد ٤ عدد ٣٤ سنة ١٩٤٦م ٠

١٣٦ ـ نهر النيل وتطوره الجيولوجى مؤتمر النيل عدد ٢٣ المجمع العلمى المصرى ١٩٥٣ م ٠

١٣٧ ـ سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية فى العصر الاسلامى كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد ٢١ العدد الأول مايو ١٩٥٩ م٠

١٣٨ ـ السيد محمود عبد العزيز سالم : التخطيط ومظاهر العمران فى العصور الوسطى العدد ٩ المجلة سبتمبر ١٩٥٧ م ٠

١٣٩ ـ عبد العال عبد المنعم الشامى : جغرافية المدن عند العرب ٠ عالم الفكر ٠ الكويت المجلد التاسع العدد الأول يونيو ١٩٧٨ م٠

١٤٠ ـ كامل عثمان غالب : مقياس النيل فى جزيرة الروضة المجلة التاريخية المصرية ، نقد عبد الرحمن فهمى ١٩٥١ م ٠

١٤١ ـ محمد عوض محمد : نهر النيل فى الأدب المجلة العدد الثالث اغسطس ١٩٥٧ م ٠

## ( هـ ) رسائل علمية لم تنشر

١٤٢ ـ محمد محمود أحمد ادريس : الحياة الزراعية فى العصر الفاطمى الأول ـ رسالة ماجستير كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ٠

١٤٣ ـ محمود محمد الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ـ رسالة ماجستير كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ٠

**Lane Poole, Stanley:**

— Social Life in Egypt London 1883.

— A History of Egypt in the middle ages London 1901.

— Catalogue of the Collection of Arabic coins Cairo 1897.

Lavoix, Henri :

Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque Nationale Paris 1887.

**Macmichael, H.A. :**

A History of the Arabs in the Sudan, Vol. 1 eambridge 1922.

**Popper, William :**

A History of Egypt (2 Vols) California 1954.

The Cairo Nilometer, Studies in Ibn Taghri Birdis, Chronicles of Egypt.

**Tousson, Omar :**

Memoire sur l'histoire du Nil, 3 Tomes L. Institut d'Egypte Le Caire 1925.

**Wiet ::**

Histoire de la Nation Egyptiennel Egypte Arabe, Tom IV

Repertoire chronologique precis de l'Histoire d'Egypte.

**Encyclopaedia of Islam**

Art. Egypt Al Nil, Kus Asswan, Al Fayoum, Humiat.

## الفهـــرس

الصفحة

رقم الايداع : ٨٧/٨٠١٤

دار وهدان للطبـاعة والنشر
٦ ميدان بركة الرطلى
تليفون : ٩٠٥٠٣٦ ــ ٩٢١٤٤٤

ملتزم التـوزيع
**دار الصحوة للنشر والتـوزيع**
**٧ شارع السراى ـ المنيل**

**رقم الايداع ٨٠١٤/٨٧**

